

# فكر

مجلة ثقافية تعني بالفكر والثقافة  
العدد 2 - يناير 2013

□ أدب السجون:  
أين اختفى هذا النوع من  
الأدب؟

□ قصر الحمراء مكان  
يتوقف فيه الزمن

□ العنصرية والإرهاب في  
الأدب الصهيوني

□ محمد الفريح :  
يضع حلولاً لتسويق الكتاب



□ أمير تاج السر يكتب عن  
ذاكرة الكتابة



## أدب السجون: أين اختفى هذا النوع من الأدب؟



أدب السجون هو الأدب الإنساني النضالي الذي ولد في عتمة وظلام الأقبية والزنازين وخلف القضبان الحديدية، وخرج من رحم الوجع اليومي والمعاناة النفسية والقهر الذاتي، والمعبر عن مرارة التعذيب وآلام التشكيل وهموم الأسير وتوقه لنور الحرية وخيوط الشمس، وإبداعات أدب السجون فريدة الملمح، تعرف من مخزون قلم هو مريم نشأت وخطرات وآهات، مجبولة فرسعات عوالم الروح الغارقة في التأمل وبمفر ذات الأهمية المبررة..

المواظبة في تتبع أخبارهم، إذ إنه من العيب عليك وأنت المتابع لكل القضايا التي ترتج لوقعها الثقافة العالمية، ألا تتبع النفي الذي عاشه شاعر إسبانيا العظيم (روفاثيل البرتي) الذي عاش منفياً عن وطنه إسبانيا لمدة تزيد على الـ (39) عاماً. وألا تعرف المعاناة التي عاشها شاعر تشيلي العظيم بابلو نيرودا، وألا تكون قد قرأت كتابه ذائع الصيت آنذاك (أعترف بأني قد عشت).

ويقول الكاتب خليل قنديل: الأمر ذاته كان ينطبق على الكتاب الأمثل عن أدب السجون الذي كتبه الروائي الروسي دوستيفسكي والموسوم بـ (مذكرات من بيت الموتى)، والذي يتحدث عن عذاب المعتقلين الروس في منطقة سيبيريا.

أما بخصوص الكتابات الإبداعية العربية فجميع جيلي السبعيني يذكر رواية (الكرك) التي كتبها صاحب (نوبل) الروائي نجيب

تنتهي، عن دورها في صقل مستوى خبراتهم، ومدهم بأدوات ومهارات الرواية المتقنة، المحاكية روح الواقع، وكذا النضج من عمق الوجدان الإنساني.

وفي السبعينيات من القرن العشرين كان يصعب تعميده ككاتب مبدع إن لم تقرأ المجلدات السمكية والكتب ذات القطع المتوسط والصغير التي كانت لها علاقة حبرية صميمية بأدب السجون والمعتقلات، وكان يبدو من العيب على أي مثقف يضع نفسه في مصاف الكتاب الطليعيين، ألا يعرف شاعر تركيا العظيم ناظم حكمت وحبيبة أسره (منور) التي انتظرت له مدة تزيد على الـ 30 عاماً.

وكان من الصعب أيضاً على القارئ الذي يتسم بالمواظبة، ولديه السجل الكامل بالمعتقلين المناضلين من كتاب العالم ألا يمتلك القدرة على

هكذا يوصف بعض النقاد والمحللين ماهية الأعمال الروائية التي كتبها مثقفون كثر، يوماً ما، بينما كانوا يقبعون خلف قضبان السجن، إذ سجلوا فيها ومعها، أروع نماذج تجاربهم، ومن بينهم صنع الله إبراهيم، الذي قال في أحد حواراته، إنه غير نادم على الفترة التي قضاها في السجن، بل يرى أنه مدين إليها كونها أتاحت له القدرة على التفكير بصفاء، ومراقبة البشر والتعرف إلى سلوكهم.. فهل حقاً، يُمكن القول إن تجربة السجن لدى الكاتب، نبع خصب، كونه يستفيد من زخمها، وينجح في ترويضها وتشكيلها؟

لا يتردد روائيون كثر، عايشوا واختبروا تجربة السجن، في التأكيد ضمن أحاديثهم، على أنهم يحنون إلى ذكرى فترة السنوات التي قضاها في السجن، ونجدهم يروون سيراً وحكايات لا

## المحتويات

3	موضوع الغلاف
10	رأي
12	بين السطور
16	أفكار مضيئة
22	دراسة
34	حياتنا
39	كتب
42	مراجعات
51	فنون
54	معالم وحضارات
59	صدر حديثاً
64	دبل كليك
67	علوم
69	2012
70	نقطة ضوء

# فكر

مجلة ثقافية فصلية تعنى بالفكر والثقافة

فكر الثقافية



<http://www.facebook.com/profile.php?id=100005076097339>

في العدد الثاني من مجلة والثقافية نطل عليكم للمرة الثانية عسى أن نوفق لتقديم ماهو جديد في الفكر والثقافة.

يمكنكم في هذا العدد من مجلة فكر استخدام الروابط بالنقر عليه كي يوصلكم إلى المواقع الأخرى على شبكة الانترنت ولشاهدة مقاطع الفيديو والأفلام الوثائقية كل ذلك من أجل المتعة والفائدة.

المبتكر  
للجغرافيكس والتحرير

ALMUBTKER For  
Graphics and Editing  
almubtker@gmail.com

المبتكر للجغرافيكس

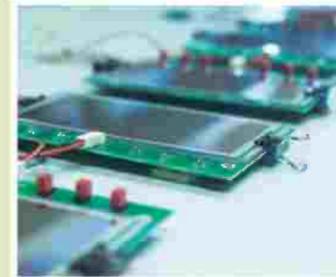


### حياتنا



الإعلانات في الشوارع

### علوم



التنائيات العضوية - مصدر جديد للضوء

### معالم وحضارات



قصر الحمراء مكان يتوقف فيه الزمن

### فنون



فن الرسم على الرصيف بالأبعاد الثلاثية

## في هذا العدد يكتب لكم:

محمد الفريخ: كيف تسوق كتابك

ميسون أبو بكر: اعتذار

أمير تاج السر: ذاكرة الكتابة

نواف القديمي: روايات أدب السجون عن ذكريات وتجارب المعتقلين

رشا المالح: رواية السجن تتمرد على الكلاسيكية

أحمد الصمغاني: العلاج بالقرآن

عارف عبد الرحمن: 28 فكرة إبداعية لاستخدام تويتر في مجال التعليم

د. خليل حسونة: العنصرية والإرهاب في الأدب الصهيوني

رانيا منير: الإعلانات في الشوارع مدينة ترحب بها وأخرى تحظرها

ناصر الزمل: هؤلاء غيروا حياة البشرية - تاريخ البريد الإلكتروني

محفوظ، وتلك الضجة التي أحدثتها تلك الرواية في مجال أدب السجون والمعتقلات، وجميع أفراد جيلي من المواظبين على مثل هذا النوع من القراءات لا يزالون يذكرون ارتعاشة أيدينا ونحن نهرب رواية (شرق المتوسط) للروائي الراحل عبد الرحمن منيف، ونحن نرتعش خوفاً على بطلها رجب الذي ذاق الأمرين في السجون والمعتقلات السياسية العربية.

وأنا مازلت أذكر الرواية الوثائقية التي كتبها الكاتب الفلسطيني توفيق فياض وحملت عنوان (المجموعة 778)، وهي ترصد اعتقال خلية فلسطينية مناضلة بتوثيقية مدهشة، وكان قد كتبها فياض على ورق السجائر وحينما أفرج عنه إثر المعاهدة المصرية الإسرائيلية قام بطباعتها ونشرها.

وجميعنا كنا نفخ خلف الشاعر الفلسطيني المقاوم وهو يهجو عدوه بالكتابات التي كانت قادرة على تحريك مظاهرات.

وعرف الأدب العربي على مر العصور والحقب التاريخية المختلفة أدب الأسر وتجربة الاعتقال، فمثلاً أبو فراس الحمداني الشاعر والفارس، الذي لا يهاب الموت، كتب في السجن أروع قصائده (الروميات) في الأسر. لنسمعه يقول في قصيدته الشهيرة (أراك عصي الدمع):

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر

أما للهوى فهي عليك ولا أمر

نعم أنا مشتاق وعندي لوعة

ولكن مثلي لا يذاع له سر

إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى

وأذلت دمعاً من خلأته الكبر

في حين نجد المعتمد بن عباد، ملك أشبيلية والشاعر المجيد الذي كان يعشق الأدب، قد صور عذابه وألمه وتجربته في السجن، بلغة شاعرية مؤثرة، وصور فنية غنية، ودلالات عميقة المعنى، وأسلوب شفاف وواضح. ومن أشعاره التي أثار غرائزنا ومشاعرنا، ولأمت أحاسيسنا وشغاف قلوبنا، ما كتبه وهو في سجن (أغمات) التونسي .. حيث قال:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا

فجاءك العيد في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعة

يغزلن للناس ما يملك قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة

أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطأن في التراب والأقدام حافية

كأنها لم تطأ مسكاً وكافسورا

يقول الباحث شاكراً فريد حسن: أما في الحالة العربية المعاصرة فثمة الكثير مما كتبه المبدعون العرب، الذي أمضوا الأيام الخوالي والليالي المتعبة في السجون، وخاضوا التجربة القاسية في سجون وزنازين الأنظمة العربية القمعية الاستبدادية، التي بدأت بالتساقط والانهيار الواحدة تلو الأخرى. ومن أبرز الذين مروا بتجربة الاعتقال، الروائي والمتقف المصري صنع الله إبراهيم، الذي ينتمي لجيل الستينيات، ونزيل السجون المصرية، الذي كتب عن هذه التجربة المرة في روايته (تلك الرائحة). وفي السجن تعلم المعنى الحقيقي للعدالة والتقدم وحب الوطن، وأنه يعتبر السنوات التي قضاها خلف القضبان هي التي صنعت منه روائياً متميزاً. وقد قال مرة في لقاء صحفي أجري معه: «إني غير نادم على الفترة التي قضيتها في السجن، وأرى إني مدين لها بالكثير، فهي التي أتاحت لي فرصة مراقبة البشر والتعرف على سلوكهم وعلى عوالم ثرية وشخصيات مهمة ووفية، لم أكن لأتعرف عليها وأنا خارج السجن». وأضاف قائلاً: «لوعاد الزمن إلى الوراء وخيرت سأختار خوض تجربة السجن مرة ثانية دون تردد رغم الفترة التي قضيتها».

ويقول: في أدبنا الفلسطيني المقيم في هذا الجزء النابض من الوطن الفلسطيني (داخل حدود 48) فقد كان للدور الثقافي الذي لعبه شعراء وأدباء المقاومة في تنمية وتأصيل الوعي الثوري والمقاتل وعميق الشعور القومي، المناهض للسياسة القهرية والاضطهادية السلطوية، وصيانة الهوية الفلسطينية، سبباً في اعتقال هؤلاء الشعراء والمبدعين المناضلين والمكافحين في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، والذين كانوا ينتمون للحزب الشيوعي، ويؤمنون بفكره الإيديولوجي الطبقي، وينشرون إبداعاتهم في

صحفه ومجلاته وأدبياته: (الاتحاد) و(الجديد) و(الغد). فيها هو الشاعر الراحل محمود درويش يكتب من داخل زنازته قصيدة (آخر الليل) التي يقول فيها:

وطني

يعلمني حديد سلاسلي

عنف النور

ورقة المتفائل

ما كنت أعرف تحت جلودنا

ميلاد عاصفة

وعرس جداول

سدوا علي النور في زنازنا

فتوهجت في القلب

شمس جداول

بينما الشاعر سميح القاسم فيكتب قصيدته (رسالة المعتقل)، التي تطوي على تحد واضح للسجان، وتساؤل ثوري عميق بدنو النهار:

أومن يا أماه

أومن أن روعة الحياة

تولد في معتقلي

أومن أن زائري الأخير .. لن يكون

خفاش ليل .. مدلجاً بلا عيون

لا بد أن يزورني النهار

ومن الأعمال الأدبية التي صورت التجربة الاعتقالية كتاب المناضلة والناقدة والكاتبة المصرية التقدمية فريدة النقاش (السجن، الوطن) الذي تحكي فيه عن فترة الأسر الممزوجة والمضخمة بالألم والقهر الإنساني والتطلع إلى الأتي. وكذلك رواية (شرق المتوسط) لعبد الرحمن منيف، ورواية (تلك العتمة الباهرة) للطاهر بن جلون، ورواية (القلعة الخامسة) لفاضل الغزالي، وسيرة شريف حتاتة (العين الزجاجية) وغيرها الكثير.

وفي السبعينيات افتتح إبراهيم صموئيل أدب السجون الحديث في سوريا، بمجموعاته

القصصية الثلاث، (رائحة الخطو الثقيل)، و(النحنحات) و(الوعر الأزرق). كان صموئيل يؤرخ فيها لتجربة حقيقية وعميقة، لكن بلغة رفيعة وبحساسية خلّاق، الأمر الذي جعل تلك القصص بمثابة مانيفست عن السجون السورية. لا تزال الأيدي تتداوله حتى اليوم.

وافتحت هبة دباغ تاريخاً آخر حين أصدرت كتابها (خمسة دقائق فحسب: تسع سنوات في سجون سوريا) في لندن. ويبدو أنها كتبت قبل ذلك بأكثر من عشر سنين. وإلى الآن كانت كتابات السجون في مجملها بأقلام معتقلين يساريين، وكتاب هبة الدباغ هو الأول تصدره معتقلة (إخوانية) عن تجربتها، بعدما أصدر محمد سليم حماد، وهو شاب أردني سجن في سوريا، كتابه (تدمر... شاهد مشهود) عام 1998. وتقدم الكاتبة هبة دباغ وثيقة صادمة لم يتم فضحها من قبل.

وفي 2005 صدر للمغربي محمد الرحوي كتاب يحكي عن تجربة تسع سنوات من الاختطاف في مدافن (الكومبليكس) بالرباط وأكزز وسكورة وقلعة مكونة خلال السبعينيات والثمانينيات دون محاكمة، ويلقي الكتاب على جزء مظلم من تاريخ المغرب.

وكتاب (تزمارة 234) وهي سيرة ذاتية من أدب السجون للكاتب المغربي محمد مصدق بنخضرا، يقول صاحب الكتاب إنه اسم مركب من (تزامرت) و(تجارة). إذ إن تركيب هذا الاسم يرجى منه التنبيه إلى الاستمرارية في منطق سنوات الرصاص، فالمعتقل السري (تزامرت) عرف بانتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان من تقتيل وتعذيب مرس في حق المواطنين المعارضين لنظام الحكم (حكم الملك الراحل الحسن الثاني) أو المشكوك في أمرهم. الشيء الذي جعل للمغرب صفحة سوداء في تاريخه السياسي والإنساني. وكانت تلك السنوات وصمة عار في جبين المغرب العريق.

## هزيمة السجان

تعرضت نخبة من الكتاب والمفكرين والأدباء، إلى ألوان القهر والظلم، من خلال السجن، سعياً إلى كسر حدة أقلامها وتأطير رؤاها، ومنعها من التعبير عن الوجدان المجتمعي بجرأة وشفافية، ومن بين أبرز الأسماء في هذا الصدد: صنع

هؤلاء فخري لبيب، الذي عبّر عن سجنه، من خلال كتاب (عريان بين الذئاب).

وتستعرض سلوى بكر، قيمة أدب السجون، لافتة إلى أنه يسجل معاناة الإنسان في زمن ما، وداخل السياق التاريخي الخاص بهذا الزمن، حتى لا ننسى، وموضحة أنه أدب يمثل ظاهرة في مجتمعاتنا العربية، تتعلق بالقمع السياسي، ووصفة هذا الأدب بأنه أدب مؤلم ويضغط على الروح. كما تتحدث عن تجربة اعتقالها: «تعرضت للاعتقال مع مجموعة من المثقفين والصحافيين، بتهمة محاولة قلب نظام الحكم، وتحريض العمال على الإضراب، خلال حكم الرئيس المخول محمد حسني مبارك..»

وعلى الرغم من أن تجربة اعتقالها لم تستمر سوى 15 يوماً، قضيتها في سجن القناطر، فإنها كانت غنية، إذ التقيت بالسجينات ووجدتهن في صورة وهيئة سببت لي صدمة بالغة؛ إذ رأيت جانباً لم أشاهده من قبل، في المجتمع المصري، باعتباره بعيداً عن الأضواء، ولا يُرى في الحياة اليومية العادية. وهو ما دفعني إلى الكتابة عن المسجونات كضحايا، وعن أشكال التمييز الموجودة في المجتمع، فكانت كتابة أدبية بعيدة عن السجن السياسي، كما كتبت أيضاً رواية لتبيان حقيقة أن القمع السياسي لا يستجيب من الوهلة الأولى.

## حكاية ثلاثة مقالات

يؤكد الكاتب صلاح عيسى أن أدب السجون، نموذج لأصدق الكتابات التي يكتبها صاحبها، فهو ناتج عن معاناة حقيقية، يحيها مؤلفها ولا يستطيع أن يعبر عنها، إلا من خلال الورقة والقلم، ليصوّر معاناته داخل السجن.

ويروي عيسى حكايته مع أدب السجون فيقول: «في عام 1966، نشرت ثلاث مقالات في إحدى المجلات اللبنانية، تحت عنوان (ثورة 23 يوليو بين المسير والمسير)، وبعدها أمر الرئيس جمال عبد الناصر، باعتقالي، بتهمة الإساءة إلى الثورة ولشخصه، ووضع العيب في النظام الاشتراكي.

وذلك رغم أن قصدي لم يكن أبداً الإساءة إلى الثورة أو إلى شخص الرئيس الراحل، بل كان لتوضيح الوضع السياسي غير الديمقراطي، الذي كانت تعانيه مصر.. وأود أن أشير هنا، إلى

الله إبراهيم، جمال الفيطناني، مصطفى أمين، عبد الرحمن الأنودي. إذ ذاق هؤلاء مرارات الاعتقال والحبس.

لكنهم انتصروا، في النهاية، على سجانهم عبر تحويلهم تلك المواقع خلف القضبان، إلى مرتع فكر وتأمل، بل وزودة ثرية المكونات، تحسن تجربتهم الإبداعية، فتهمز توليفة القهر والكتب، لتحول الظلام فضاءات نور توقد جذوتها بقوة، فتشع كاشفة غوامض وخبايا الحياة خارج السجن، معززين إيمانهم، خلالها، بقدر الكلمة الحرة على مواجهة الظلم، والتصدي لطغيان الحاكم المستبد.

## عريان بين الذئاب

تحكي الأدبية سلوى بكر، عن رأيها في شأن سمات وتاريخ (أدب السجون)، مبينة أنه ظاهرة أدبية قديمة، إذ إن وجود القهر الإنساني والاستعباد، دائماً ما كانا السبب في وجود هذا النوع من الأدب. وتشير سلوى إلى أن أول من كتب عن أدب السجون في مصر، هو محمد شكري الخرباوي، وقدم كتاباً بعنوان: (55 يوماً في مخبأ).



سلوى بكر

وتضيف: «إن من أبرز الكتاب الذين مروا بهذه التجربة، أيضاً، الروائي صنع الله إبراهيم الذي عبّر عن تجربة سجنه، من خلال رواية (تلك الرائحة).. كما أن الأديب الراحل عباس محمود العقاد، تعرض للسجن، بتهمة سب الذات الإلهية، ونجد أن بعض المناضلين، وليس الكُتّاب فقط، خلقت فيهم تجربة السجن، الرغبة في الإمساك بالقلم؛ لتسجيل التجربة التي مروا بها، ومن بين

أنتي، وفي الفترة نفسها، كنت منضوياً في إطار تنظيم سياسي سري».

ويتابع عيسى، سارداً ملامح وجوانب ما مر به، أثناء تلك الفترة: «نقلت إلى سجن الاستجواب



صلاح عيسى

الموجود في سجن القلعة، والذي تفصل فيه كل علاقة للإنسان بالعالم الخارجي، فلا صحف ولا مذياع ولا أهل أو أصدقاء، ويقبت على تلك الحال، حتى نقلت إلى سجن طرة، فبدأ يحدث الاختلاط بيني وبين المساجين اليساريين والإسلاميين..

وكان الحصول على الكتب، من ضمن الصعوبات التي تواجهنا؛ ذلك بفعل تشديد إدارة السجن على عدم دخول أي أوراق أو كتب إلى المساجين، وكان الحل الوحيد أمامنا، التحايل على إدارة السجن، بزعم أننا نريد إعادة التقدم إلى امتحانات الشهادة الثانوية العامة، بغرض تحسين المجموع الكلي، وبهذا الإجراء كنا نستطيع إدخال الكتب إلى السجن».

### صالونات ثقافية (سجنية)

وعن طبيعة قراءاته، وكيفية إرثائها مخزونه الإبداعي، يقول عيسى: «بدأت أكتب في السجن بعد أن تزودت بقراءات مهمة لكتب تاريخية وسياسية متنوعة، وكنا اعتدنا، نحن السجناء، إقامة فعاليات صالونات ثقافية في السجن، واستمرت هذه النشاطات، إلى أن خرجت منه.. ولكن سرعان ما عدت إليه، مرة أخرى، بتهمة توزيع المنشورات في التظاهرة الطلابية التي خرجت، احتجاجاً.

وتعبيراً عن الغضب الشعبي لنكسة 1967، فعندها غضب عبد الناصر، وأقسم أنني لن أخرج من السجن طوال الفترة التي يكون فيها

على قيد الحياة، فاتخذت من القلم والورقة خنجراً لأقتل به الهزيمة، ونشرت 15 مقالاً.. تحت اسم مستعار في جريدة (المساء)، وألفت 72 رواية ومجموعة قصص قصيرة، جمعتها في كتاب (بيان مشترك ضد الزمن)، إلى أن توفيت ناصر، وخرجت من السجن متمنياً أن نحيا عصراً ديمقراطياً مختلفاً عن ذي قبل، ولكني وجدت أن الوضع لم يتغير كثيراً في عهد السادات، واعتقلت شهوراً عديدة، إلى أن أتى عهد الرئيس مبارك، فقررت التفرغ التام للصحافة والبحث التاريخي».

### أصعب المراحل

تصف الكاتبة فريدة النقاش، رئيسة تحرير صحيفة (الأهالي)، فترة اعتقالها، بأنها من أصعب المراحل التي مرت بها في حياتها، فني الوقت نفسه، كان زوجها رهن الاعتقال، وتوفي أخوها أثناء اعتقالها، مؤكدة أنه لم يهون عليها الأمر، إلا إيمانها بالإصلاح الذي كانت تسعى إليه، مشيرة إلى أنه في المرة الأولى التي سُجنت فيها، كان معها 24 امرأة، ومن بينهن الكاتبات: نوال السعداوي ولطيفة الزيات وأمينة رشيد.



فريدة النقاش

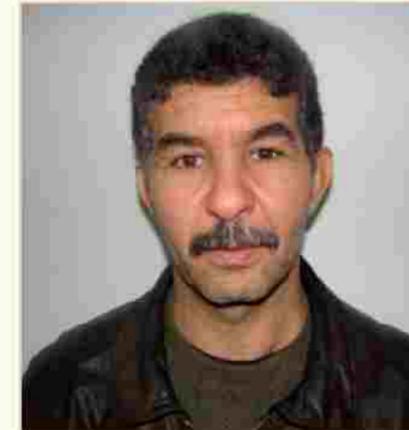
وتلفت فريدة إلى أنه، ولكثرة اعتقالها، كانت حقيبة السجن لديها، جاهزة دائماً، إلا أنها، ورغم هذا، لم تنقطع عن القراءة طوال فترات الاعتقال، وخاصة قراءتها العميقة في مجال التاريخ المصري والسياسي عموماً. وتختار هنا الإشارة إلى تجربة محددة في ما تعرضت إليه من

اعتقالات، إذ إنها سجت عقب قرارات سبتمبر الأسود، ووضعت في عنبر يطلق عليه اسم (عنبر الجرب)، فتعرفت فيه على صوت الفنانة عزة بلبع، والتي كانت تغني مع الشيخ إمام عيسى، ثم اعتادت، حينها، هي وزميلاتها، على تنظيم برنامج ثقافي، يشارك الجميع فيه، فيجري النقاش عبره، حول كتاب أو موقف ما.

وتتابع: «أردت تخليد هذه الذكرى وتلك التجربة، فألفت كتاب (السجن دمعان.. ووردة)، كتبت فيه ما أضحكني وما أبكاني».

### خيوط الظلام

يتطرق الكاتب التونسي سمير ساسي، إلى تجربة سجنه، على أساس ما أفادته به من إنضاج لخبراته، وصقل لإمكاناته، ويوضح أنه بقي مسجوناً لأكثر من عشر سنوات، بينما كان في مقتبل العمر، وذلك بتهمة الانتماء إلى جمعية غير مصرح لها.



سمير الساسي

ويضيف: «كنت في ذلك الوقت، ضمن الفريق الطلابي التابع لجمعية النهضة.. ونجحت، فعلياً، في الانتصار على السجن، لأنني لم أدعه يهزمني، فحركت جذوة الإبداع في مكنوناتي، وصقلت معارفي وخبراتي، ومن ثم كتبت وأنا في السجن، رواية (خيوط الظلام) التي تقضح السجن التونسي في عهد الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي، حيث وصفت من خلال هذه الرواية، أصناف التعذيب التي تتم ضد المسجونين».

ويبين ساسي، إلى أن فترة التسعينيات من القرن الماضي، شهدت تعرض الكثير من المثقفين والناشطين التونسيين، إلى السجن السياسي، ويسترس: «كان أمامي خياران؛ إما الرضا بما يعرضه الجلاد أو الصبر، والصبر أيضاً كان



نوعين، إما السلبي منه أو الإيجابي، فاخترت النوع الثاني.

وهو الصبر الإيجابي الذي قررت أن أحوله إلى صبر جميل وإبداع جمالي، وحاولت أن أعبر عن تجربة السجن في البداية من خلال الشعر، ولكن لم تستطع القصائد أن تحكي بعمق عن هول ما رأيت، فكان الحل الأمثل عن طريق الرواية، وبذا خرجت (خيوط الظلام)».

ويختم الروائي التونسي مؤكداً على أن هذه التجربة، لا تزال محفورة في وجدانه، ولا يمكن نسيانها، فالإنسان لا يستطيع أن ينسى كرامته التي أهينت، فما كان خلالها، أشياء لا يمكن محوها من الذاكرة، إلا إنها، لا يجب أن تكون عائقاً أمام استمرار الحياة، بل حافظاً على العطاء.

### قراءات السجن

يشرح الكاتب صلاح عيسى كيفية إثناء قراءاته في السجن تجربته الإبداعية، ومن ثم النشاطات الفكرية التي كان ينظمها وزملاؤه، ضمن السجن: «بدأت أكتب في السجن بعد أن

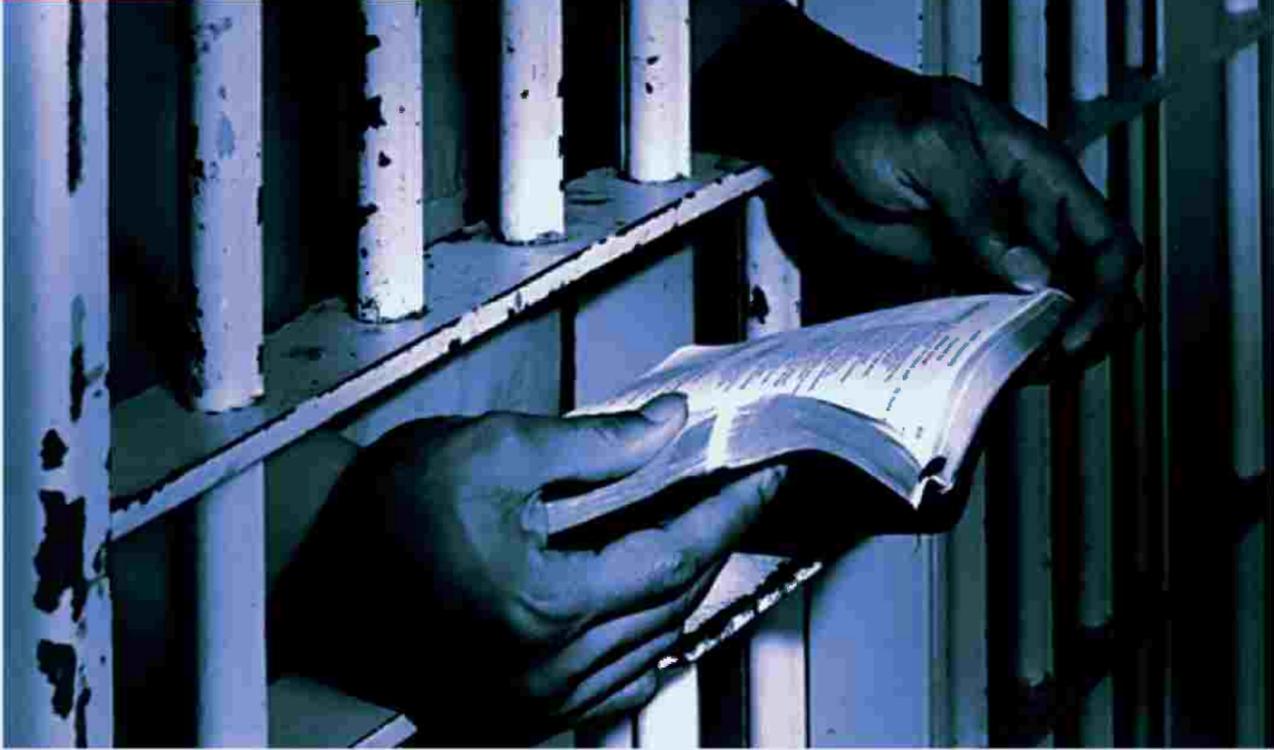
تزودت بقراءات مهمة لكتب تاريخية وسياسية متنوعة، وكنا اعتدنا، نحن السجناء، إقامة فعاليات صالونات ثقافية في السجن، واستمرت هذه النشاطات، إلى أن خرجت منه».

والسؤال المربك فعلاً، الذي ينهض كضربة قفاز مؤلم في وجه من يسأله هو: أين اختفى هذا النوع من الأدب الذي كان يفرض نفسه علينا بإجلال خاص يقترب من التقديس؟ وهل المعتقلات السياسية العربية نظيفة إلى الدرجة التي لا تكاد تحصل على عمل إبداعي يرصد عذابات المعتقلين فيها، أم أن الكتابة في هذا النوع من الأدب قد استنفدت أغراضها؟

لكن الإجابة الصحيحة عن هذا الفراغ الذي تركه غياب الكتابة في هذا النوع يقول إن السلطة السياسية العربية كانت قد بدأت تبرم ميثاقاً مع الكتاب العرب منذ مطلع التسعينيات ومع تقوض الاتحاد السوفياتي ونشوء الديمقراطيات العربية الطازجة والانفتاح البرلماني وتشرذم الثورة الفلسطينية في أكثر من عاصمة عربية، فهو ميثاق يقوم على علاقة ليبرالية جديدة

استطاعت أن تدخل المثقف كحليف للنظام السياسي العربي، وكشريك في معظم القرارات المصرية.

كل هذا ساعد على تحاشي الاعتقال السياسي مثلما ساعد على طمس الكتابة عن السجن العربية والمعتقل العربي، لكن الأعتى من كل هذا أن السلطة السياسية العربية اكتشفت أنها أرق وأعدل بكثير من المثقف العربي حين يتسلط على شقيقه المثقف الآخر.



## روايات أدب السجون عن ذكريات وتجارب المعتقلين

كاتب ومفكر وصحافي

## نواف القديمي



1. (ذكريات من منزل الأموات) دوستوفسكي.. وفيه تصوير مبدع لتجربة الاعتقال في سيبيريا.
2. ( تلك العمة الباهرة) الطاهر بن جلون.. قصة عذابات الاعتقال في سجن تزاممات بالمغرب.
3. (شرق المتوسط) عبد الرحمن منيف.. رواية عن تجربة الاعتقال في السجون العربية.
4. (الآن هنا) عبد الرحمن منيف.. جزء ثاني - ومستقل عن الأول - أكثر ألماً وبشاعة لرواية شرق المتوسط.
5. (الكراديب) تركي الحمد.. رواية تحكي قصة الاعتقال في السجون السعودية أواخر الستينيات.
6. (السجون) نبيل سليمان.. رواية تحكي تجربة الاعتقال في السجون السورية.
7. (رحلة لله) نجيب الكيلاني.. رواية تسرد جزءاً من تجربة اعتقال الإخوان بمصر في الستينيات.
8. (ليل وقضبان) نجيب الكيلاني.. رواية تحكي عن تجربة السجن غير السياسي بمصر.
9. (من بلاط الشاه إلى سجون الثورة) إحسان نراغي.. تجربة الاعتقال في سجون الثورة الإيرانية.
10. (هروبي إلى الحرية) علي عزت بيغوفيتش.. تأملات وأفكار أثناء فترة الاعتقال في يوغوسلافيا.
11. (كراسات السجن) أنطونيو غرامشي.. تدوين لأفكار وتأملات مفكر ماركسي أثناء اعتقاله بإيطاليا بدايات القرن العشرين.
12. (مقاومة) سهى بشارة.. قصة اعتقال شابة مسيحية مناضلة بعد محاولتها اغتيال قائد جيش لبنان الجنوبي العميل لإسرائيل.
13. (السجينة) مليكة أوفتير.. تجربة مريرة في المعتقلات المغربية لعائلة كاملة بعد محاولة أوفتير الأب اغتيال ملك المغرب.
14. (قصتي) سمير القنطار.. تجربة 30 سنة في المعتقلات الإسرائيلية بعد عملية نضالية جريئة ضد الصهاينة.
15. (بالخلاص يا شباب) ياسين الحاج صالح.. قصة اعتقال شاب يساري مدة ١٦ سنة في سوريا.
16. (أف يوم في زنزانة العزل الانفرادي) مروان البرغوثي.. مذكرات الزعيم الفتحاوي داخل معتقلات إسرائيل.
17. (في طريقي إلى السجن) محمد عبد القادر الجاسم.. تجربة المضايقات و 3 اعتقالات لكاتب وناشط سياسي في السجون الكويتية.
18. (السجين 32) محمد سعيد طيب.. تجربة عدة اعتقالات لناشط سياسي قومي في السعودية.
19. (الثورة) وائل غنيم.. وفيه تفاصيل اعتقاله أيام الثورة المصرية.
20. (في ضيافة كتائب القذافي) أحمد فال بن الدين.. مراسل قناة الجزيرة يروي قصة اعتقاله في ليبيا أيام الثورة.

21. (رسائل من السجن) أحمد طالب الإبراهيمي.. رسائل كتبها المؤلف لأصدقائه من داخل السجن الجزائرية قبل الاستقلال.
22. (سنة أولى سجن)، و (سنة ثانية سجن)، و (سنة ثالثة سجن) مصطفى أمين.. تجربة اعتقال الصحفي المصري الشهير أيام الناصرية.
23. (مجرد ذكريات) 3 أجزاء رفعت السعيد.. يروي في مذكراته بعض تجارب اعتقال الشيوعيين أيام الناصرية.
24. (مذكراتي في سجن النساء) نوال السعداوي.. تحكي فيها تجربة اعتقالها لمدة شهرين آخر أيام السادات.
25. (أيام من حياتي) زينب الغزالي.. صفحات من تجارب اعتقال الإخوان في زمن الناصرية.
26. (في الزنزانة) علي جريشة.. تجربة اعتقال مستشار قانوني إسلامي في سجون عبد الناصر.
27. (أحراش الليل) أمينة قطب.. أخت سيد قطب تروي قصة أخرى من داخل سجون عبد الناصر.
28. (ملك السجن) عبد الحليم خفاجي - محمود حامد.. تجربة ظريفة لمعتقل كان يتحايل على قيود السجن زمن الناصرية.
29. (مذابح الإخوان في سجون ناصر) جابر رزق.. قصص التعذيب والقتل للإخوان في السجون الناصرية.
30. (ذكريات من بيت الموتى) تأليف: دوستوفسكي ترجمة: محمد باكير.
31. (البوابة السوداء)، مذكرات أحمد رائف..
32. (السجينة/العربية) حدائق الملك (الحياة بين يدي.. لعائلة أوفتير في المغرب.
33. كتاب (يا صاحبي السجن) للدكتور أيمن العتوم.. مذكرات اعتقاله السياسي في سجون الأردن.
34. كتاب (خيانات اللغة والصمت) للشاعر فرج بيرقدار تغريبته في السجون السورية.
35. (يوميات مهاجر سري) رشيد نيني.
36. كتاب نيلسون مانديلا (رحلتي الطويلة من أجل الحرية).
37. (ثنائيات السجن والغربة) .. أجمل كتاب يوثق تجربة الماركسيين في السجون المصرية.
38. (عندما غابت عنا الشمس) .. أشمل كتاب يوثق تجربة الأخوان في السجون المصرية.
39. (رواية الفراشة) ... هنري شاربيير.
40. (عالم السود والقيود) .. ملخص تجربة العقاد في السجن.
41. (الساعة الخامسة والعشرون) - فيرجيل جيورجيو
42. (عدو محارب) معظم بيغ .. البريطاني المسلم الذي سجن في باغرام وغوانتانامو.
43. (بين السجن والمنفى) .. لأحمد عطار .. يحكي عن سجنه في مكة والرياض في عهد الملك عبد العزيز.
44. (سجن رومية أن حكي) للمؤلف عمر نشابه.
45. (زمن للسجن وأزمة للحرية) .. علي الدميني.
46. (عندما غابت الشمس) .. عبد الحليم خفاجي.
47. (حوار مع الشيوعيين تحت أقبية السجن) عبد الحليم خفاجي.
48. (الإنسان يبحث عن المعنى) ليفكتور فرانكل.
49. (درب مولاي الشريف الغرفة السوداء) جواد مديش - عن تجربته الواقعية للاحتجاز والتعذيب من طرف الأجهزة المغربية.
50. (نيجاتيف) .. رواية توثيقية للمعتقلات السياسيات في سوريا تأليف: روزا ياسين حسن
51. (ليسكانو في عربة المجانين) وسيرة السجن والتعذيب على أيدي البوليس السري إثر مشاركته في محاولة انقلاب في الأرغواي.
52. (أبواب الجحيم) لمحمد عبد الوهاب يتحدث في عن التعذيب في السجن.
53. (من تدمر إلى هارفارد) د. براء السراج سجين لأكثر من 10 سنوات في سجن تدمر بسوريا.
54. (حوارات سجين ملخص حوارات هيجل في السجن) بقلم المناضل فكتور انيلوف
55. (ثنائية السجن والغربة) مذكرات جميلة للمناضل الشيوعي فتحي عبد الفتاح.
56. (خمس دقائق وحسب) لهبة الدباب.
57. (زغاريد السجن) للشيخ رائد صلاح.
58. شاهد عيان ذكريات الحياة في عراق صدام حسين) تحكي المؤلفة جمان كبة عن قصص اعتقال الشعب العراقي فترة صدام وما قبله.
59. (نقطه تفتيش) لمحمد الحضيف.
60. (ستائر العتمة)، و (مدافن الأحياء)، و (أبومريرة في هدرم) لوليد الهودلي عن تجربة الاعتقال في السجون الإسرائيلية.
61. (يوميات متلصص) لمصطفى خليفة.
62. (من الصخرجات إلى تزاممات: تذكرة ذهاب وإياب إلى الجحيم) لمحمد الرايس.
63. (يوميات امرأة في السجون السعودية) عالية فريد.
64. (أرخبيل غولاج) لألكسندر سولجينستين - رواية عن جحيم المعتقلات السوفياتية إبان عهد ستالين.
65. (القلعة الخامسة) لفاضل الغزاوي.
66. (الأوردي)، و (مذكرات سجين سابق) لسعد زهران معتقل أثناء العهد الناصري.
67. (مساء ذبول الورد) لـ التركي أردال أوز.
68. (يوم أشرقت الشمس من الغرب) لنديم نجدي
69. (مذكرات سجين ليبي) عبد القادر الفيتوري.
70. (التحليق داخل القفص) مذكرات سجين بدوي في إيران.
71. (معذبتي) ينسالم حميش عن التعذيب في السجن (72. (السنوات الرهيبة) لجنتيز ضاغجي.
73. (مذبحة القلعة وغياهب غوانتانامو) وليد محمد الحاج - تجربة قرابة سبع سنوات في سجن غوانتانامو بأمريكا.
74. (رواية أميرة 2) تحكي عن ظلم المعتقلات الأمريكية في العراق للكاتب محمد الشمراي.
75. (معذبو الأرض) لفرانتز فانون.
76. (76 السجن ضيق في المكان، وفائض في الزمان) علي عزت بيغوفيتش.
77. (ثورة العدس) للكاتب عبد الله بن محمد.
78. (الطريق إلى تدمر - كهف في الصحراء) المهندس سليمان أبو الخير، رواية واقعية في سجن تدمر العسكري
79. كتاب (السجن، الوطن) لفريدة النقاش.
80. كتاب (العين الزجاجية) لشريف حتاتة.
81. (في سجن أبو غريب) مصطفى عثمان .. من كواليس الحرب على العراق.
82. (قصة أيامي) كشك.
83. (عندما يحكم الطغاة) جريشة.
84. كتاب (الحرية في المرة القادمة) جون بليجري
85. (حملة تفتيش) لطيفة الزيات.
86. (نقطه انتهى التحقيق)، قصص من أدبيات السجن تروي 40 قصة لآلام من كانوا في السجن بين 1979 و 1980 في سوريا.
87. (تدمر شاهد ومشهود) محمد سليم حمّاد.
88. (ظلام السجن: مذكرات ومفكرات سجين هارب تنكر واختفى) لمحمد علي الطاهر.
89. كتاب (الأسر والسجن في شعر العرب) الدكتور أحمد مختار البزرة.
90. (حلم السلتي) رواية لماريو بارغاس يوسا عن مناضل وسجين إيرلندي أعدمته انكلترا.
91. من ذكريات معتقل سياسي لصليب إبراهيم
92. مذكرات طلال الأنصاري.
93. كتاب (خطوات في الليل) لمحمد الحسناوي.
94. (سجين سياسي) لمحمد منير حوارات مع معتقلين سياسيين.
95. (سرنامة) رواية لعزیز نيسين الكاتب التركي الساخر عن حلاق دخل السجن ظلماً .
96. (مذكرات سجين عراقي في إيران) إضحوي الصعيب.
97. (رواية جانجي) لطاهر الزهراني عن سجن القلعة وغوانتامو.
98. (جدار بين ظلمتين) للعراقي رفعت الجادرجي وبلقيس شرارة.
99. (زنزانة بلا جدران) للطنفي حداد.
100. (القيود المحطمة) عبد الرحيم دوست، عن ذكرياته في سجون باغرام وغوانتانامو.
101. (الانقلاب بيع الوهم على الذات) لعادل اللباد
102. (مذكرات هارب) لحسن عشناوي.
103. (معتقل هاكستب: مذكرات ومفكرات) لمحمد علي الطاهر.
104. (أبناء السجن) عبد العزيز الحلفي.
105. (مقالات ست بعنوان المشاهير والسجون) لعيسى اسكندر العلوف نشرها في مجلة الهلال.
106. (تزممات، الزنزانة رقم 10) لأحمد المرزوق.
107. (رواية (التوقعة) لمصطفى خليفة.
108. (حمامات الدم في سجن تدمر) لعبد الله الناجي.
109. (بالخلاص يا شباب 16 عاماً في السجن السورية) لياسين الحاج صالح.
110. (السجون وأثرها في الأدب العربية: في العصرين الأموي والعباسي) لواضح الصمد.
111. (رواية (الغريب) لالبير كامو
112. (رياض الترك: ماندبلا سورية) لطنفي حداد.
113. (الأسر والسجن في شعر العرب) أحمد مختار البزرة.
114. (حكاياتي مع صدام) الدكتور طالب البغدادي.
115. (طفولة قلب) الدكتور سلمان العودة.
116. (القبض على الجمر) لمحمد حوز.
117. (دفاتر فلسطينية) معين بسيسوسيرة ذاتية لشاعر معظمها في السجن عن نضال الشيوعيين في فلسطين وأحياناً مصر.
118. (مدفن الأحياء شهادات من معتقل سجن الرملة فلسطين) وليد الهودلي.
119. (مذكرات جزائري) لأحمد طالب الإبراهيم.
120. (سبعة أشهر في سجون بغداد) ليونس بحري.
121. (سبعة أبواب) لعبد الكريم غلاب.
122. (أدب السجن) لنزيه فاضل.
123. (مذكرات ضابط ليمان) لأنور ماضي
124. (يوميات قلعة المنفى: رسائل السجن 1972 - 1980 لعبد اللطيف اللعبي ترجمة علي تيزلكاد.
125. (رياح التغيير في اليمن) لأحمد بن محمد الشامي.
126. (الحياة جميلة يا صاحبي) لناظم حكمت.
127. (الولد الشقي في السجن)، و (الطريق إلى زمش) كلاهما لمحمود السعدني.
128. (السجين 32) أحلام محمد سعيد طيب و(هزائمهم) لأحمد عدنان.
129. (مذابح وأغلال: مذكرات من سجون حجة) لأحمد عبد الرحمن المعلمي
130. (الغرفة 7) رواية لمطلق العتيبي عن واقع السجن السعودية.
- ومن أهم الأعمال السينمائية التي تناولت تجربة السجن وأذكر عملين ( إحنا بتوع الأتوبيس) و(قطار منتصف الليل).



## رواية السجن تتمرد على الكلاسيكية

رشا المالح

كاتبة وأديبة وصحافية في الإمارات العربية المتحدة

### الأدب الغربي

أستلهم الروائي الإسباني ميغيل سيرفانتس (1547- 1616) روايته الشهيرة (دون كيخوته) التي نشرت عام 1605 من الفترة التي قضاها سجيناً، بعد اعتقاله عام 1575 مع فريق السفينة التي كانت تنقل فريقاً من الجيش الإسباني إلى برشلونة.

أمضى سيرفانتس خمس سنوات كأسير أو بالأحرى كعبد، مع أربع محاولات فاشلة للهروب. ولم يطلق سراحه إلا بعد دفع عائلته وهيئة مسيحية لفدية كبيرة. وإلى جانب روايته الشهيرة التي تعتبر الرواية الأهم لبدائيات الأدب الحديث كتب مسرحيتين من وحي تلك المرحلة.

سطر الروائي والسجين الفار الفرنسي هنري شاربير (1906 - 1973) تجربته في السجن من خلال روايته (الفراشة). اتهم شاربير بجريمة قتل أحد القوادين وأدين على الرغم من براءته، ولفقت التهمة بشاهد زور وأصدر الحكم عليه بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة في 26 تشرين الأول/أكتوبر 1931 وبعد سجنه في كايين لفترة مؤقتة تم نقله إلى سجن مستعمرة

غويانا الفرنسية. وفي عام 1970 أشعل شاربير النار في العالم، حينما نشر روايته (الفراشة) التي تحكي تجربته الحياتية على مدى 13 عاماً، ابتداءً من 1932 وحتى 1945 وصور في روايته البؤس والمعاملة اللا إنسانية للنظام الفرنسي بشأن المحكوم عليهم. وقد حقق كتابه فور نشره نجاحاً واسعاً وبيعت ملايين النسخ وترجع على

قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في مختلف الأزمنة.

### أدب الشرق الأقصى

أمضى الشاعر والروائي زانغ كزليانغ الذي ولد عام 1936، اثنين وعشرين عاماً من حياته في السجن ومعسكرات إعادة التأهيل خلال حكم ماو تسي تونغ. وبدأ بكتابة ونشر قصائده حينما كان في الثالثة عشرة من عمره.

وساهمت دراسته للفن والأدب في الأربعينيات والخمسينيات في تكوين أساس صلب ساعده في الصمود خلال سنوات الأسر في المعسكرات.

وتغطي أحداث روايته (نصف الرجل امرأة) المرحلة الأخيرة من الثورة الثقافية التي تنتهي بمقتل الثائر زو اينلاي في يناير وقيل موت ماو في 1976. وتبدأ أحداثها في ربيع عام 1966، حين كانت الثورة الثقافية تستعد للانطلاق بهدفها في تقييد إرادة الإنسان لصالح السلطات.

وأتارت روايته ثورة عارمة سواء بين العامة أو الأوساط الأدبية وذلك بسبب تناوله لثالث المحرمات في الصين الذي يشمل السياسة والهوى وعدم التكيف.

### الأدب الأفريقي

كتب الروائي النيجيري كين سارو ويوا (1941 - 1995) خلال وجوده في السجن في خضم الحرب الأهلية ما بين 1967 إلى 1970 روايته (الفتى سوزا)، ويحكي فيها قصة فتى قروي ساذج تم تعيينه في الجيش خلال الحرب الأهلية. ويتطرق في عمله إلى الفساد السياسي والحكام

والنظام العسكري.

صور الروائي الجنوب أفريقي أليكس لاغوما (1925 - 1985) وقائد مجموعة شعب جنوب أفريقيا الملون، في روايته (في ضباب نهاية الموسم) التي كتبها خلال تواجده في السجن، سيرته الذاتية إلى جانب حياة أفراد المقاومة السرية في مدينة كيب تاون ضد التمييز العنصري، الذين كانوا يخاطرون بحياتهم لأجل حريتهم كل يوم، وقد نشر الرواية عام 1972.

### الأدب العربي

قال محمد أمين العالم الناقد المصري الكبير عن الرواية العربية في أدب السجن، «تدرج رواية السجن أساساً في إطار الرواية الدرامية حيث يشكل المعتقل في حد ذاته الحدث، في حالة الفعل والحركة.

إنه الحياة في ذروة احتدام الصراع بين الحدود القصوى لمكوناتها في مكان ضيق تنحصر فيه العلاقة بين الضحية ومجاهة جلادها». كما تتنوع تقنيات رواية السجن بين التدايعات والانتقال بين الزمان والمكان الداخلي والخارجي.

وقد كتب العديد من الروائيين العرب في أدب السجن منهم على سبيل المثال: عبد الرحمن منيف رواية (شرق المتوسط)، عبد اللطيف اللعبي رواية (مجنون الأمل)، فاضل الغزاوي رواية (القلعة الخامسة)، الطاهر بن جلون رواية (تلك العتمة الباهرة)، إلى رواية (وطن خلف القضبان) للروائي السوداني خالد عويس، وفي أدب السيرة الذاتية والرواية الوثائقية كتاب (سجينة) للملكة بوقفير، و(أحلم بزنانة من كرز) لسهي بشارة وكوزيت خوري، وسمير القنطار (قصتي) التي وثقتها حسان الزين.

تناول الروائي السعودي عبد الرحمن منيف (1933 - 2004) في روايته (شرق المتوسط) التي نشرها عام 1975، معاناة سجين ابتداء من اللحظة الأولى لدخوله السجن وحتى وقوفه على ظهر الباخرة التي ستقله إلى المغرب ليعالج من الروماتيزم الذي أصابه في أقبية السجن. وتبقى شخصية بطله رجب الذي عاش حياة السجن على مدى خمس سنوات، في ذاكرة القارئ لزمان طويل بعد الانتهاء من قراءتها.

## العلاج بالقرآن

### أحمد الصمعاني

صحافي في جريدة الشرق السعودية



أى أن الإرشادات الواردة في القرآن والأحاديث الشريفة هي الموافقة للساعة البيولوجية التي اتفق على صحتها معظم العلماء والأطباء فالقرآن الكريم صرح بالعقبات وأخلى مسؤوليته تماماً عن مخالفة هذا النظام كما جاء في الآية الكريمة (وجعلنا آية النهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) وكما جاء في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أنه (صلى العشاء فنام) ولم يرو أنه صلى العشاء فسهر، وبالمناسبة يوجد عديد من الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، عبارة عن وصفات طبية مثل علاج الطاعون قال النبي صلى الله عليه وسلم (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها)، فالطاعون مرض بكتيري معدٍ وحاد، وهو من الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان فقد اشتهر عند العلماء في أوروبا بكتيريا اليرسينية الطاعونية (باللاتينية: Yersinia pestis).

لا يخفى عليك عزيزي القارئ أن القرآن الكريم جاء شفاء لما في الصدور وأنزله الله رحمة للعالمين قَالَ تَعَالَى ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَى ﴿١٠٥﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا لِّبَنِي آدَمَ ﴾ انتشرت في الآونة الأخيرة عدة مراكز لمكافحة السرطان وعيادات استشارية تحاول أن تكافح هذا المرض وبعد العلوم والأبحاث تبين أن من أبرز الأسباب الرئيسة لهذا المرض هو السهر والتأقلم على انتكاس الفطرة، وكما أثبت السادة الأطباء والعلماء أن في الجسم غدة تدعى الغدة الصنوبرية Pineal gland تزن 180 مل جراماً تفرز مادة بعد صلاة العشاء مباشرة تسمى هرمون الميلاتونين وتقف عن الإفراز قبل صلاة الفجر بساعتين ووظيفتها تمنع الأكسدة بالجسم فتتمنع مرض السرطان بإذن الله وكما اكتشف العلم الحديث وبإثباتات علمية أن جميع غدد الجسم تعمل وتقف على مواقيت الصلاة فقبل 1400 عام حين جاء قوله تعالى:

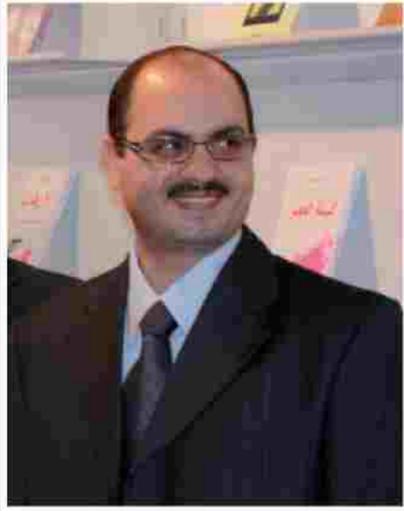
﴿ قَالِ تَعَالَى ﴿ مِن قَبْلِ سَكُوتِ اللَّيْلِ وَمِن قَبْلِ نَهَارِهِ وَمِن قَبْلِ سَكُوتِ النَّهَارِ وَتِلْكَ آيَاتُ لِقَاءِ رَبِّكَ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

وكما وجه العلم الحديث بطرق الوقاية منه بالعزل كما وضع الرسول صلى الله عليه وسلم، قَسَمَ الإمام ابن القيم رحمه الله في كتاب الطب النبوي العلاج بالطب النبوي قسمين الأدوية النبوية الطبية والأدوية الإلهية، وصنف عدة مراحل وطرق للعلاج وهي خبرات عديدة جاء بها الأنبياء عليهم السلام.

Author: Tina Barseghian

Original Name: 28 Creative Ideas for Teaching with Twitter

Link://blogs.kqed.org/mindshift/201128-/07/creative-ideas-for-teaching-with-twitter/



نقله إلى العربية: عارف عبدالرحمن  
عطية - نائب مدير إدارة النشر  
والترجمة - شركة العبيكان للتعليم

فكرة إبداعية لاستخدام  
تويتر في مجال التعليم

28

يستخدم المعلمون المبادرون «تويتر» بطرق إبداعية بهدف جذب التلاميذ داخل وخارج الفصل الدراسي على حد سواء، ولكي حصلوا على الأخبار المتعلقة بالتعليم أولاً بأول بالإضافة إلى إمكانية التواصل المستمر مع كل من الزملاء والطلاب.

هذه المشاركة التي أضافها مؤخراً «أفضل كلية على الانترنت» والتي عدت 28 طريقة لاستخدام «تويتر» في الفصل الدراسي.

طريقة جمع المعلومات أنفة الذكر، يقوم بعض المدرسين بتبسيط الطريقة من خلال تحفيز التلاميذ للإجابة على الأسئلة على «تويتر» بدلاً من رفع أيديهم للإجابة عليها في الفصل الدراسي.

تلك الطريقة الرائعة تعزز عملية التدريس وخاصة أن الطلاب من الممكن بكل سهولة أن يستعرضوا «الوسم» الذي تم اعتماده لكل فصل دراسي.

1. التغذية الراجعة الفورية: أشارت «مونيكا رانكن» - أستاذة التاريخ في جامعة دالاس - إلى مواقع مثل ReadWriteWeb و Mashable ناقشت طرقيتها في كيفية استخدام «تويتر» الحصول على تغذية راجعة في ذات الوقت.

يرسل الطلاب أسئلة إلى مدونة مصغرة والتي يتم تجميعها في تلك المدونة خلال إلقاء المحاضرات ثم تقوم «رانكن» بتشجيع التلاميذ لدراسة وجهة نظر الطلاب الآخرين من خلال الإجابة على تلك الأسئلة.

2. الإجابة على الأسئلة: وفي استراتيجية مماثلة

المغترب إلى وطنه، وأضيف لوصف ماركيز أنها تملك أيضاً مزيلا للصدأ عن الذاكرة.

ورواية مثل (موسم الهجرة للشمال) للطيب صالح التي كتبها أثناء اغترابه الطويل في لندن الذي استمر حتى وفاته، أعتقد جازماً أن الحنين أثر فيها بشكل أو بآخر وأوقد ذاكرة مبدعها، لتخرج رواية خالدة. وروايته (عرس الزين) أيضاً كانت عن شخصية عاصرها صغيراً وكتب تفاصيلها كلها في مغتربه البعيد.

في رواية لي اسمها (العطر الفرنسي) كتبت عن مسألة تدريب الذاكرة لدى بطل الرواية (علي جرجار) الذي كان يقاوم الشيخوخة بذلك التدريب اليومي. كتبت أحداثاً تذكرها أثناء انهماك في تدريب ذاكرته مثل زجاجة عطر (الريفدور) التي سقطت من رف في بيت أسرته وانكسرت، ومثل شاي سقطت عليه ذبابة ذات مساء. وقد كنت بلا وعي مني أكتب بعض الأحداث التي أتذكرها من طفولتي شخصياً.

والذين قرؤوا رواية (قصة عن الحب والظلام)، تلك القصة المدهشة للإسرائيلي عاموس عوز، لا بد يستغربون من تلك الأصداء المتلاحقة من زمن بعيد لطفل جاء إلى (أرض الميعاد) بصحبة أهله وعاش طفولة غريبة في وطن أفتعوه بأنه وطنه، وهو يرى أهل الوطن الحقيقيين منفيين في وطنهم.

أعتقد أن ذلك كان وليد ذاكرة دربها عاموس على أن تشع بتلك العنصرية، وتلتقط كل ما كان من شأنه أن ينتج أدباً موالياً تماماً للمشروع الإسرائيلي الكبير.

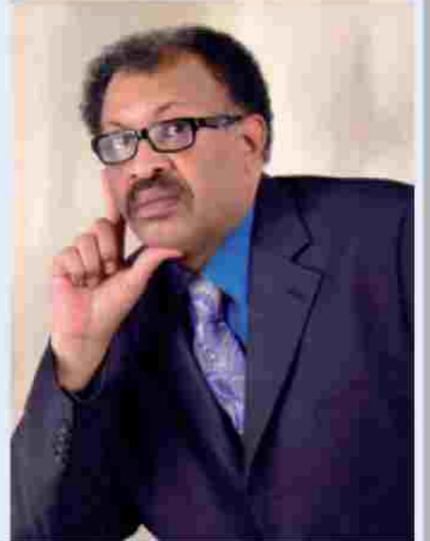
العزلة أيضاً من وسائل التعليم الكبرى التي تدرب ذاكرة المبدعين. العزلة بمعناها الجسدي والنفسي، أن ينعزل المبدع عن الخارج المحيط به ويبدأ في تشييد عالم داخلي خاص به، وليس ثمة صلة وصل بينه وبين الخارج سوى الذاكرة التي تحصل على تدريب جيد بلا شك، والسجون تعد من الأماكن التي تتيح العزلة بجدارية وتشهد فيه الذاكرة.

ومن قرأ أدب السجون يقرأ بجانب معاناة السجين اليومية حصاد ذاكرته، التي كانت تحلق في الماضي باستمرار، وتلتقط أنفاساً من الحرية عاشها المبدع ذات يوم. وأظن أن صنع الله إبراهيم من الذين كتبوا عزلة السجون بذاكرة مضيئة، وكذلك أدباء آخرون من تونس والمغرب وسوريا.

من قرأ أدب السجون يقرأ بجانب معاناة السجين اليومية حصاد ذاكرته، التي كانت تحلق في الماضي باستمرار، وتلتقط أنفاساً من الحرية

د.أمير تاج السر

ذاكرة الكتابة

أخصائي أمراض باطنية وكاتب  
في الجزيرة نت وروائي

بمعنى أن ما يبقى طويلاً في الذاكرة هو ما ألم صاحبها أو أحدث صدمة بداخله، مثل معاصرته لحرب أهلية أو مجاعة أو كارثة ما، أو تعرضه شخصياً لحادث طارئ.

في الطب النفسي يوجد ما يسمى أعراض ما بعد الحادث، تلك التي تستعيد الذاكرة مراراً ولا تمل من استعادتها وغالباً في شكل كوابيس ليلية، لذلك تجد مادة خصبة عند الكتاب والشعراء الذين عاصروا الحروب العالمية وتشردوا أو فقدوا أحبائهم بسببها، ومن عاشوا حروب أفريقيا الأهلية، والذين عاصروا نكبة فلسطين في بدايتها وحرب العراق الحديثة.

وكل ذلك أنتج أدباً رفيع المستوى، ليس في فنياته بالضرورة وإنما في غنى الذاكرة التي دلقته بعد ذلك. ولكننا يعرف ما كتبه شعراء مثل معين سبيسو وكتاب مثل إميل حبيبي عن الأزمة الفلسطينية.

من العوامل الأخرى في تدريب الذاكرة مسألة الاغتراب، أي أن يفارق المبدع وطنه لفترة طويلة، هنا تأتي مسألة الحنين القوي للوطن، مما يوقد الذاكرة بشدة ويجعلها تستدعي كل لحظة عاشها المبدع في الوطن حتى لو كانت بلا معنى، مثل أن يتذكر طفولته في الحواري والأزقة وسط أصدقاء يستدعي ملامحهم أيضاً، يتذكر حبه الأول لفتاة الجيران ويتذكر أي سلوى عابرة يمكن أن تطفئ الحنين.

هنا يعمل الكاتب بلا وعي منه في تدريب ذاكرته باستمرار، وبالتالي يحتفظ بمفتاحه السحري جيداً ولا ماعاً جيداً لاستخدامه في أي كتابة يكتبها.

لقد تعرض غابرييل غارسيا ماركيز لمسألة الحنين هذه في روايته (الحب في زمن الكوليرا) ووصفها بأنها تملك حيلاً شرسة ومتنوعة لجر

مبدع مثل موهبته؟

لا أعتقد ذلك، فالموهبة ثبت أنها تولد مع المبدع مع أول نفس في الحياة وترسم له الطريق بعد ذلك. هناك من يولد شاعراً ومن يولد رساماً ومن يولد كاتباً، وما عليه سوى اتباع المسار الذي رسم له وتقوية خطواته بعد ذلك باكتساب المعارف التي تخص ذلك الطريق، بعكس الذاكرة التي قد تكون شحيحة بعض الشيء، ولكن بكتير من التدريب يمكن تقوية حبالها لانتشال ما هو بعيد في الماضي ويستحق عناية انتشاله.

وقد ساهم عشق الشعر وحفظه وتداوله في الماضي لدى أجيال سابقة من المبدعين في تقوية ذاكراتهم بشدة، كذلك أولئك الذين عاصروا زمن الكتاتيب، أو (الخلاوي) بلغة أهل السودان، حيث يدرس القرآن ويحفظ بواسطة الشيوخ. هؤلاء اكتسبوا ذاكرة مدربة سترتهم كثيراً في ما بعد وسدت فقرات النسيان التي ربما كانت تحوم في ذاكراتهم.

وأعتقد أن كتاباً مثل (الأيام) لطف حسين من تلك النماذج التي كتبت بذاكرة خصبة للغاية، لم تنس أي تفاصيل كان من شأنها أن تثرى الكتابة، وكذا أعمال أخرى لأبناء جيله.

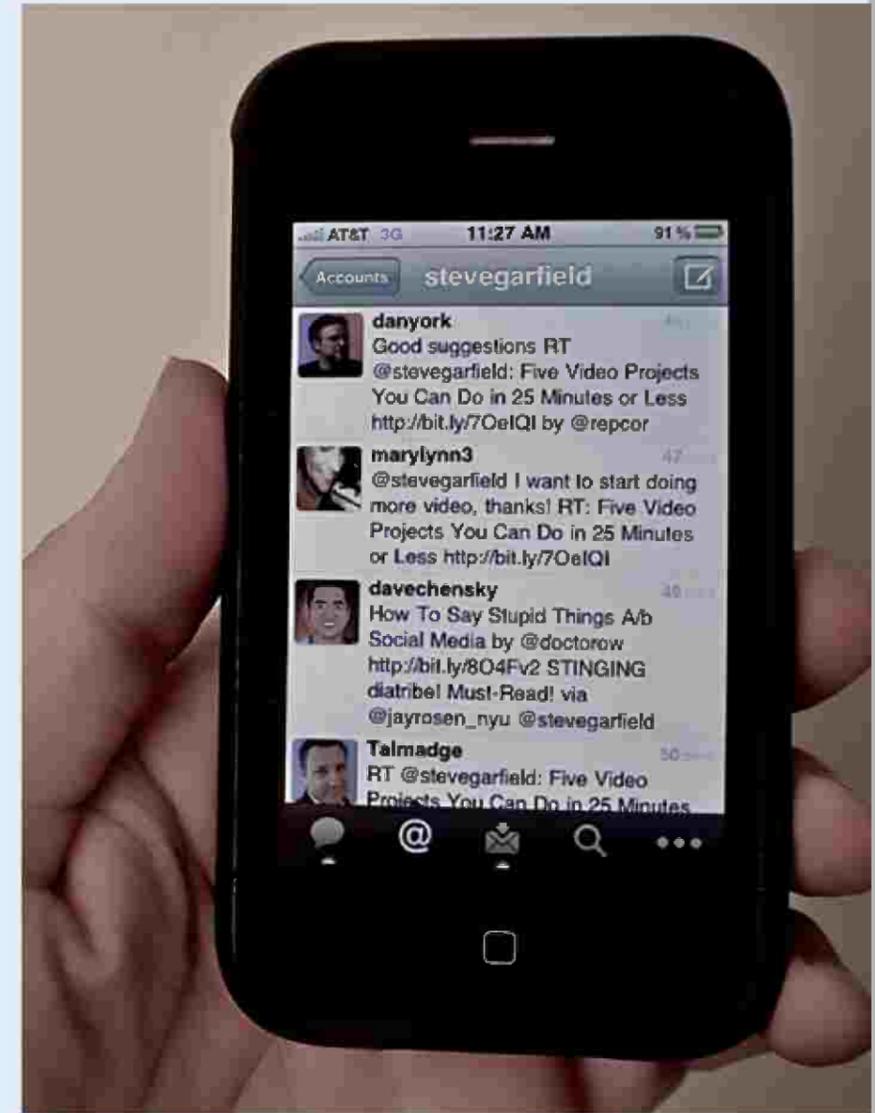
وقد شاهدت الروائي الراحل خيرى شلبي قبل وفاته بعدة أشهر يقرأ شعراً جميلاً حفظه من ستينيات القرن الماضي بذاكرة صافية، ولم أستغرب من ذلك، وأعرف كل ما كتبه ذلك الحكاء العظيم معتمداً فيه على ذاكرته.

في قراءة متأنية لما تصطاده الذاكرة الإنسانية عادة وتحفظ به لاستدعائه عند الضرورة استوقفتني السير الموجهة أكثر من تلك المفرحة،

أعتقد أن من أهم الأشياء التي ينبغي على الكاتب أن يمتلكها وهو يمضي في سكة الكتابة - خاصة من احترف كتابة الأعمال الواقعية أو الرواية المزوجة بالسيرة الذاتية بشكل أو بآخر- هي (ذاكرته)، تلك العصا السحرية التي تمكنه من نبش الماضي بسهولة واستخراج ما يصلح لكتابته وما لا يصلح أيضاً من أجل تعديله وتنقيته وإدراجه في النصوص التي ينتجها. ولطالما كانت الذاكرة المدربة جيداً مفتاحاً لا يمكن الاستغناء عنه في كل كتابة ناجحة.

الذاكرة هنا لا تقتصر على حياة الكاتب فقط، أي ما عاشه من أيام مضت بخيرها أو بشرها، ولكن أيضاً في استدعاء الخبرات التي اكتسبها بعد أن كبر، مثل دروس اللغة والعلوم المتشعبة التي تعلمها في المدارس وقراءاته لمن سبقوه وأثروا في كتابته ومن انتقدوا أعماله واستفاد من نقدهم، وأيضاً من قرؤوا أعماله من القراء العاديين وأدلو برأي فيها سلباً أو إيجاباً.

لكن هل بالضرورة تولد الذاكرة القوية مع كل



بدلاً من مجرد أن نطلب من المتعلمين أن «يتبعوا» فإننا يمكن أن نطلب منهم أن يطرحوا الأسئلة أو يثيروا مناقشة أو على الأقل يحاولوا أن يفعلوا ذلك.

وبالنسبة لطلاب المرحلة الثانوية وطلاب الجامعة، فإن تلك الممارسات قد تساعدهم بشكل كبير وفعال على استكشاف أهدافهم وميولهم المهنية المستقبلية.

10. تسجيل الملاحظات: على نحو مشابه لإثارة مناقشة مفتوحة، فإن «تويتر» يقدم طريقة سريعة لكل من الطلاب والمعلمين على حد سواء لتدوين الملاحظات، وذلك من خلال وجود الجميع في قائمة منظمة، يكون تسجيل الملاحظات أسهل من مجرد مراجعة الاختبارات والمهام.

11. مشاركة قصة: ضع لمسة الشبكات الاجتماعية على الفصول التقليدية بأن تطلب من التلاميذ أن يكتبوا قصة متتابعة بشكل ممتع وكأنها لعبة يشاركون فيها الجميع.

يقوم صاحب التغريدة الأولى بكتابة أول عبارة في القصة ثم يتبعه الثاني والثالث... وهكذا

من الأفضل أن تجعل وسم خاص بتلك القصة حتى تتمكن من قرائتها ومتابعتها بسرعة وسهولة.

12. خريطة الاتجاهات (التوجهات): إن الدمج بين الشبكات الاجتماعية و«التتبع الجغرافي» و«خريطة تويتر» قد وفرت للمستخدمين خاصية تحديد أماكن الأشخاص الذين يتحدثون عن موضوع معين.

سوف تساعد تلك التقنية طلاب علم الاجتماع والتسويق بشكل أفضل على فهم الاحتياجات والمتطلبات الديموغرافية للمستهلكين.

13. تمكين أولياء الأمور من الاطلاع بشكل مستمر على مستوى أبنائهم:

في إطار تعليم طلاب رياض الأطفال والصفوف الأولية، قد يحتاج أولياء الأمور أن يتابعوا ما يحدث في عملية تعلم أبنائهم ومعدلات تحصيلهم اليومي.

يتم هذا من خلال تغريدات تفيدهم بشكل مستمر عن الدروس والأنشطة التي تحدث في الفصل الدراسي مما يحقق درجة عالية من الارتباط بين الفصل والمنزل.

14. إثارة لعبة الجغرافيا: اطلب من طلبة متحمسين أو متطوعين أن يحددوا موقعهم، ثم ضع خطة مشروع لتحديد موقع هذا مكان في العالم.

بالنسبة للمتعلمين الصغار، يكفي أن يعرفوا المسافة بين هذا الموقع والمكان أو المدينة التي يعيشون فيها.

تلك الطريقة اللطيفة ستجعلهم يعرفون أكثر عن الأماكن والأشياء الأخرى ذات العلاقة بالمدن أو القرى التي يعيشون فيها.

15. إجراء اقتراح:

قد يرغب المعلم في إجراء اقتراح بين طلابه أو المشتركين في المدونه.

هذه الممارسة محدودة فقط بمن لديه إبداع في مجال معين، وذلك لكي يحصل على علاوة أو ميزة.. كما يمكن ربط الاقتراح بنوع من التتبع الجغرافي.

16. شيء ما مخصص لهذا اليوم: لا يهم إن كان كتاب أو كلمة أو أغنية أو مقولة أو أي شيء آخر. يمكن أن يمثل هذا ارتباط ممتاز مع درس ذلك اليوم.

وفي حال طلاب رياض الأطفال والصفوف الأولية، يمكنك أن تخبر أولياء الأمور بتلك التفريعات وتقوم بتشجيعهم على التحدث عنها في المنزل.

17. أن تبدأ نادي كتاب: في مجال معين خارج الفصل الدراسي، جماعة من المتعلمين يمكن أن يستضيفوا أندية الكتاب المضمين لها ويمكنهم من خلال الوسم وشبكات التواصل أن يتبادلوا وجهات النظر والتقييمات والآراء حول الكتب المقترحة للقراءة.

18. متابعة رجال السياسة: على أي الأحوال، إن الفصل الدراسي ليس هو المكان المناسب لحشد المؤيدين! على الرغم من ذلك فإن متابعة رجال السياسة على تويتر سوف يمكن الطلاب من تكوين فكرة عامة عن حياة وآراء هؤلاء الذين يمثلون بلادهم في أكثر من مجال في كافة أنحاء العالم.

19. مواكبة الأحداث الجارية: على نحو مشابه فإن المعلمين يمكنهم أن يحددوا مجموعة من مصادر الأخبار المتنوعة يقومون بالاشتراك فيها، مما يسمح لطلابهم بالاطلاع المستمر على الأحداث الجارية.

20. العروض/المشاركات المختصرة: تحفيز المعلمين في كافة المراحل التعليمية على كتابة مشاركاتهم حول الكتب والأفلام وأي مواد يتم تداولها في الفصل الدراسي، من خلال استراتيجية الـ 140 حرف، سوف يتعلمون

التعبير عن الفكرة بشكل مختصر، وبالتالي سيتعلم المتابعين لهم نفس الاستراتيجية.

21. التواصل بين الفصول الدراسية: بالإضافة إلى تيسير التواصل بين الطلاب داخل الفصل الواحد، يمكن أن يجد المعلم فكرة مرتبطة بالدرس ولكنها لدى دراسين في مدينة أخرى أو بلد آخر، وتجد تلك الفكرة استحسان المعلم. فيمكنه أن ينشيء «وسم» للطلاب والمختصين على حد سواء بهدف تبادل الأفكار والآراء والدروس.

22. استضافة المتابعين السلبيين: بهدف المتعة والتعلم، يمكن للطلاب أن ينظموا خطة لاصطياد المتابعين السلبيين.

ربما من خلال معرفة ما إذا كان الفصول الأخرى تريد الاشتراك أم لا كما هو واضح في تلك الموضوعات والوسائل، فإنه يمكن استخدام هذه الطريقة على قطاع عريض من المستويات والموضوعات الأكاديمية.

23. الاستماع بالبيانات والتواريخ: بعض المعلمين يطلبون من الطلاب المشاركة في وضع بيانات متتابعة عن أرقام/تواريخ على درجة عالية من الأهمية.

كذلك يمكن ربط تلك البيانات مع عالم أوفنان أو شخصية قصصية أو إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير.

24. إبدأ نمط تعبير عن الثقافة «meme»: في الواقع «نمط التعبير عن الثقافة» موجود قبل الانترنت بفترة طويلة، ولكن العالم الافتراضي لعب دوراً حيوياً في أن تصبح تلك الظاهرة محل انتباه الناس.

يمكن اي فرد يدرس علم الاجتماع أو علم النفس أو علم الاتصال أن يستفيد بشكل كبير من تتبع تلك النماذج أو أن ينشيء نماذجه الخاصة.

25. إثراء دروس تعلم اللغات الأجنبية: إن الطريقة الفريدة التي يتبعها «تويتر» في الحد الأقصى لحروف كل تغريدة، يجعل الأمر شيقاً لاعتباره طريقة لاكتساب وتعلم اللغات الأجنبية.

يمكنك أن تطلق تغريدة باللغة الأجنبية في الصباح أو عند بداية كل درس ثم تطلب من التلاميذ أن يقومون بترجمتها أو أن يستجيبوا لها بشكل سريع، تلك طريقة إضافية سهلة ولا معاناة فيها إلى حد ما.

26. التنقيح والتطوير: «أنا دومينجيز» معلمة

في رياض الأطفال تفضل استخدام «المدونات المصغرة» الأكثر شيوعاً كأداة لتطوير الأنشطة اليومية التي تقوم بها، كما تستخدمها في أن تخبر أولياء الأمور والزملائها من المدرسين بأي أمر جديد وشيق متعلق بالمجال.

هذا الأمر لا يقتصر فقط على مساعدتهم على دروسهم وزمجالهم وإنما يفيد أيضاً في أنه طريقة لطيفة لتقديم معلومات أكثر عن الشبكات الاجتماعية.

27. مساعدة الطلبة على شهرة أسمائهم: يطمح أعضاء هيئة التدريس أن يعززوا المستقبل المهني لتلاميذهم، وقد يكون هذا من خلال تعليمهم طرق اقتناص فرص وظيفية من خلال الشبكات الاجتماعية.

بالنسبة للدارسي إدارة الأعمال، يمكنهم الاستفادة من هذه الاستراتيجية تحديداً في دراسة ما يسميه بـ «العلامة التجارية الشخصية».

28. إنشاء شبكة خارج إطار «تويتر» أو أن تجعل تلاميذك يقومون بإنشائها، واستقطاب متعلمين أو مختصين من فصول دراسية أخرى. تلك الشبكات لن تساعد فقط على توسيع آفاق الدارسين، بل أيضاً ستقدم درساً عملياً وممتعاً عن دور الشبكات الاجتماعية في لعب دور حيوي في حياتهم سواء كان إيجابياً أو سلبياً.

محاضرة أو تعميم أو خبر هام في شكل تغريدة على «تويتر» بدلاً من إرسال إيميل.

بهذا يمكن - بكل تأكيد - تجنب برامج فرز البريد غير الهام «spam» والتي كثيراً ما تمنع استلام رسائل على درجة عالية من الأهمية يجب أن يعرفها الطالب في نفس الوقت.

5. إشعار باكتمال المهام المطلوبة: وفي الجانب الآخر، يستخدم الآن العديد من الطلاب «تويتر» بهدف إبلاغ المعلمين بأنهم قد أنهوا المهام المطلوبة منهم

هذه الاستراتيجية تكون ذات فاعلية عالية في إطار الدورات التي يتم تنظيمها عبر الانترنت تلك التي يحقق الفصل الدراسي ميزة التجهيزات التقنية وتوفر الانترنت.

6. «TwitLit» تقدم خاصية الـ 140 حرف تحدي لطيف وبسيط للطلبة والمبدعين من المعلمين والمؤلفين على حد سواء في وضع ملاحظة أو شد الانتباه باستخدام تلك الخاصية، مثل

كتابة أشعار أو قصص قصيرة أو أي كتابات

أخرى تماماً، فإن طبيعة الموقع المتميزة تقدم بعض الوسائل الممتازة للتعبير المبدع والمختصر

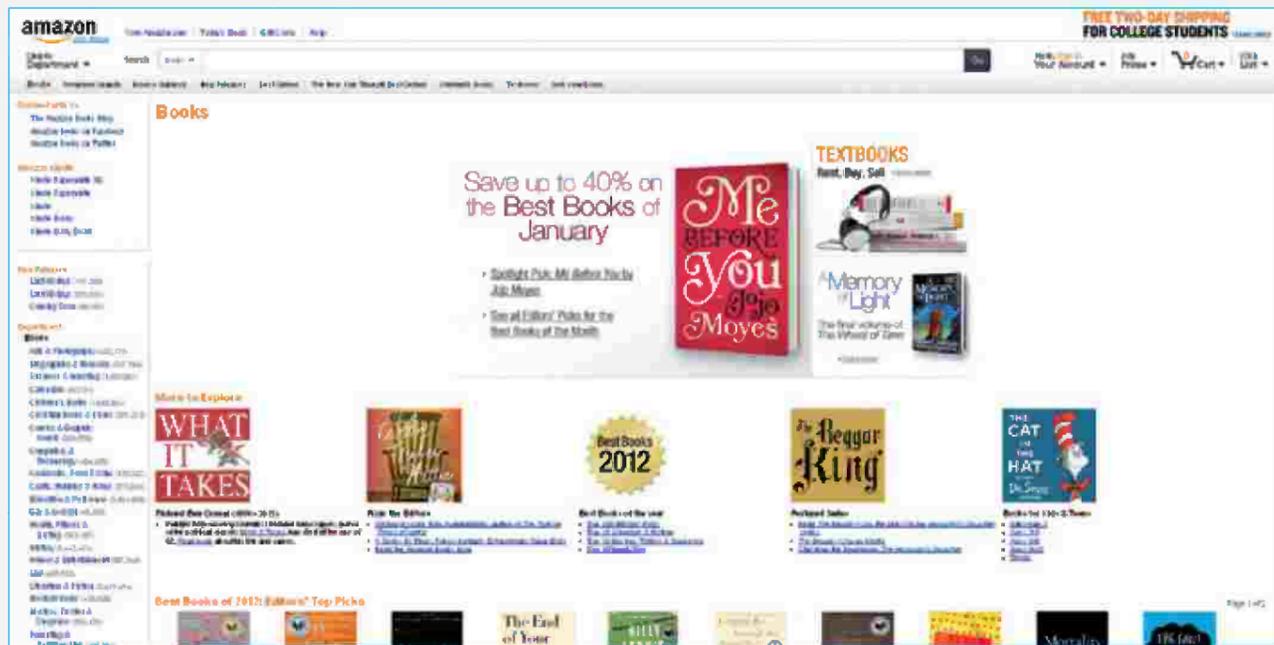
7. تتبّع الكلمة والاتجاهات والآراء والوسم (hashtag): لتبقى على اطلاع مستمر على ما يتكلم عنه الناس، ومن خلال أفق واسع بشكل لا

يكاد يصدق عقل، يتطلب منك فقط أن تشترك مع شخص يعينه أو أن تتبّع وسم محدد أو اتجاه أو كلمات مفتاحية يمكنها أن تفتح لك نافذة مجانية وحررة وبسيطة على العالم بأسره.

8. متابعة المؤتمرات:

يريد بعض المعلمين من طلابهم أن يتابعوا أخبار مؤتمرات بعينها وأن يكونوا على اطلاع على ما يحدث من تطورات في صناعة محددة من خلال متابعة تلك المؤتمرات، إن التغريدات الأكثر فاعلية، هي تلك التي تحتوي في أغلب الأحيان على روابط مقاطع صوتية أو فيديو.

9. التواصل مع المتخصصين:



كتابة المقدمات وفي نفس التخصص، كما تعتمد معظم محركات بحث الكتب على النبذة التسويقية والمقدمة في الترويج للكتب ومن ذلك على سبيل المثال أمازون وقوقل وأتونومي وقود رديز.

مثال: كتاب إعجاز القرآن عبر التاريخ

الرابط:

<http://books.google.com.sa/books?id=NypiS5vPIREC>

#### سادساً: الألوان التسويقية

يعتبر هذا المعيار أحد الفنون التي بدأت تنتهجها بعض دور النشر العالمية التي تطبيق معايير متقدمة في التسويق، ذلك أن تناسق ألوان الكتاب أو السلسلة وكذلك الصور بداخل الكتاب إن وجدت وخلفية الكتاب كذلك أيضاً الخطوط الداخلية للكتاب تشكل منعطفاً مهماً بالغ الأهمية في التسويق والترويج للكتب، ولا أدل على ذلك من قيام دار النشر giftbooks المتخصصة بكتب الهدايا في بريطانيا بإعتماد ألوان وخطوط محددة لكل إصدارات الدار من الكتب، ولاقت هذه الطريقة رواجاً غير مسبوق لكتب الدار كما بدأت هذه العدوى تنتشر بين بعض دور النشر وذلك من خلال اعتماد معايير قياسية للألوان والخطوط وفق معايير مختلفة بحسب تخصص الكتب ومقاساتها والنطاق الجغرافي للتوزيع.

مثال: كتاب Birthday Boy

الرابط:

<http://shop.helenexleygiftbooks.com/giftbooks/series>

#### سابعاً: المقاس التسويقية

يعتبر المقاس من الأمور التي يجب أن تؤخذ بالحسبان عند تنفيذ تصميم الكتاب، حيث أن بعض التخصصات لا تحتمل بعض المقاسات، فكتب تطوير الذات مثلاً: لها مقاس معتمد عالمياً وتجاوزة إلى غير ذلك يضر بالكتاب من الناحيتين التسويقية وطريقة عرضة على الرف في المتاجر، كذلك كتب الروايات يجب أن تخضع لمقاس محدد يضمن عرضه وتسويقه بشكل إيجابي، والأمر ينطبق على الأطالس وكتب الديكور والطبخ، ويجب في هذا الصدد تحديداً الابتعاد عن القناعات الشخصية والذوق الخاص حيث أن هذين الأمرين من أكثر الأمور إزهاقاً لروح الكتاب والحد من ترويجه ونفاذه إلى

#### ثالثاً: الغلاف التسويقي

شخصياً أعتبر موضوع تصميم غلاف الكتاب مرتبط الفرس في العملية التسويقية للكتب، حي أثبتت بعض دراسات دور النشر العالمية أن تصميم الغلاف يشكل مانسته 62% من أسباب تسويق الكتاب، ويخضع هذا المعيار لأهمية بالغة ودراسات مستفيضة واستفتاءات لأراء القراء بشكل لا يقبل الاجتهاد والأراء الشخصية التي تغلب على تصميم أغلفة الكتب العربية، وعلى سبيل المثال تقوم شركة McGraw Hill للنشر بعمل 36 تصميم لغلاف الكتاب الواحد يقوم بها 12 مصمم بواقع 3 أغلفة لكل مصمم ومن ثم يتم الفرز بينها لاختيار الأنسب تسويقياً: وفي حال الاختلاف مع المؤلف فيتم إحالة موضوع الاختيار للاستفتاء مع القاريء من خلال قواعد بيانات معيارية معدة لهذا الأمر، يذكر أن أحد أغلفة كتب هذا الناشر قد كلفت ما يقارب 60.000 دولار أمريكي، لكن النتيجة كانت أن تم بيع قرابة 100.000 نسخة فقط في الولايات المتحدة من هذا الكتاب، الأمر الآخر أنه يجب على المؤلف أو الكاتب أو الناشر الإبتعاد عن الإنطباع الشخصي والذوق الفردي في هذا الأمر وهذا للأسف مانلمسه في كثير من الكتب العربية حيث يخضع الأمر للقناعة الشخصية البحتة أكثر من المنهج العلمي، مما يفقد الكتاب الكثير من فرص التسويق والبيع.

مثال للغلاف التسويقي: كتاب The Chance

الرابط:

<http://www.amazon.com/Chance-Novel-Karen-Kingsbury/dp>

#### رابعاً: النبذة التسويقية

تعتبر النبذة الخاصة بالكتاب أمراً مهماً للغاية في التعريف بالكتاب والتسويق له من خلال ما يقارب 150 إلى 250 كلمة تكون شاملة ووافية عن الكتاب، كما أن كتابة هذه النبذة يجب أن تكون على أيد محترف بالكتابة التسويقية للكتب ويجب أن يكون مطلعاً ومدركاً لمحتوى الكتاب وأن يضمن النبذة ما يفرى القاريء ويجذبه لإقتناء وقراءة الكتاب، كما وتعتبر دور النشر والمؤلفين المحترفين أمر النبذة التعريفية للكتاب أمراً لا مفر منه اليوم لزيادة التعريف بالكتاب ونشره وبثه عبر مواقع التسويق المختلفة، كما أنها

## كيف تسوق كتابك

وسائل عملية لتسويق الكتاب من خلال تنفيذ بعض المعطيات

محمد بن عبدالله الفريح

كاتب ومفكر ومدير إدارة النشر والترجمة - شركة العبيكان للتعليم



لا شك أن الحديث عن الكتاب حديث مهم، كيف لا، والكتاب وعاء الثقافة الرصينة والفكر المستقر، وهو خزانة المعارف الإنسانية، ومستودع التجارب البشرية المتراكمة، يحفظها السلف للخلف كي ينطلق الخلف منها ويبني عليها. إن صناعة وتسويق الكتاب في الدول المتقدمة تحقق دخلاً كبيراً يفوق بعض الأحيان دخل العديد من الصناعات الأخرى، بل ربما يفوق الدخل الذي يحققه المنتج نفسه، بينما نجد ما زالت في بعض الدول النامية تحتل موقعاً هامشياً على الخريطة الاقتصادية، وذلك نتيجة لبعض الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة في هذه الدول والتي منها كثير من الدول العربية.

وفي الآونة الأخيرة خطى الكتاب العربي بصفة عامة خطوات مهمة وقفزات نوعية من حيث العناية به تأليفاً ونشراً في العديد من كبريات دور النشر العربية، إلا أنه لا يزال يعاني من بعض المعوقات التي تعوق تسويقه سواء داخل الدول العربية نفسها أو خارجها. ومما يلفت النظر ويستحق التوقف عنده كثيراً ذلك الرقم المنخفض لعدد الكتب التي تطبع من كل عنوان جديد، حيث ذكر بعض أصحاب دور النشر العربية أنهم يطبعون من 500 إلى 1000 نسخة من كل عنوان وبالكاذ يتم تصريفها. وعند مقارنة هذا الرقم المتدني مع ما يطبع في الدول المتقدمة يظهر لنا الفارق الكبير جداً، فبماذا يعزى هذا؟

وحيث أن الكتاب العربي في الوقت الحالي بالذات بحاجة ماسة إلى الدعم المستمر من أطراف عديدة لكي يكون في متناول الجميع فإننا في هذه الأسطر سوف نلقي الضوء على موضوع تنفيذ بعض الوسائل العملية لتسويق الكتاب من خلال تنفيذ بعض الأفكار.

ويعنى تسويق الكتاب بمفهومه العلمي الحديث جميع الأنشطة التجارية (الفنية والتقنية والإدارية) المتعلقة بتوصيل الكتاب من الناشر إلى القارئ. وتهدف هذه الأسطر بصفة عامة إلى خدمة ودعم الكاتب والمؤلف والناشر العربي ومساعدته في تغيير طريقة تفكيره نحو تسويق كتابه، وذلك بمحاولة التعرف على بعض الأساليب العلمية المتطورة التي تساعد على الترويج للكتاب بالقدر المناسب الذي يتلائم مع المتغيرات في هذه الصناعة، ومن المؤكد بأنه كلما ازدادت أعداد النسخ الموزعة من كل كتاب فإن هذا يعكس بالطبع إيجاباً على مسيرة التنمية عموماً وعلى الثراء المعرفي للبشر بشكل أوسع، ويرفع بالتالي من مستوى الفرد العلمي والثقافي والمعرفي. وحول موضوع تسويق الكتاب تتلخص القضايا التي سيتم إستعراضها في هذه الأسطر على النقاط التالية والتي تم ذكرها بشكل مقتضب وسريع مع ذكر مثال عليها مع رابط على الشبكة لزيادة المعلومات لمن أراد التوسع في أي نقطة من النقاط المذكورة راجياً من الله أن تكون ذات قيمة مضافة للقاريء والمؤلف والناشر على حد سواء.

#### ثانياً: العنوان التسويقي

بما أن العنوان سيكون مبهماً أو غامضاً أو غير مباشر سمه ماشئت فإن من الضروري أن يكون هناك عنوان شارح تسويقي مشوق يضطر معه القاريء لسبر أغوار هذا الكتاب ويثير الفضول لديه للإطلاع عليه وتقليبه، وبمجرد حصول هذا الأمر فإن العنوان الشارح يكون قد أدى دوره بالفعل ونجحت في جذب إنتباه القاريء، من المهم جداً أن يكون العنوان الشارح قليل العبارات دقيق التوصيف ليكون أكثر جذباً وتشويقاً. ولكي تتأكد من دقة وصف العنوان الشارح يمكن عرضة على بعض أصدقائك مستقلاً عن العنوان وطلب رأيهم فيه فإن إستطاعوا معرفة موضوع الكتاب من خلاله تكون قد حققت الهدف مباشرة من هذا الاختيار.

مثال: كتاب هل مديرك مجنون: الدليل الحاسم في كيفية التعامل مع مديرك

الرابط:

<http://www.saudiinfocus.com/ar/forum/showthread.php>  
<http://www.albiladpress.com/article174623.html>

#### أولاً: العنوان التسويقي

تعتبر كثير من دور النشر العالمية أن اختيار عنوان يجب أن يخضع لمعايير التسويق العالي الكفاءة بالدرجة الأولى وتكون أبرز ملامحة: التعبير، الغموض، عدم المباشرة، لفت الإنتباه، الرمزية. وقد حققت هذه المعايير تغييراً ملحوظاً في نمط الشراء لدى القاريء بمجرد البدء باستخدام هذه الطريقة، ومن أبرز ملامح هذه الطريقة الابتعاد عن النمطية باختيار العناوين بشكل جذري.

مثال: التهم هذا الضفدع: إبدأ بالأهم ولو كان صعباً

الرابط:

<http://www.ghrib.net/vb/showthread.php>  
<http://www.abunawaf.com/post-9589.html>

الأسواق.

مثال: Adventures of an IT Leader

الرباط:

<http://hbsp.harvard.edu/list/book-chapters>

ثامناً: المحاضرات التسويقية عن الكتب

من أبرز المسلمات لدى كثير إن لم يكن كل دور النشر والموزعين أن الكتاب الذي يحظى بحضور إعلامي وبأي شكل من خلال مؤلفه أو غيره، وسواء كانت بشكل مباشر أو غير مباشر يساهم بشكل كبير في تسويق الكتاب والترويج له والتعريف به لدى شريحة واسعة من القراء والمهتمين، كما أنه يساهم بشكل فاعل في زيادة مبيعات الكتاب على المديين المتوسط والبعيد.

مثال: معجم الفردوس معجم إنجليزي-عربي للكلمات الإنجليزية ذات الأصول العربية

الرباط:

<http://twitmail.com/email/42342609714/%D985%><http://m.youtube.com/watch?hl=ar>

تاسعاً: حفلات توقيع الكتب

هي احتفالية تقوم بها دار نشر الكتاب أو مكتبة أو الكاتب نفسه للتحديث عن الكتاب والتوقيع عليه للقراء، وتعتبر هذه الطريقة من الأساليب التسويقية والتعريفية الحديثة للكتاب حيث يعتبر الكثير من القراء أن توقيع المؤلف على الكتاب تزيد من قيمته المعنوية، كما أن كثير من القراء يحرص على حضور هذه الحفلات وشراء نسخة من الكتاب والإحتفاظ بها مع توقيع المؤلف عليها، وهي تعتبر أحد الوسائل الجيدة للتعريف بالكتاب والترويج له وغالباً ما يكون هذا للإصدارات الجديدة من الكتب أو الطبعة ذات القيمة المضافة عن الطبعة السابقة.

مثال: كتاب قصص أعجبت طلابي

الرباط:

<http://www.facebook.com/OPBookcafe?ref=stream&filter=3>

عاشرًا: التسويق عبر شبكات التواصل الاجتماعي

وهو يعني استخدام تقنيات التسويق التي توفرها الشبكات الاجتماعية

المختلفة لزيادة الوعي والمعرفة للكتب وغيرها من المنتجات. هذا وتعد قنوات الإعلام الاجتماعية واحدة من الوسائل الأكثر نمواً في هذا العقد، ولا زالت تنمو بسرعة فائقة، حتى أصبح من المرشح أن عدد الزوار إلى مواقع وسائل الإعلام الاجتماعية سيتجاوز قريباً عدد الأشخاص الذين يستخدمون محركات البحث، ولذلك فإن مواقع الشبكات الاجتماعية مثل فيسبوك، يوتيوب، لينكدان، وتويتر، إذا ما استخدمت بشكل صحيح، تسمح لدور النشر والمؤلفين والكتاب لإشهار أنفسهم وكتبهم وكسب الشعبية على شبكة الإنترنت عن طريق استخدام أنواع مختلفة من تقنيات الويب 2.0 المتاحة، مثل المدونات والفيديو ومواقع مشاركة الصور ومواقع مشاركة الروابط الاجتماعية. وبالفعل، فقد اتخذ التسويق الاجتماعي النسخة الإلكترونية للتسويق عبر "كلمة الفم" (إن صح التعبير) أو ما يُعرف بـ word of mouth advertising بالإنجليزية. ولذلك فإن استخدام مثل هذه التقنيات بالطريقة الصحيحة يؤدي إلى المزيد من الزبائن، المزيد من المبيعات، وارتفاع مستوى الحضور على الإنترنت بشكل أكبر من أي وقت مضى. على سبيل المثال، وفقاً لتقارير صدرت حديثاً، فإن 59% من مستخدمي الإنترنت يقومون بعمليات الشراء على أساس التوصيات التي وردت من خلال مواقع وسائل الإعلام الاجتماعية. وعليه، فإن استخدام وسائل الإعلام الاجتماعية للتسويق أمر يحدث الآن بالفعل. الناس يتحدثون عنك، عن كتبك، وعن خدماتك، وعن الشركة الخاصة بك، على مواقع اجتماعية هي المكان حيث يتواجد الناس. دعنا نقول أن هناك معرضاً سيحضره 300 مليون شخص، وأنا أقمت لك كشكاً مجاناً.. هل ستأتي؟ أعتقد ذلك. الفيسبوك على سبيل المثال يحتوي على أكثر من 700 مليون مشترك ولا زال ينمو بمعدل 600.000 مستخدم جديد يومياً. هل يمكن لك أن تستغني عنه؟

مثال: كتاب أسئلة الثورة

الرباط

<http://www.goodreads.com/book/show/13516777>

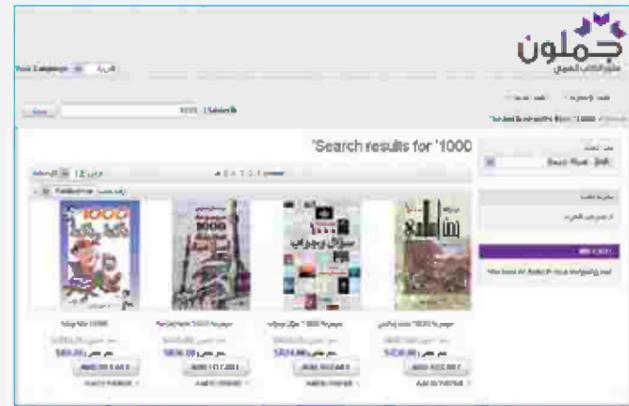
إحدى عشر: التسويق عبر مواقع البيع الإلكتروني

تعتبر هذه الطريقة من أحدث الطرق نسبياً في المنطقة العربية، وإن لم تكن جديدة في مفهوم التسوق الإلكتروني فمتجري أمازون وبارنز أند نوبل ومايعادلها بالنسخة العربية نيل وفرات وجملون خير مثال على ذلك، إلا أن هذا الأمر بالنسبة للكتاب العربي يواجه صعوبات بالغة تتعلق بطبيعته وثقافة المستهلك العربي تجاه الكتب، وكذلك من حيث طبيعة علاقة الموزع

الإلكتروني مع مؤلفي ومنتجي الكتب العربية، إلا أنه في السنتين الأخيرتين ظهرت بعض المواقع العربية التي تستحق الإشادة منها ما هو متخصص بالكتب حصراً، ومنها ما هو عام لجميع المنتجات بما فيها الكتب، ووجود الكتاب ضمن هذه الأسواق والتعريف به يتيح لها قدر من الانتشار والتسويق والتعريف غير التقليدية، كما يوسع من عملية تداول المعلومات والتوصيات الخاصة بالكتاب.

مثال: 1000 سؤال وجواب في علم الأعشاب

الرباط:

<http://www.e-mall.com.sa/arabic/buyer/pages/productdetails.aspx><http://jamalon.com/ar/catalogsearch/result/?q=1000><http://saudi.souq.com/sa-ar><http://www.neelwafurat.com><http://warqat.com>

إثنا عشر: التسويق بإتاحة النسخة الإلكترونية

كثيرة هي التعريفات التي حاولت شرح المقصد من كلمة تسويق، لكنها يمكن أن تصاغ بشكل سهل: التسويق هو وسيلة لزيادة العوائد التي تحصل

عليها من عمل تجاري أو فني أو حرفي وتلك العوائد توفر لك دخلاً أكبر، يجعلك تعيش حياة أفضل. التسويق علمٌ يحاول فهم ما الذي يجعل الفرد منا يوافق على شراء سلعة / خدمة بعينها، منفقاً من ماله الذي كد في جمعه. التسويق هو مجموعة من القرارات الذكية تتخذها عندما تبدأ نشاطاً فنياً، وهذا الأمر ينطبق على الكتاب بحدا فيرة إلا إنه يختلف عن غيره من المنتجات بطرق عرضة، حيث يحتاج القاريء أحياناً ليقوم بتلمس الكتاب وتصفحه وتقليبه قبل اتخاذ قرار الشراء وهذا ما لم يحصل من خلال النسخة الافتراضية أو الورقية عبر الإنترنت ما الحل؟ بكل بساطة إتاحة ما يقارب من 25 إلى 35% من الكتاب مجاناً عبر كل منافذ التسويق والمواقع الإلكترونية، مما سيساعد على جذب القاريء وزيادة ثقة بالكتاب وسرعة أخذ قرار الشراء، وهذه النهج تتبعها معظم إن لم يكن كل دور النشر والمؤلفين المتابعين لحركة وتطور العلاقة بين الكتاب والقاريء بل إن بعض المؤلفين قام بإتاحة كتابة بالكامل مجاناً وفي نهاية الكتاب كتبت العبارة التالية:

«إذا أعجبك الكتاب وأحسست أنه أضاف لك شيئاً فيمكن المساهمة بدعمه من خلال شراء نسخة ورقية منه»

وهناك تجربة شخصيه قمت بعملها قبل 3 سنوات حيث تمت إتاحة كتاب « فن إدارة المواقف إلهام للقرار الصحيح» عبر كل وسائل التسويق الإلكترونية مجاناً ولا يزال، الأمر الذي أدى إلى تحميل ما يقارب مليوني نسخة حسب تقرير متجر نون للكتب الإلكترونية، الذي أدى في النهاية إلى بيع طبعيتين مكونة من 10.000 نسخة خلال سنتين ونصف.

مثال: كتاب فن إدارة المواقف

الرباط:

<http://www.noonbooks.com/catalogsearch/resul>

التسويق عبر البريد الإلكتروني

هي طريقة تقليدية وغير مبتكرة إلا أنها كثيراً ماتوتت ثمارها وبسرعة شديدة وبكلفة قليلة نسبياً مع بعض وسائل الترويج الحديثة، الأمر الآخر سهولة تعريف من تربطك بهم علاقة من أي نوع بمنتجك، وكتابة ماتريد عن الكتاب بحرية وإضافة بعض المقتطفات عن الكتاب أو جزء منه بالإضافة إلى الغلاف مع الرسائل أمر محبب للقاريء ويزيد من فرص بيع الكتاب والتعريف به وتمثيره عبر وسائل الربط الاجتماعي الأخرى. ويمكن القيام بهذه العملية من خلالك شخصياً أي بالإشتراك ببعض مواقع البريد الإلكتروني، أو من خلال شركات تقوم بهذه الخدمة نيابة عن المؤلف أو الناشر ومن مزايا هذه الخدمة أن النظام الخاص بالرسائل يصطيك

تقرير مفصل بهذة الرسائل من حيث عدد العناوين المدرجة، عدد البريد الراجع، عدد من قاموا بفتح الرسالة، عدد من قاموا بالضغط على الروابط داخل الرسالة وهكذا.  
رابط إضافي للمزيد:  
<http://www.forbesmiddleeast.com/read.php?story=1026>



روابط لشركات بريد إلكتروني تقوم بإعطائك خاصية التحكم برسائل وتقارير البريد المرسل  
<https://www.icontact.com/features/email-marketing-solutions>

<https://www.icontact.com/affordable-email-marketing>  
روابط لشركات تقوم بتقديم الخدمة نيابة عن المؤلف أو الناشر أو الموزع  
[www.gulfsender.com](http://www.gulfsender.com)  
[www.clickjordan.net](http://www.clickjordan.net)



التعريف بالكتاب عبر بعض المواقع المتخصصة.

ونقصد به تحديداً بعض المواقع العالمية والعربية المتخصصة بتسويق الكتب والتعريف بها بشكل مباشر دون تكاليف على المؤلف أو الناشر أو الموزع وهي تساهم بشكل مباشر بربط المؤلف بالقراء ومحبي الكتاب من خلال هذه المواقع وتلقي هذه الطريقة رواجاً وإنجاباً غير مألوف، كما أنها تساهم بشكل مباشر بارتفاع مبيعات الكتاب بشكل غير متحيز ومنهجي يضع القاريء في حالة تصويب قرار الشراء من عدمه.

مثال:

الرابط:

روابط إضافية لمواقع عالمية تقوم بالتعريف المجاني للكتب  
<http://www.amazon.com/books-used-books>

<http://www.goodreads.com>

<http://authonomy.com>

روابط إضافية لبعض المواقع العربية التي تقوم بالتعريف المجاني للكتب  
<http://beta.kotob.me>  
<http://bazaralketab.com/BooksMain.aspx>



<http://www.neelwafurat.com/browse>



الروابط التسويقية

هي طريقة حديثة نسبياً وتعني وضع البيانات الخاصة بالكتاب والغلاف وكذلك جزء منه عبر أحد المواقع من ثم إرسال الرابط لشبكة من القراء محددين سلفاً عبر رسائل البريد



والواتس أب و sms، mms

وهذه الخدمة يجب أن يديرها المؤلف أو الناشر أو الموزع

بنفسه ولا يسمح لأحد بإدارتها نظراً لخطورة إساءة الاستخدام أو الإزعاج والتي قد تعكس سلباً على حملات التسويق.

مثال: تعريفات ورسائل المؤلف الداعية محمد المنجد عبر الواتس أب  
الرابط:

+966582129438

رابط شركات تقدم خدمة الرسائل النصية الجماعية BulkSMS بأسعار جيدة

<http://strust.com/Default.aspx?pad=1>

<http://www.yamamah.com/Index.asp>

حملات BR

وهذه الحملات غالباً تقوم بها جهات أو أفراد متخصصين لصالح المؤلف أو دار النشر أو جهة ما، وتحتاج هذه الطريقة لتحديد الجهات المستهدفة وطرق الإعلان وكلفته قبل البدء بالحملة، وهذه الطريقة تؤدي نتائج جيدة للتعريف الأولي للكتاب فقط، وهذا يعتمد بشكل أساسي على التحرير الجيد للمادة المراد الإعلان عنها وكذلك اختيار الأوقات والأماكن المناسبة للإعلان وقد تكون النتائج غير متوقعة من حيث البيع إلا أنها ممتازة من حيث التعريف بالكتاب وإعطاء معلومات تفصيلية عند صدوره.

مثال: كتاب «الثورة الآن»

الرابط:

<http://al-mashhad.com/News.aspx>

الإتاحة المجانية للكتب

ويقصد بها إتاحة الكتاب إلكترونياً بشكل كامل إما لفترة مؤقتة أو دائمة، وهذا يعطي مثلاً حياً للتسويق والترويج خارج النطاق المألوف وبدأت هذه الظاهرة بالإنتشار عموماً في الولايات المتحدة من خلال كتاب جون ماكسويل في كتابة التواصل الفعال: كثيرون يتحدثون قليلون يتواصلون، حيث أدت هذه الطريق إلى مايلي:

□ الترويج الورقي للكتاب بشكل غير متوقع.

□ حصول المؤلف على 7000 تعليق على الكتاب.

□ وصول 300 نصيحة للمؤلف عن الكتاب قام بإضافتها للكتاب في نسخة الورقية والإلكترونية اللاحقة.

□ نمو العلاقة الطردية بين المؤلف وقراءه ومحبيه بشكل لافت في ظاهرة بدأت تأخذ بالإتساع في العالم الغربي بشكل متسارع.

مثال: Everyone Communicates. Few Connect: What the Most Effective People Do Differently

الرابط:

<http://www.amazon.com/Everyone-Communicates-Few-Connect-Differently>

□ التوزيع المقنن على بعض القطاعات والأفراد.

هذه الطريقة تنتهجها بعض دور

النشر العالمية وبعض دور النشر

العربية والمؤلفين وهي عبارة عن

تخصيص ما يقارب 6% من عدد

النسخ المطبوعة للتوزيع على

القطاعات المعنية بموضوع الكتاب،

وبعض الصحف والمجلات والمواقع

الإلكترونية، وكذلك على بعض

الأفراد من أصحاب التخصص،

كما تطورت هذه الفكرة

لاحقاً لتشمل بعض أصحاب

الحسابات الكبيرة على

شبكات التواصل الاجتماعي

كفيس بوك وتويتر ويوتيوب،

وهذه الطريقة أثبتت تجربتها مدى

نجاحها من خلال اعتماد بعض دور النشر

للتواصل مع الكاتب:

<https://twitter.com/malfriah>

<http://www.facebook.com/profile>

<http://www.linkedin.com/inbox/messages/received>

المصادر:

تسويق الكتاب العربي أعده د. سليمان بن صالح العقلا

<http://tasweek-online.com/what-we-do/social-media-marketing>

<http://ar.wikipedia.org/wiki>

<http://www.arabicebook.com/items/item-display.aspx?IID=667>



العربية عليها في المعارض الدولية للكتب مما يساعد على الترويج للكتب والتعريف بها بأنماط تحاكي التغير الحاصل في المعرفة البشرية.

مثال: المرجع في تربية الموهوبين

الرابط:

<http://www.goodreads.com/book/show/13515311>

ولا يفوتني في نهاية هذه الأسطر أن أذكر أن هذه الوسائل ليست هي الوحيدة في التسويق والترويج والتعريف بالكتاب، إذ ربما توجد هناك طرق أخرى فالت على العبد الفقير، وربما بل من المؤكد أن المستقبل سيشهد تحولاً نوعياً في نمو وتطور تسويق الكتب والتعريف بها بشكل غير مسبوق وغير تقليدي. ولا أدل على ذلك من وصول رابط لي قبل يومين فقط لمكتبة تقوم بتأاحة الكتاب كاملاً لمدة أسبوعين مجاناً، ومن ثم تقوم برفعه من الحساب، ليقوم القاريء بعد ذلك بشراء الكتاب إما بنسخة الورقية أو الإلكترونية، وبذلك تكون هذه الطريقة غير مسبوقة في عالم النشر.

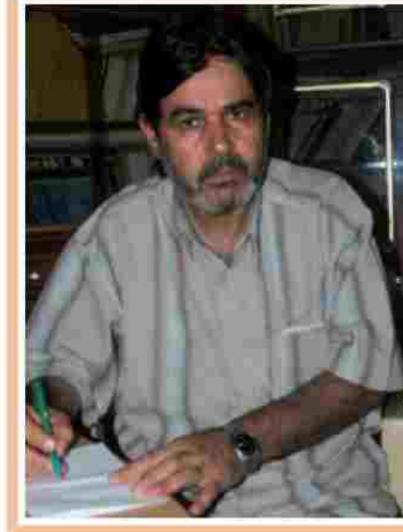
مثال: The Big Four

الرابط:

<http://openlibrary.org>



## العنصرية والإرهاب في الأدب الصهيوني



### د. خليل حسونة

#### كاتب وأديب فلسطيني

ومن هؤلاء «المجلس الأمريكي لليهودية الذي اتهم من قبل الحركة الصهيونية بالتمنكر للدين اليهودي وخيانة أصولها ومحاباة العرب وتأييد قضايهاهم.

من هنا يمكن الافتراض بشيء كبير من الدقة «أن الصهيونية واليهودية فكرتان متداخلتان بعد أن عمدت الصهيونية إلى تزوير الشريعة الموسوية حتى يتسنى لها استعمار فلسطين، وعلى أساس ما كتب هرتزل من «أن الغاية تبرر الوسيلة». وهي القاعدة التي انحصرت فيها الأفكار الرئيسية للصهيونية كما صاغها كلاسيكيوها هرتزل وبنسكو وبيروخوف وغيرهم والمتمثلة في:

- اليهود هم شعب الله المختار.  
- اليهود هم شعب ذو مصير تاريخي وسمات خاصة لا تتصف بها الشعوب الأخرى.  
- كل يهودي ينتمي إلى الأمة اليهودية ويجب على اليهود أن يطمحوا للعودة إلى موطنهم القديم فلسطين!  
على هذه الأسس استطاعت الصهيونية أدلجة

الظاهرة الأدبية الصهيونية لا تخرج عن كونها تنظير للفكر الصهيوني وتكنولوجيا لآلية فعله. فالأيديولوجيا هي مجموعة من التصورات والأفكار المترابطة والمتلاحمة التي تؤدي معنى محدداً للعلاقات الاجتماعية. وما أقصده بأداء المعنى هنا. هو أن المشتركين في هذه العلاقات يجدون أن تلك الأيديولوجيا طبيعية مقبولة صحيحة ومبررة ومشروعة. وهكذا فإن أصحاب أيديولوجية معينة يشاركون فيها ويمارسونها عفواً دون أن يكونوا مكرهين على ذلك.

استطاعت الأيديولوجيا الصهيونية خلق جسم مترابط من الأفكار المنبثقة عن المعتقدات والأساطير والحوادث التاريخية حقيقية كانت أم مزيفة. لتخفي بذلك التناقض الصارخ القائم بين شكلها ومضمونها. وهي بذلك تقوم على «ديماغوجية اجتماعية» بلا حياة وتؤثر على أناس مؤمنين غير ثابتين أيديولوجياً، وغير واعين سياسياً، وهي لأنها مبنية بشكل دقيق قادرة على التكيف حسب الظروف المختلفة. بحيث أصبح وعي ملايين الناس يهوداً وغير يهود عاجزاً عن التمييز بين الحقيقة والخيال «الميتافيزيقيا» بين ما هو صحيح وما هو مزيف تاريخياً قوتدعي الصهيونية بأنها تمثل جميع يهود العالم وأنهم جميعاً أينما وجدوا يدينون بالولاء لها ويستجيبون لدعواتها دون تمييز، فهناك من يرفض إصباح التفسيرات القومية الضيقة على الديانة اليهودية وقيمها الأخلاقية بمدلولها الإنساني.

### سمات الحياة الأدبية الإسرائيلية

يشير النقاد إلى ثلاث سمات في الحياة الأدبية الإسرائيلية تؤكد ماهية الثقافة التي تجري ممارستها بهدف خدمة الأيديولوجية الصهيونية. هذه السمات هي:

1 - هناك تدخل فظ في حرية التعبير الأدبي الإسرائيلي إذا جنح إلى مخالفة جوهر أهداف السلطة الإسرائيلية وهو أمر يمثل الجانب الضيق من عملية شاملة تستهدف تجنيد الأدباء الإسرائيليين من أجل العودة إلى مفاهيم السياسة الإسرائيلية ومرتكزات الفكر الصهيوني.

2 - الأدب العبري في إسرائيل يواكب أهداف السلطة وهو أداة في يدها لتحريك الجماهير اليهودية وهو أدب يحمل سمات الصنعة، والأدباء العبريون «أبواق السلطة الحاكمة والصهيونية هدفها إفتناع القارئ العبري بأن ليس أمام العبري إلا الرضوخ لما تملبه عليه الصهيونية وأن العرب لا يفهمون إلا لغة القوة».

3 - هناك أدب يتحرك لخدمة الدعوة الصهيونية لما يسمى «بالقومية اليهودية» وارتباطها بفلسطين أرضاً وتاريخاً. وفقاً «للمبادئ التي قام قادة الحركة الصهيونية يخوضون على أساسها حملاتهم السياسية لتحقيق الأهداف الصهيونية» وقد عبر عن ماهية هذه الدعوة في إطارها الأدبي الكاتب الصهيوني «حاييم هزار» الذي شغل ذات مرة منصب رئيس اتحاد الكتاب العبريين حين قال «إن عنصرية الشعب اليهودي تكمن في ذاكرته التي ظلت تعي على امتداد عشرين قرناً كونه وحدة غير قابلة للتفتت» وحينما يقول هزار، هذا إنما يريد أن ينفذ منه دور الأديب الصهيوني وتحديده. أن هذا الدور يتحدد في العمل على تغذية الذاكرة الجماعية لدى أبناء الطوائف اليهودية وإثارة مشاعر الانتماء القومي الموهوم لديهم. والعزف على وتر العلاقة التاريخية التي تربط بين اليهودي والأرض الفلسطينية، وكما جاء في سفر ارميا «أيها الرب، رجا إسرائيل كل الذين يتروكونك يخزون».

### الأرض التاريخية ومعاداة السامية

إن دراسة الوثائق الصهيونية وأفعال الحكومة الإسرائيلية تبينان لنا مفاتيح المذهب الصهيوني والذي هو مدون في نظريات وأفعال هرتزل ووايزمن وبن غوريون وغولدا مئير وقيادات صهيونية أخرى. ونستطيع أن نوجز مجمل آراءهم:

1 - أن العالم الخارجي اللايهودي هو عالم بطبيعته ضد السامية وسيلجأ هذا العالم أخيراً إما لتدمير اليهود وأما لامتصاصهم!.

2 - لا مفر لكل اليهود في العالم من مغادرة أوطانهم التي يعيشون فيها «المنفى»! ويعودون إلى أرض إسرائيل الخاصة والمطلقة لهم. والهدف من العودة أحياء دولة داود وسليمان القديمة، بحدودها المقدسة وبلطيف العبارة فهذه الأرض وطن اليهود!

3 - في سبيل الحفاظ على نقاء العنصر اليهودي يجب طرد كل إنسان غير يهودي وإذا ما رفضوا فإنهم يجب أن يعيشوا تحت شروط سيكولوجية قادرة على خلق جدار منيع يفصل بين المجتمع المقدس والغريب وهذا تعبير مأخوذ من التوراة. ويحمل الازدراء والاستخفاف. من هنا تسلحت الصهيونية ومنذ البداية بطرق تشوه الوقائع التاريخية محاولة استخدام الحوادث الغابرة لخدمة أهدافها. لهذا يركز الصهاينة في وثائقهم ونشاطهم الدعائي على محاولة البرهان على حق اليهود في فلسطين كوطن تاريخي لهم طردوا منه بالقوة، وذاقوا الأمرين طيلة عدة قرون. ولكنهم ظلوا يلتمون بالعودة إلى هناك لهذا أتقنت الصهيونية كل دعوة لعداء اليهود لدفعهم للانفلاق والمحافظة على «الجوهر اليهودي» ثم دفعهم لتحقيق المآرب الصهيونية لإنجاز الوطن المزعوم وهنا باتت الهجرة والاستيطان ضروريين لتحقيق قيام إسرائيل على الأرض التاريخية المزعومة. ولقد أشار بيجين ذات مرة في برنامج الانتخابي إلى الهجرة وأهميتها للكيان الصهيوني قائلاً: «ستعمل الحكومة على تشجيع الهجرة باعتبارها على رأس الأولويات» من هذا المنطلق تم ذبح قرى بأكملها على الطريقة النازية وإصدار القوانين المساعدة للاستيلاء على الأرض. ووصم كل من ينتقد تصرفاتهم بصفة اللاسامية ورغبة إبادة اليهود.

وبما أن الظاهرة الأدبية الصهيونية ظاهرة مصطنعة لعدم وجود أدب يهودي بالمعنى العلمي لهذه الكلمة نظراً لأنه لا يغوص في العمق إنما يسير باتجاه السطح لغاية إعلامية تخدم أهدافاً سياسية في العصر الحاضر كما كانت في العصور الوسطى بينما كان هدفه قديماً خلق نوع من النزوع المتعالي بوجه الأحداث التاريخية والانضواء لاجترار تعاليم أثرت تأثيراً مباشراً على بنية اليهود السيكولوجية والفكرية



والإحياءات الدينية المستمرة ومنها انطلق تصور مشترك كحل لمشكلتهم باللجوء إلى «الجيتوات» فأدى ذلك بهم إلى العنصرية الشوفينية وبالتالي إلى توقفهم أمام تيارات التغيير ونواميس التطور. وتمثل رواية «العشب الأحمر يشتعل ببطء، النهر الأخضر يتدفق للأبد» للكاتب الصهيوني العنصري بنحاس سادية نموذجاً رمزياً للكتابة الأدبية الصهيونية فيها يحاول الكاتب بث توحيد صوته في نفس قارئه بالأرض العربية عبر مقولة «الأرض التاريخية» مستمداً رموزه والحدث في القصة من الموقف الراهن المباشر دون استخدام رموز تراثية أو خوض صريح فيما يسمى بالعلاقة التاريخية وتجسد الشخصيات الثلاثة الرئيسية في القصة ذلك البناء الفلسفي الذي تقوم عليه القصة والذي يرتبط بالشوق الصوتي للأرض والحلم التوراتي الذي يصوره أرض إسرائيل.

«قالت: شيء ما بداخلي يغني. لكن دون نعم . بماذا يغني؟  
- إنه يغني هكذا... العشب الأحمر يشتعل ببطء، النهر الأخضر يتدفق للأبد.  
- ماذا بعد ذلك؟  
- ليس بعد ذلك شيء. فما قلته يتكرر... ويتكرر للأبد».



## التوحد الصوفي بين الأرض والمستوطن

هذا هو التوحد الصوفي بين الأرض العربية والمستوطن الصهيوني الذي يحاول عبر أغنيته الاستحواذ عليها بصورة تزييف الواقع والحقائق التاريخية والتوحد هنا بين «افيجيل» الأرض. و«افشالوم» الشعب اليهودي الذي تصلها به وشيجة الدم كما يقول الكاتب الصهيوني، وهنا «التزييف الحقيقي في أبرز مظاهره» إذ أنه ينفي وجود الشعب العربي في صورة فاضحة لا تتمشى وحقائق التاريخ ويستمر ذلك ليقول: إنها «الأرض» محروسة منه بلا إرادة منها أو منه «أي أن العلاقة هنا قدرية تستحضر التراث اليهودي «لنسلك أعطي هذه الأرض».

ورغم مرور أحداث كثيفة أبعدت هذه العلاقة، إلا أنها لا تنتقل عنه، ففي أعماقها تتردد دائماً أغنية التوحد به، أغنية العشب الأحمر التي تذوي في باطنها رغم الأضواء والرياح الساخنة والدور القائمة الفارقة في السبات والمتداخلة في حروف اللغة العربية وهنا إشارة إلى الوجود العربي، الذي رفض الكاتب الصهيوني جذريته فنعتته باللون الباهت.

«عندما خرج افشالوم من الأزقة المتداخلة المتشابكة كحروف اللغة العربية. كانا قد وصلا إلى سوق، محنة يهودا، المقفرة» هنا تخيلات أدبية لما يقال بصراحة في وصف حالة الأرض المقدسة عبر ما يسمى بسنوات النفي لليهود هي لا تأس من عودة افشالوم فما هي «الكراكي المهاجرة» طلائع الهجرة اليهودية تبشرها بقرب وصولها.

«مرت أسراب وأسراب من الكراكي متتابعة متلاحقة. كانت هذه الأسراب فيما يبدو قوام الجماعة المهاجرة الرئيس. أما ما كان قد ظهر منها قبل ذلك فلم يكن سوى طلائع للقوة الأساسية على فترات متباعدة كان يتردد صوت أشبه ببناء قصير. وفيما عدا هذا كان السكون مخيماً. من أسراب الكراكي ما كان صغيراً يضم خمسة أو ستة طيور ومنها ما كان يضم عشرين أو أكثر. غير أنهم جميعاً كانوا يتحركون على شكل رأسي صوب هدف لا يحيدون عنه» وهي صورة وضوحاً بن غوريون في رسائله حينما قال «وفلسطين ليست إلا إحدى البلاد التي غزوها. يقصد العرب. أما أهل البلاد الأصليون فهم اليهود!! وقد اعتبروها وطنهم عبر أجيال النفي والتشتت» وقد يكون الكاتب اعتمد على قول بن غوريون هذا فحرض في قصته على التسرع في الفعل وتكثيف الهجرة نحو الأرض

المقدسة التي يدعي - زورا - أنها لهم «الليلة.. الليلة أستطيع» هنا دعوة حقيقية للإسراع بهذا الفعل. «لاحت الدموع في عينيها.. أمسك وجهها بين يديه فأحس بمدى سخونة وجنتيها. أحس برائحة جلدها وشعرها المسكرة كانت شفتاها ترتعشان وعيناها المشرقتان تطفحان بتعبير من الألم والرضا في نفس الوقت. وكانت بكل ما فيها بتلك اللحظات جزءاً من حلم» إنه يقارن هنا بين الوجود العربي وطلائع الغزو الصهيوني وارتباط ذلك بالأرض التي هي في حالة حلم وذبول بعينها المشرقتين تطفحان بتعبير من الألم لوجودها تحت السارية العربية. والرضا لبدية الوجود اليهودي الذي باتت تحلم به.

«وفجأة بدأت ترتعش أراد أن يطمئنتها فضمها إليه وجعل يداعب شعرها وكفتيها العاريتين في رقة أحس بأنفاسها الحارة على وجهه وعنقه وسمعها تتمم بكلمات مختلفة. كلمات غريبة ربما قالتها في أوقات أخرى وطفقت على سطح ذاكرتها المضطربة» عله يشير هنا إلى الوجود العربي، وارتباط عرب فلسطين بلغتهم ودياناتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ويعتبر ذلك دخيلاً عربياً على الأرض في فلسطين كما يصور الكاتب. لكن افشالوم «الشعب» وهو راقد بين اليقظة والنام تطالعه رؤيا التوحد بـ «افيجيل» التي التحقت بدار الدعارة وفقدت طهارتها لأنها تعيش في كنف العرب ويعيش افشالوم بأمل تطهرها من الدنس. ويتجسد هذا التطهر في دماؤها عندما تذبح لتبعث من جديد أي عندما تغسلها الدماء من آثار العرب. الكاتب الصهيوني سادية يدعو هذا صراحة لقتل العرب، يدعو للمذابح الجماعية التي بها وحدها يسيطر اليهود على البلاد لتصبح الأرض ظاهرة خالصة للقادمين اليهود، وهو هنا يستحضر ما قام به «يوشع» عندما استطاع بالخديعة والمذابح الاستيلاء على «أريحا» من أهلها الكنعانيين العرب قبل آلاف السنين والذين لا زالوا يمارسونه حتى الآن باعتبار «أن الشعوب غير اليهودية خارج القانون» ويذكرنا هذا بحال بني إسرائيل بعد ظهور المسيح ثم بحال الذين دانوا باليهودية من الأقوام الأخرى. والذين صاروا غالبية اليهود وعاشوا في أوروبا الشرقية والوسطى فقد عاشوا في جو الأسفار وتلقيناتها ينظرون إلى غيرهم نظرة استعلاء وكيد وكره ومكر وشر. وخلال مسيرة «افشالوم» و«افيجيل» في الطريق الطويل نحو اللحظة المرجوة لتحقيق

الرؤيا يظهر لهما الشخص الغريب المفزع، هذا الغريب «المقصود به العربي صاحب الأرض الحقيقي» يعترض المسيرة. ويظهر متلصصاً متربصاً في الظلام. «فجأة أفاقت افيجيل» وهبت واقفة، جعلت تصيح السمع وراحت تنظر فيما حولها دون أن ترى شيئاً عدا بضع أشجار هنا وهناك، و«افشالوم» ينظر إليها مشدوها قالت في صوت خافت: أشعر أنه هنا.

. من؟ أنك مريضة بالأوهام يا افيجيل. . كلا... أنه يختبئ ربما خلف إحدى الأشجار. . سأبحث عنه... قال «افشالوم» وهو ينهض من مكانه.

ورغم التزوير الواضح للتاريخ لأن العربي لا يواجه في الظلام، إلا أن عنصرية الكاتب أثرت على رؤياه فأسقط ما يدور في نفس اليهود على العرب، فهم الذين يعملون في الظلام وهم الذين سرقوا فلسطين بالدسائس والتآمر. وصهيونيتهم هي التي جعلت دور الدين بالنسبة لليهود «يختلف عن دور الدين عند الشعوب الأخرى وذلك بهدف جعل الوجه الديني للحياة اليهودية مصدراً للوعي الصهيوني الذي هدف منذ قيام الصهيونية إلى استعمار فلسطين وما حولها» بأية طريقة وهذا لن يكون إلا بالقوة لقد ظلت هي العامل الأكبر في تأكيد المقولة الصهيونية «الأرض التاريخية» وبكل انعكاساتها على الأدب والأداء، فما هي الكاتبة الصهيونية «روث الموجي» تدعو في قصتها «كان يمكن شراء مدفع بهذا المال» «لا اعتماد هذه القوة من وقت قريب وزعوا عندنا منحة مالية على الأدباء ألم يكن من الممكن شراء مدفع بهذا المال. يكفينا الخبز، عش الغراب من الكماليات تماماً مثل الحلوى».

تدعو الكاتبة هنا إلى الحرب التي لا يمكن بدونها أن تتوحد بالأرض فالكاتبة «روث» في قصتها هي الأرض وميخائيل بطل القصة هو الشعب والأرض هي التي تطلبه وبأي ثمن للتوحد به وعبر جو جنسي يبرز هذا التوحد «كان في مقدوري أيضاً أن أقول له: أن الصلة الجسدية هي غالباً العدو رقم واحد ولأنها تؤدي بنا في الواقع إلى تحويل الحب» تحويل الحب من النظري إلى العملي، من الحياة في أوروبا وغيرها، من موطن اليهود إلى التوجه نحو فلسطين أي أنها تدعو لرفض الاندماج في المجتمعات الغربية والمواطن الأصلية لليهود. في قصته «لا لون للخوف» التي تتحدث عن الحرب للكاتب جدعون تلباز قد

يبدو للقارئ السطحي من تتبع أحداث القصة أن الكاتب يتألم للحرب وأنه يقف منها موقفاً راديكالياً. ولكن متبعاً لأحداث القصة يؤكد عكس ذلك. إذ أن الموقف الراديكالي والموضوعي للكاتب ومن الناحية الإنسانية على الأقل يتطلب توضيح حقوق الآخرين، والآخرين - الفلسطينيون - ولكن الكاتب لا يتطرق إلى ذلك. إنه يتألم للقتلى اليهود الذين يذهبون للاعتداء على الغير لتحقيق مقولة الأرض التاريخية.

«كان الموت أسهل الطرق بالنسبة إليه وجدوه محترقاً ومختلطاً بجزيئات إحدى الدبابات كان من المستحيل معرفة أين تبدأ جثته وأين تنتهي جثة الدبابة لم يبق على أصله الأول سوى الأشلاء وقطع الصلب المغطاة بالتراب أما سائر الأشياء فكانت منتمية إلى الماضي. كالودودة المتحجرة أما الحاضر فقد كان الذباب، ذباب الجيل في بداية الوحشة النظيفة» ورغم الألم الذي يبديه الكاتب للقتيل اليهودي إلا أنه يظهر إعجابه ببراعة الطيار اليهودي المقاتل الذي يلاحق الأعداء «الأغيار» الذين يقلقون اليهود ويظهر الكاتب بهذا المعنى فوقيته البغيضة وهو بهذا لا يخرج عن مقولات الصهيونية في تفوق العنصر اليهودي الذي يستعمر الأرض ويجلب لها الخير على حد زعمه «لن يجلب مجيئنا إلى غور بيسان أي ضرر على عرب المنطقة، العكس هو الصحيح» ويستدل الصهاينة على هذا بقول أحد الخونة اليهودي الذي يستعمر الأرض ويجلب لها الخير على حد زعمه «لن يجلب مجيئنا إلى غور بيسان أي ضرر على عرب المنطقة، العكس هو الصحيح» قبل عام 1948 حسب ما أورد ذلك بعض الكتاب الصهاينة على لسان عربي من حوران: «إسمع.. أعمل في منطقتكم أكثر من سنة. وكذلك في منطقة حيفا وأرى التقدم وبناء البيوت عندكم وكل هذا بسبب الهجرة اليهودية إلى فلسطين بسبب المهاجرين الذين يبنون البيوت والحدائق، ومزارع الأبقار والشوارع والأرصفة إنهم بحاجة إلى العمل وكل عائلة يهودية تستوطن فلسطين تعيل ثلاث عائلات عربية، هذا هو سبب تقدمكم هنا. وعدم تقدمنا في حوران لأنه لا توجد عندنا هجرة يهودية».

هذه هي الصهيونية وهذا هو الاستيطان والغلطسة. عائلة يهودية تعيل ثلاث عائلات عربية، والعرب يرحبون باليهود في حوران «سوريا» وهذا كله لن يكون إلا بالقوة. يقول تلباز في نهاية قصته وبعدها اختفت جلبة المحرك من أذنيه وفتح الطيار عينيه واستقبلته أحضان حارة وربتات على الكتف وهو ينزل إلى المر.

. هل لدى أحدكم سيجارة؟ سأل.

من كل جانب مدت إليه علب مفتوحة سحب سيجارة من إحداها وأشعلها له أحدهم جذب الطيار نفساً عميقاً ثم أطلق الدخان من زنتيه ثم ألقى السيجارة وداسها بقدمه. وما زال كل هذا غير حقيقي، ذلك أنه لم يبدأ في الإحساس بصلاية الأرض تحت قدميه إلا بعد الخطوة العاشرة» يعني ضرورة الاستمرار في القتل حتى النهاية!.

في قصة «ش.دوفين» بعنوان «مأخذ الشيطان على فاوست» نرى نموذجاً فنياً مريباً لأدب مقولة «معادة السامية» ودفع اليهود للهجرة إلى الأرض التاريخية في جانبها الوصفي وإذ أن المعروف أن الشيطان في سفر أيوب يلعب دور الشر. والسفر من كتابات التأمل اليهودية المتناثرة بروح الحكمة والتفلسف اليوناني خلال فترة الحكم اليوناني في الشرق وهو يناقش مسألة مبررات العذاب الإنساني الذي يلحق الأخيار من الناس، الشيطان في سفر أيوب يوعز إلى الرب لإنزال ضربات متلاحقة بأيوب لاختبار إيمانه لأن ذلك سيكشف زيف عقيدته ويستجيب الرب للشيطان وأمره بالتصرف «أبسط الآن يدك ومس عظمه ولحمه فإنه في وجهك يجذب عليك» هذا هو دور الشيطان في سفر أيوب دور محرض القوى السماوية العليا على إلقاء العذاب بالناس ودوره في مسرحية «فاوست» كما يفهمه كاتب القصة دور الشرير الذي يغوي البشر ليعرض عليهم ممارسة الشر والوقوع في الخطيئة. فما الدور الذي ينيطه كاتب القصة هنا بالشيطان؟

يوضح د. البحراوي في تحليله لهذه القصة «أن الكاتب أبرز الشيطان وجعل له دوراً أساسياً فيها فهو الراوية ومقدم التقارير للذات الإلهية وبرغم شوره. إلا أن العذاب الذي أصاب اليهود جعله يرق لهم أي أن من يعذب اليهود أشد ضراوة من الشيطان نفسه!»

«يبدو الشيطان أكثر الجميع دهشة، إنه يحاول أن يعد من انفعالاته لا يد أنه سيثور مريباً عن موقفه بوضوح غير أنه لعجب الجميع، فيما عدا النائب، لا يفعل لم يجد أمامه سوى النائب ولكن يبدو أن دهشته الكبيرة لم تكن بالقدر الكافي لإخراجه عن صمته.

سأل النائب عن الرجل الذي يتعذب من سنين في أوشفيتس قال النائب «أعني الرجل الذي لا يكف عن الاستشهاد بسفر أيوب».

أي أن الكاتب يريد أن يقول لنا أن هناك العديد من المعتقلين في سجون النازي ورغم هذا لا يهجم منهم سوى اليهودي ذلك الذي «لا يكف عن الاستشهاد بسفر أيوب» أي التوراة وهنا محاولة رخيصة لغزو العقل الإنساني وشده للتعاطف مع اليهودي المسكين وإبراز الأناية التي يتميز بها اليهود وهذا يوضح احترام اليهود وعدم قتلهم أو اعتقالهم دون أي اعتبار إلى الآخرين، وفي أتون ذلك الموقف تبرز فوقية الكاتب وغلطسته لتتضح الثقافة العنصرية للشعب المختار!! الذي يميز بالبطولة الفذة، حتى الأطفال فيه يجابهون الألمان ويتخطون أسلاكهم الشائكة المنيعة وهذه لهجة «السوبر طفل» الإسرائيلي بكل تعاليها والتي تكثر في أعمال الكتاب الصهاينة مثل كرميلي وسروج وسيتير وغيرهم وقصة «ديندين» الطفل اليهودي

المقاتل الذي يهزم الأعداء في كل زمان ومكان»، في قصة «أنا مهاجر» يدعو أي.ش. مأمور اليهود للعمل في فلسطين لخدمة الصهيونية.

«المهاجر هو اليهودي الذي يسافر إلى إسرائيل لتكريس حياته من أجل الوطن ومصالحه، عندما سمعت هذا التعريف تذكرت يهودياً كنت أعرفه عرف كلمة «حالتوس» رائد الهجرة. بأنه كتلة الحديد الخام الذي يخلق للوطن ما يحتاج إليه. لم يكن اسم ذلك اليهودي «ساشا» بالطبع وإن كان اسمه قريباً من هذا في جرسه «أوسيا» ترومبلدور وهنا دعوة للاقتداء بمن يسمون في الحركة الصهيونية بالرواد الأوائل ومنهم هذا المدعو «ترومبلدور» ومن جانب آخر دعوة لصهيئة اليهود الروس وعدم اندماجهم في مجتمعهم الروسي حيث ولدوا وعاشوا، لهذا يستحضر شخصية «ترومبلدور» الحالوتسي الأول «المهاجر» الذي حارب في روسيا وفي الشرق، وفقد ذراعه وقرر أخيراً الذهاب إلى فلسطين للعمل والقتال فيها من أجل الصهيونية فهو «ساشا» الروسي، ولكنه استبدله بأوسيا ترومبلدور وهكذا تترجم مقولة الأرض التاريخية القاضية بحق الملكية المطلق للأرض العربية في فلسطين في شكل فني تتداخل فيه مقولة العدا للسامية الساعي للقضاء على اليهود مع الأرض التاريخية لليهود، واليهود وحدهم.

#### العنصرية والتفوق

الدور الذي لعبه الأدب الصهيوني على الصعيد الدولي لا يقل عن الدور السياسي الذي قام به رواد الصهيونية السياسية الأوائل، والأثر النفسي الذي أحدثته روايات وكتابات «بنسكر» وهرتزل وأحد هاعام» الأدبية لا تقل أهمية عن كتاباتهم السياسية والأيدولوجية. لقد وقف الأدب السياسي الصهيوني أمام التسامح بقوة ومنذ البداية مقاوماً أي تطلع جدي لحل المشكلة اليهودية، ممارساً التزوير وقلب الحقائق ومركزاً على أحداث الماضي لتبرير أحداث مستحدثة ليتعدى ذلك الزمان وذلك المكان مثيراً عداة الشعوب بسلوكيته الشاذة على الصعيد العملي والنظري وإذا كان جام الغضب صب على العرب قديماً وحديثاً، فإنهم ركبو المركب تجاه الشعوب الأخرى فلم يسلم أحد من شعوب الأرض من سهامهم العنصرية المورثة ولما كان الأدب الصهيوني أدباً موجهاً فإنه بالتالي يعكس سياسة وفكراً وفلسفة تتبناها الصهيونية جميعها

وتعززها لتلعب دورها المرسوم والمخطط لها وتشكل فكرة التفوق أحد المكونات الأساسية للفكر الصهيوني والتفوق الذي يحدث عنه الصهاينة تفوق شامل بالإضافة إلى أنه أبدي أي أنه ليس مرهوناً بفترة زمنية معينة تمتد منذ صراع اليهود مع فرعون ودخول «يوشع بن نون» أريحا ووقوف اليهود ضد الرومان وحتى الحروب الحديثة بكل ما يرتبط بذلك من أساطير وخرافات قديمة وغطرسة وتزوير متعمد لتاريخ المنطقة، لأن ربط هذا التفوق بمرحلة تاريخية معينة يؤدي إلى حرمان الحركة الصهيونية من استثمار هذا المفهوم أيديولوجياً ومن أجل ذلك ترى الصهيونية أن ييجن مثلاً هو صهيوني نقي، فإن يكن المرء يهودياً يعني عند الصهاينة أنه متفوق بذاته ولذا يحسده الأغيار ويودون لو يزحوه من طريقهم، فالذات اليهودية هي محور العالم ولا يهم أن يكون للأغيار أي نصيب، ويذكرنا هذا في الوقت نفسه بقول بن غوريون «لا يهمني ماذا يقول العالم بل اليهود». لأن الصهيونية في نظر اليهود جزء من إرادة السماء وأن اليهود قد توحدوا بالرب وأن الفرق بين اليهودي وغير اليهودي هو من النوع الذي ينطبق عليه التعبير السائد «لا وجه الشبه» ففي حين يجلس اليهودي في المرتبة العليا وينحدر من الصنف الأسمى تقبع بقية الأمم من الدرك الأسفل وتتحد من أدنى صنف. وهكذا نرى أنه من العبث البحث عن وجه للشبه بينهما. وحسبما جاء في كتاب «هاجر» المقدس عندهم «فإن الجسد اليهودي يختلف كلياً عن أجساد بقية الشعوب وذلك من حيث أكلهم وشربهم وطينتهم وإن كنا نرى ثمة تشابها في الأجساد فما ذلك إلا في المظهر الخارجي فقط أما داخلياً فالفرق بينهم كبير إلى حد يجعل الجسد اليهودي لا يمت بأية صلة كانت إلى صنف بقية الأجساد لأبناء الأمم الأخرى وما يصح على الجسم «المادة» يصح أيضاً على النفس «الروح» إذ أن أصل أرواح بني إسرائيل هي من الروح المقدس ذاته» ولهذا فإن الانتصارات اليهودية الحديثة كما يرى الصهاينة «ليست فقط لأفضلية إسرائيلية بل للمميزات أخلاقية، أي أن في اليهود روحانية تميزهم وتجعلهم يتفوقون وينبغون أكثر من غيرهم» من هنا استتبعت مفاهيم سياسية، التعصب إحدى أبرز سماتها. كما تقول الشاعرة العنصرية الصهيونية «أنا جرينو» في إحدى قصائدها التي تتعالى فيها على العالم:

قالت لي أمي بأني

ابنة لشعب غني بالأسفار.. والأغيار جهلة

حدثني أن أكون بالمقدمة

لأني يهودية

قالت أمي «إنني ابنة شعب لا يقبل الضياع

واجبي مواصلة الدرب.. درب أبي

لمواجهة الأغيار الأعداء

ولو كانوا كل العالم.

مقابل هذا الاستهزاء بالآخرين فإن هذا الأدب ما برح يضخم المميزات الذاتية المكونة لماهية الصهيوني. فهو باعث حضارة الأمم ودافع عجلة تقدم الشعوب وأساس المدنية. إن النظرية الصهيونية تعتبر بحق من أكثر النظريات الرجعية العنصرية الشوفينية خطراً على الفكر التقدمي العالمي وذلك من خلال جوهرها الذي ينم عن معاداة الشعوب في العالم أجمع لأن «المفاهيم» الفلسفية التي تعتمدها الصهيونية سلاحاً أيديولوجياً تكمن في جوهرها حقيقة العقيدة الدينية الوضعية الجامدة للديانة اليهودية وهي تتجلى في الأسطورة التي تتحدث عن اتحاد اليهود مع الله والاعتقاد باستثناء اليهود والرجعية المعتمدة في هذا الكيان لها طابع أكثر توسعاً وعمقاً ومن هنا كانت دعوات الصهيونية البحث عن أرض تضي صفه الشرعية لكيانها بأي وسيلة حتى ولو كان القتل والاعتصاب أساساً لها، في مقطع بارز للشاعر «جبرائيل اليشع» يظهر وضوح ما تكنه الحركة الصهيونية للإنسانية من كرهها هو يقول:

لا تطلب الغفران كقط ساعة النزو

هذا زمن الذئاب المغتصبة

لا التنسك والصومعة

هكذا استطاع المنظرون الصهاينة النفاذ إلى أعماق الفرد الصهيوني بالإيحاء المستمر بشبح الدياسبورا «الشتات». وكان الأدب الوسيلة الممكنة لاقتحام نفوس اليهود والسيطرة على غرائزهم العدوانية فالأديب الصهيوني «حانوخ برطوف» يرى أن التغيير هو معرفة القتل والمشكلة هي مشكلة وجود يهودي. لكي يستطيع الوجود يتوجب عليه القتل، بهذا المنطق غمرت الكتب الأدبية أسواق الأرض المحتلة. وكلها تشيد بالجندي السوبرمان والجيش الذي لا يقهر في الوقت نفسه وبنفس القوة تحاول الحط من القدرات العربية وتتقصص من مبادئها الإنسانية وتراثها.

في قصة «البنوع» يفسر الكاتب الصهيوني «فشنر» أعمال أبطاله العدوانية في فلسطين بسبب الأعمال النازية في ألمانيا: اليهودي بات المفجوع بمقتل حبيبته سارة التي لقيت مصرعها على يد النازيين بقتل العرب ثأراً من الألمان «كان متعباً ولكنه أحس جسده خفيفاً بصورة لا تصدق واستدار نحو الدبابتين هذا من أجلك يا سارة من أجلك» وجوزيف في رواية لصوص الليل يمارس الإرهاب في فلسطين لماذا؟ لأن «دينا» قتلت في ألمانيا، أما إذا كان الكاتب مثالياً فقصدته ستضج بطولات خارقة وقدرة تفل الحديد، يمكن معها إدراجها ضمن الأساطير وقصة «ساعة واحدة لإستر» للكاتب الصهيوني «كونراد برمش» تسير بهذا الاتجاه.

في قصة «خربة خزعة» يورد القاص «يزهار سمولنسكي» أحاديث كثيرة ومتنوعة بين الجنود الإسرائيليين قبيل احتلال القرية وبعد احتلالها، ويمكن أن نفهم من هذه الأحاديث نفسية الجندي الإسرائيلي «البطل!» ورأيه في العرب من النواحي النفسية والاجتماعية والثقافية فيدرك القارئ ماذا تضمه هذه الشخصية من شعور تجاه العرب.

مما لاشك فيه أن قصة «سمولنسكي» خربة خزعة هي صور متعددة انتزعها المؤلف مما وصل إليه من فظائع الحرب الفلسطينية وفيها تظهر آثار التربية الصهيونية للناشئة آنذاك وما حشدته فيهم من غطرسة وشعور بالتفوق والتسامي. والكاتب «عاموس عوز» في قصته «الرجل والأفعى» يبرر هذه الأعمال ضدهم فلقد جاء في قصته هذا النص: «البدوي يشم رائحة الضعف من بعيد فإذا لاطفته بكلمة طيبة أو ابتسامه يهجم كالحيوان المفترس يحاول اغتصابك حتى أنتهي هرب منه. أنا لا أرتجف من المياه الباردة بقدر ما ارتجف من الاشمزاز. ما أشد اسوداد أصابعه كيف أمسك بي من رقبتي فقط بالضرب وبالرفس هرب منه يجب أن أغتسل بالصابون» إن صورة العربي في هذه القصة كما رسمها «عوز» حالات صراع بين «الإنسان المتحضر الذي يمثله عادة اليهودي إبن الكيبوتس والطبيعة المهدة بالخطر وممثلوها هنا هم «بنات آوي العرب والجبال».

إذن هل يحق لهؤلاء العرب، في رأي الصهاينة، الحياة؟ بالطبع لا، وهنا تكون البطولة هي القتل، والقتل فقط ومن يقتل هو البطل، ففي قصيدة

«أيوناثان غيفن» تحت عنوان «عدت من إجازتي» يقول الشاعر القاتل:

يجب عليك أن تقتل

حين تعود وتقص على والدتك

أشياء كثيرة وجميلة

أشياء جميلة

لماذا القتال؟!

لماذا هذا السلوك من العرب؟!

لأن العربي حسب الأدباء الصهاينة لا يفهم سوى لغة واحدة، فهو يحترمك كلما عاملته بقسوة وفظاظة. القوة هي اللغة الوحيدة التي يجب أن يعامل بها، وإذا ما ارتفعت عنه القوة وعومل بلبونة فإنه يعتقد أنك تخشاه فيتمرد، إذن فالعربي في نظر الكاتب العبري يجب أن لا يعامل عن طريق الند للند وكثيراً ما نجد أن هذه العبارة في قصص الأدباء الصهاينة «إن العرب لا يحترمون جاراً ضعيفاً. ويضيف «يهودا أشربير» في قصته «القائد الأول ليهودا» اعتداءات العرب المتكررة صباحاً ومساءً على اليهود الذين يسكنون على الحدود بين يافا وتل أبيب بأنها تسلية يتسلى بها العرب «وكأنهم ليسوا أصحاب قضية» وهنا إشارة إلى أنهم قتلة مهمم الاعتداء فقط ويقول الكاتب: إن مجموعة من الشبان اليهود قرروا الانتقام ومهما كان الثمن. وفعلاً توقف اعتداء العرب بل وتقدموا بالشكوى إلى السلطات البريطانية، وهذا الرأي شائع بين اليهود في فلسطين المحتلة، فلقد أجرى «يوحنا بيرس» وهو أستاذ في جامعة تل أبيب استطلاعاً للرأي دل على شيوع هذه الفكرة بين أبناء الطوائف الشرقية بشكل خاص إذ أجاب 89% منهم بوجود مثل هذه الفكرة عن العرب، وتجدر الإشارة إلى أن كاتب القصة لم يذكر الأسباب الحقيقية التي حفزت العرب لقيام بهذا الهجوم سوى أنه كان انتقاماً للاعتداء على لص آثم «اللص هنا هو العربي» لم يذكر الكاتب لمن كانت هذه الكروم والمزارع وهنا تزوير حقيقي للتاريخ!!

ويتبع شموئيل عجنون لإبراز هذا المعنى في قصته «من عدو إلى محب» أسلوباً رمزياً فهو يتحدث عن صراع مع الأيام ذلك الصراع الذي بدأ عندما نزل الكاتب في منطقة «تلبوت» إحدى ضواحي القدس حيث بنى خيمته فيها: «قبل أن تبني تلبوت كان يحكم كل البلاد ملك الرياح ووزرائه وعماله. رياح قوية تسكن في الجبل وفي السهل، والتل، والبراري وتعمل ما تشاء، وكأن

البلاد أعطيت لها وحدها فقط» وتعرض الرياح سبيله وتسأله ماذا يفعل هناك فيجيب بأنه يتجول وتهزأ منه الرياح فتهب وتوقع الأذى به وبخيمته ولا يدع «عجنون» الأسى يتسرب إلى نفسه ويعود ليبنى بعزيمة ونشاط بيتاً قوياً ذا أساسات عميقة في المكان نفسه في «تلبوت» وتأتي الرياح فلا تستطيع هدم البيت بل تهدم ما حوله وتخربه ويقوم عجنون بزراعة الأرض وتأتي الرياح لتفعل فعلها من جديد ولكنها تقشل لأن الأشجار ضربت جذورها وصمدت أمام الرياح ومنذ ذلك الحين أصبحت الرياح تزور الدار بصورة مهذبة وكذلك تعرفت أنا عليها ومنذ ذلك الوقت أصبحنا أصدقاء». هذه القصة إشارة واضحة للصراع العربي الصهيوني بتسلسله التاريخي فالريح هم العرب وقفوا في وجه الهجرة الصهيونية المبكرة «الخيمة» لكن ازدياد هذه الهجرة وضرب الخيمة أوتادها بتكوين دولة الكيان الصهيوني أفضلت الفعل العربي فكانت هزيمة 1948 «الأشجار ضربت جذورها وصمدت أمام الرياح» فلم تستطع الرياح هدم الدار عندما صارت متينة الأساس قوية محاطة بأشجار عميقة الجذور، وأن هذه القوة غلبت العرب وفرضت عليهم أن يحبوا صاحب البيت «إشارة إلى السلام المبني على القوة الذي يجب على العرب الاقتناع به» لأن دبابات الجيش الإسرائيلي كما قال ديان «هي التي تأتي بالسلام» والأدب العبري يظهر العربي إنساناً مختلفاً لا يعرف كيف يتصرف وأنه بعيد عن الثقافة والتحضر. «فموشيه ستايبسكي» يؤكد «أن شروط النظافة والمحافظة على الصحة تكاد تكون منعقدة بين العرب» ويضيف «إن عادة الاستحمام تكاد تكون غير مألوفة عندهم باستثناء غسل بعض أعضاء الجسم من أجل الصلاة والوضوء». ويدعي زورا أنه نقل عن امرأة أنها «أقسمت بالله أنها ولدت ستة أولاد دون أن يمسه الماء جسدها» ولا يشعر «ستايبسكي» بالكذب عندما يقول إنه «لا يستبعد أن يبصق صانع القهوة في الفناجين كي ينظفها»، في قصته «بلاد بنات آوي» يوضح «عاموس عوز» على لسان شاب يهودي يدعى «متيتياهو» بعض تخيلات التي هي صورة مخيفة لسيل جارف من القذارة «جمهور قذر غامق اللون، يقشر القمل والبراغيث وله رائحة كريهة، والجوع والكرهية بسبب جفاف وجهه تتوقد عيونهم توقداً جنونياً». وقد امتدت هذه الأوصاف لتشكّل توجهاً



تربوياً لأطفال الصهاينة بكل ما يخلقه من شعور بالاستخفاف المهين بالعرب، ويرى علماء الاجتماع أن الإسقاط الذي يدفعه الصهاينة ويلصقونه بالعرب يدخل في إطار ما يعرف بالاتجاه العرقي والذي يقصد به «اتجاه يتبناه الشخص حيال بعض أو كل أعضاء جماعة عرقية بشرط أن يتأثر هذا الاتجاه بمعلومات مفترضة حيال الأفراد والجماعات».

سلبية مختلفة كالكائنات وقاتل المسيح والمتوحش وغيرها. وقال مالرو في رواية يهودي مالطا: «إن اليهودي مسبب لانتشار الأوبئة» كما أطلق نفس الصفات على اليهود الأديب البريطاني وولتر سكوت وتكررت أسطورة شايولوك في رواية ايفينهو وفي رواية أولفرتويست لديكنز كما لمسنا صورة اليهود عبر القناعات الثابتة في أعمال برايت وانتوني ترولوب وداموريا، وغيرهم وجاء بحث لروينجر بأن صفة اليهودي في الأدب الإنجليزي ظلت ثابتة لم تتغير وأن التغيير الذي طرأ عليها كان غير ذي أهمية وسيطرت عليها القوالب الثابتة ورغم هذا تحاول الصهيونية إسقاط صفاتها على العرب وفي محاولتها ترسيخ هذه الفكرة اصطدمت بمقاومة الشعب العربي الفلسطيني الذي لم تستطع أن تفتي وجوده كلية وأوقعها هذا في تناقض حاولت تجاوزه من خلال تركيز دعايتها على شخصية العربي القدر الذي يتنازل عن أرضه راضياً، ومن الأمثلة على ذلك شخصية «رشيد بك» في كتاب هرتزل «الأرض القديمة الجديدة» التي ترحب بالمشروع الصهيوني بما يعني أن العربي لا يستحق هذه الأرض.

وهذا ينسفه ما ورد في يوميات «يوسف فايس» مدير شعبة الأراضي والأحراش حول تخطيط

وتنفيذ عمليات التشريد «وقد لاذ الأهليون بالصمت التام عدا رجل واحد انبري قائلاً: ليس على وجه المعمورة كلها أفضل من ترابنا ولا أعدل من مناخنا وأن حفنة تراب بين صخورها تساوي سهول العالم بأسره».

كتب أحد طلاب المدارس العليا موضوعاً إنشائياً حول العرب فقال: «إن العرب يريدون مواصلة ما بدأه الألمان وقتل جميع اليهود في أرض إسرائيل». وقال تلميذ آخر في وصف العربي: «وجهه غريب صغير، مثير للغضب، وشعر أخضر من بلاد ليست بلادنا» ومن الملاحظ هنا وجود عبارة «ذو شعر أخضر» وهي تدل على البعد الهائل وانعدام الالتقاء والجهل «وكان العبارة مقتبسة من أدب العلوم الخيالية الذي يصف مخلوقات غريبة ومثيرة للرعب، تهددنا لكونها غريبة عنا» إذن الفكرة الصهيونية توجه الأجيال اليهودية عبر كتابها نحو عنصرية ضد العرب يحاولون غرسها في نفوس الطلاب. ففي سؤال من مجموع أسئلة امتحان «الإعانة» لطلاب «جفعون» عام 1971 جاء ما يلي:

«لم يتوقف استيطان اليهود لفلسطين أبداً. وبغض النظر عن عددهم الإجمالي في البلاد، كان الكثيرون منهم مفكرون وحكام ومبدعين وبالمقارنة معهم فإن العرب والمسيحيين الذين

استقروا في هذا المكان لم ينتجوا في فلسطين أي شيء له أهمية بالرغم من قدسية البلاد لأديانهم»، وفي كتاب قواعد اللغة العبرية المقرر على مناهج الثانوية نقرأ عن العرب في صفحة 277: العرب سلبوا، وقتلوا.

ونقرأ عن اليهود في صفحة 117: «اليهود جلبوا الحضارة إلى الشرق الأوسط» وفي مقدمة كتاب دراسي أعده الدكتور «سفروني» ورد التأكيد على أن «شعب إسرائيل هو صفوة الشعوب كلها، وأكثر العناصر افتخاراً لأنه تكون عن طريق انتقاء الأفضل» وجاء في وصف العرب وتحديد طابعهم «هذا العنصر الغريب في البلاد بطينته والدخيل على رسالتها وتطلعاتها يعيش الآن فوق ترابها ويستغل خيراتها، ولا بد من أن نحاربه كما حاربنا من سبقه من الغزاة والأجانب الذين استولوا على البلاد في العهود الغابرة ونهبوا ثروتها» وبالتالي فهؤلاء العرب غرباء في العرف الصهيوني يجب طردهم أو قتلهم. وهذه حقيقة الفكرة الصهيونية.

في ملحق صحيفة «هآرتس» ينشر شاعر صهيوني يدعى «اكور» بتاريخ

1982/7/2 قصيدة له بعنوان «لو كنت قائداً لجيشنا الأسطورة» .. «لو كنت قائداً لمنطقة بيروت المحاصرة والمختقة لصرخت في وجه كل أولئك الذين يطالبون بإعادة المياه ويصرخون ويتألمون ويطلبون إعادة الدواء والطعام إلى المدينة المحاصرة».

ولا يتوقف «اكور» عند حد الصراخ فهو ذومزاج مختلف وعمله يتطلب أكثر من ذلك، القتل، لكنه يطالب بأكثر من وسيلة «لو كنت قائداً لجيشنا العظيم لزرعت الموت والدمار في كل المزارع والشوارع في كل المساجد والكنائس».

فالفلسطينيون في نظره شعب زائد أو فائض عن حاجة البشرية لذا يجب إلغاؤه فلا وجود له في وطنه وهذا يذكر بمقولات منظري الصهاينة هرتزل وجابوتسكي كتجسيد قانون لأحد أبرز أشكال الصهيونية وهو العنصرية التي تقتضي فلسفتها القضاء على حقوق ووجود الأمم الأخرى. والشاعر هنا يتقمص شخصية «يوشع» في تدميره لأريحا فيتحيل الدماء تسيل أمامه فيسعد المنظر لذا يطلب المزيد ليس للمحاربين بل لجميع أفراد الشعب. وهنا يمكن القول أن الأمثلة التي أوردناها تثبت بدون شك نظرة الأدب الصهيوني العنصري ضد العرب بما يتنافى مع الدور الإنساني الذي يستحق الحصول

على جائزة «نوبل» فهو أدب ميكافيللي بكل أبعاده تخلق عن واجبات الأدب الضرورية «الحق، والخير، والجمال» وآثار الالتصاق بالتوراة التي جعلت مفهوم المطلق والجوهر في خدمة الأخبار وبالتالي فقد جاء أدباً مصطنعاً يرشح بالكراهية والحقد إلى أبعد الحدود.

### البراءة الزائفة والأحزان الموضوعية

يقع دارس الأدب العبري أسيراً لحالة من الحيرة والدهشة لدى اطلاعه على اتجاهات هذا الأدب بعد حرب أكتوبر 1973 ومحاولة إيجاد علاقة انعكاس وتأثر تربط بين الاتجاهات العامة في هذا الأدب وبين التغييرات التي أحدثتها الحرب فلقد لحقت بالنموذج الفكري الصهيوني الذي يصوغ الموقف من العرب والأرض العربية ارتعاشه أثارت موجة المراجعات الفكرية فبدأت تظهر في المصادر الصهيونية تأملات فلسفية تطرح أسئلة من نوع «هل كانت الأيديولوجية الصهيونية في أساسها أيديولوجية عنف وأنانية قومية أم كانت أيديولوجية تسعى إلى العدل وتتشد التفاهم مع شعوب العالم بما في ذلك الشعوب العربية؟! وراحت تطرح توصيفات للوضع الأيديولوجي السائد قال عنه أحد الصهاينة «أنا لا اعتقد أن دولة إسرائيل أو الصهيونية جواب شاف على قضية الشعب اليهودي».

من تحليلنا لنصوص ما بعد حرب أكتوبر نرى الاستجابة الأدبية الصهيونية وما تلاها من ارتعاشات في قاعدة المقولات الزائفة بمثابة إضافات كمية لم تبلغ القدر الكافي لإحداث تحول كفي في أوضاع الحياة الإسرائيلية سواء في مستوى الوجود المادي أو مستوى الوعي فيها. أصبحت المقولات الصهيونية بين مد وجزر ترتبط بالعلاقة الجدلية بين الرفض العربي وحلم القبول بها.

ومن هنا استمرت في الأدب الإسرائيلي حتى الآن تلك الاستجابة المكونة من شعبتين «شعبة التأمل والتوجع الموضوعي، وشعبة البراءة الزائفة في تفسير ما حدث في إطار المقولات الصهيونية والأدب تعبيرات وأحاسيس ذاتية وانعكاسات للمجتمع على نفس الأديب الذي يتكلم لغته ويحيا ظروفه. ومعاناة الأديب جزء من معاناة الجمهور ولكن الإضاءات الإنسانية مفقودة في النتائج الأدبية الصهيونية فهي إما إسقاطات مرضية تستهزئ بقيم الغير أو انضواء واجترار لتواريخ معينة، إنها أكثر تجسيدا لمعاناة المستوطن.

بناءً على ما سبق أو المفترض على الأقل أن تكتسب صورة العربي في الرؤية الأدبية ملامح مختلفة فلا يعود ذلك القاتل المتعطش للدم اليهودي دون دافع سوى غريزة معاداة السامية، وأن تتغير بالتالي في هذه الرؤية صورة المحارب الإسرائيلي ذلك الإنسان «المسالمة» الذي يضطر إلى القتال والبلاء المجيد فيه ضد موجة الخطر الجديد الذي بثه العرب، في قصيدة «الحرب المقبلة» للشاعر الصهيوني «يعقوب باسار» التي كتبت عام 1962 يتصور القارئ أن الشاعر رافض للمقولات الصهيونية وأنه متمرد ضد أصول السياسة الصهيونية:

وفي قاع العيون جملان في لون الليل البهيم

يرشف كلاهما من فم الآخر

مياه الرعب الخضراء

ذلك لأننا نستتبت في تأن وثقة

زهرات الحديد في الحرب المقبلة

ما بين حجرات النوم وحجرات الأولاد

إذا ما تبهنا إلى هذه الفقرة من القصيدة

وإلى صورة الجميلين الأسودين اللذين يتبادلان

الحقد ويرشف كل منهما من الآخر مياه العرب

لاكتشفنا أن الرؤية التي تحكم الشاعر رؤية

موضعية لا تتجاوز الاستجابة لوقع الآلام التي

تتأمل أصول الصراع ودوافع إثارته فليس

الجمالان سوى طرفي الصراع والشاعر يختار

رمز الجمل للإشارة إلى كل منهما على أساس

تصوره أن العرب الساميين المنحدرين من أصول

صحراوية لا يجابهون اليوم سوى العبريين

الساميين المنحدرين من نفس الأصول. من جانب

آخر أستطيع الادعاء بل التأكيد بأن عنصرية

الشاعر وارتباطاته الأيديولوجية الصهيونية

تبرز في التعبير المستلهم من الصحراء بمعنى

ارتباط اليهود بهذه المنطقة وجذريتهم فيها،

وهذا تزوير للتاريخ فالوجود اليهودي في المنطقة

كان عابراً ولفترة قصيرة جداً ليس لها وزنها

بالمطلق في التاريخ وهذا يلغي بالطبع تعريف

الصهيونية للقومية اليهودية القائل بعدم

تجريدها من الأرض. لأنه لو تم ذلك لكان هذا

قضاء على طابعها المميز الذي يستهدف الوجود

العربي كله ومع ما في طرح الشاعر الصهيوني

من خطأ تاريخي حيث أن الصهيونية ليست

تعبيراً عن امتداد سامي سلالياً أو حضارياً أو

عرقياً، فإن الشاعر رغم براءته الزائفة ينتصر

لهذه الصهيونية، فهو في كونه وضع الطرفين في

وضع متساو «الجمالان» فكلاهما يبادل الآخر

الحقد والرعب. لكن عدم توضيح الشاعر من المعتدي عليه يجعل حزنه موضعياً دون أن يشير إلى الطرف صاحب المسؤولية في ذلك ويحاول الشاعر الإيهامي أن يلبس جلد حمل ويربز براءته وأنه ضد الحرب والقتل، ولكن ليس كل القتل فهو يحزن لقتل الصهاينة فقط لأنه يزور التاريخ بإبراز أن أرض الشعب الفلسطيني له.

#### وضع الأقلية العربية الصعب

في دراسة أجراها أحد أساتذة الاجتماع في فلسطين المحتلة على طلاب المدارس الابتدائية خرج بالنتيجة التي تقول أن 60% من 1066 طالباً قابلهم في مقابلات مفتوحة وتتراوح أعمارهم بين 9. 14 سنة أيدوا الإفتاء الكلي للعرب المدنيين المقيمين في إسرائيل في حالة أي صراع مسلح مع الدول العربية وفي مثل هذا الجو النفسي يمكننا أن نتصور الجو الإيهامي الخانق الذي تعيش فيه الأقلية العربية في فلسطين المحتلة. والرغبة في الإفتاء التام ليس مجرد تفكير صبياني بل عقيدة. وليس أدل على ذلك من أن الصهاينة يعتبرون مرتكب مجزرة الحرم الإبراهيمي من الشهداء والقديسين.

وتقوم حرب أكتوبر ويحرك الأدباء الصهاينة لإبراز براءة الذئب الصهيوني ويصبح السلام مخرجاً، ولكن أي سلام هو المرغوب. الشاعرة الصهيونية «حدها مركابي» تبين ذلك فتقول:

لذا... فإني أقول

الحزن هو مجرد حزن والألم ليس سوى الألم

حتى الجبال يمكن تحريكها

رغم قدرتها على الرفض

تريد الشاعرة أن تحرك الجبال العربية وتزحزحها لتتسنى لها حياة هادئة مع رجلها على حساب الآخرين.

في قصيدة تحمل عنوان «أغاني أرض صهيون» كتبها الشاعر يهودا عميحي عام 1974 يمزج الشاعر بين الآلام الصهيونية المدعاة وضرورة إنهاء هذه الآلام عن طريق الاستيلاء على الأرض العربية «والاحتفاظ بأرض فلسطين عام 1948»، مبرزاً مقولة أحد المستوطنين الأوائل «ترومبلدور» بشكل إبحائي ليتبين ضرورة التمسك بذلك. وهذه القصيدة تتميز بتركيب الرؤية والبناء الشعري فهي تقدم المقولات الصهيونية في حالة التشابك والاتساق الهندسي الداخلي. وهذه هي حالة المقولات في نسقها الفلسفي:

لعل الكلمات الأخيرة التي لفظها «ترومبلدور»

ما أحلى الموت في سبيل أرضنا بنو الوطن الجديد

مثل نخل الحقل في مجموعات مجنونة

حتى ولو لم تكن هذه كلماته

أو أنه قالها ثم اختفت

لظل مكانها محفوراً كالكهف

فاق الملاط والأحجار صلابه

هذا هو وطني

الشاعر هنا يجتر قول «هرتزل» عن الدولة المرتجاة «اللاتينية» على قاعدة التمسك بالأرض حيث يدعى أن اليهود هم الذين عمروها فهي صحراء بدونهم ومقفرة بدون جهودهم وهنا ترديد غير مباشر لمقولة «شعب بلا أرض لأرض بلا شعب» بكل ما فيها من زيف وتضليل وخداع وتأمير.

الوطن المعين الذي يراه الصهاينة والذي اكتسب ملاط بنائه صلابه وتماسكاً يفوقان صلابه وتماسك الأحجار «مقولة الأرض التاريخية الممزوجة بالوجود اليهودي الكلي» حيث يمارس اليهودي حياته العادية على حساب الآخرين بالاستبسال حتى الموت لأن كنوز هذه الأرض «فلسطين» فليست من المعادن الطبيعية بل من عظام الموتى اليهود الذين قاتلوا في سبيلها ليحققوا لها الوصول إلى عصر «المسحاء». «عصر الخلاص اليهودي المطلق» الأمر الذي يعني أن الطرف الآخر في المواجهة ليس سوى ذلك العدو اللاسامي الذي يحاول أن يقطع طريق شعب في التزاوج مع أرضه. وهذه ليست سوى نفس الرؤية التي تفص بها المقولات الصهيونية.

بعد حرب 1967 ومروراً حتى الانتفاضة الفلسطينية 1987 انبثقت عن الأدب الصهيوني تطلعات وتوجهات متباينة حسب الظروف والمتغيرات، فهي تدعو للاغتصاب والقتل بعد كل انتصار صهيوني وتدعو إلى السلام المزيف مغلقة ببراءة غير حقيقية تعتمد على الإحباط الذي يعاناه المستوطنون الصهاينة فيجثرون الآمهم دون أن يتخلوا تماماً عن المقولات الصهيونية، ويمكننا رصد حركة تأثر المعنويات وملاحظة الحالة النفسية الصهيونية المنعكسة على الأدب بعد الانطلاق للانتفاضة المظفرة في فلسطين والتي يسفح بها الأطفال بقوة الغطرسة الصهيونية. فما هي الدلائل تؤكد مدى تأثير القدرات النضالية للأجيال الفلسطينية الجديدة مما خلق في الجانب الصهيوني انتكاسه حقيقة.

فالحجارة تزداد معها الآلام، فتذكر بالآلام

القديمة وقد رسمت الشاعرة «أنا نجريون» مسيرة هذه الأزمة النفسية في قصيدة لها بعنوان «البداية» تقول فيها:

وقرصت أشعار نحيب متعددة

حتى لم يبق لي ما أقوله

إذن هنا حالة نفسية متأزمة. قرف من القتل المتبادل، وقتل الأطفال. لكن دون التخلي عن جوهر الصهيونية. ونرى هذا بوضوح في قصيدة الشاعرة الصهيونية «داليا راينوفتش»، في قصيدة لها بعنوان «حجارة» تقول فيها:

بين اعتقال واعتقال

وربما ضربة هراوة

وربما رأس مجروح ويد مكسورة

كل شيء جائز بالنسبة لهم

أيها الأولاد. الأولاد. الأولاد

عودوا إلى البيت أيها الأولاد

كيف ستعيشون بلا استراحة

ماذا تريد الشاعرة أن تقول؟ هل هي تتألم هنا من أجل الأطفال الفلسطينيين؟ يبدو أن الأمر كذلك إذا نظرنا إلى القصيدة نظرة سطحية لكننا إذا ما تعمقنا في بنيانها الداخلي نجد أنها تستيق الأحداث فترثي وجود الكيان برتمته. فلقد أصبحت الانتفاضة هاجساً مرعباً لكل الأجنحة الصهيونية بل «دقت طبول القبيلة في نفوس أولئك الذين كانوا يقولون عن أنفسهم أنهم تقدميون ومتنورون».

إذن فالشاعرة تدعو الأطفال ليستكينوا حتى لا يصابوا بالجراح. وتلتقي أجسامهم الغضة مع الهراوات الغليظة لجنود الاحتلال. وكان أجدد بالشاعرة أن تدعو إلى انسحاب هؤلاء الجنود بل وإلى تقويض المجتمع الصهيوني إذا كانت تدعي التقدمية والإنسانية وهذا لا يمكن أن يكون إلا إذا فرغ اليهودي من صهيونيته فهل يحدث هذا؟ بالطبع لا يمكن لأن الصهيونية مرتبط بالثورة والأفكار التلمودية التي هي أساسها وبالتالي فإن الشاعرة تعالج إذن ظاهرة مجتزأة من سياقها الاجتماعي والسياسي وكان الأمر يتعلق بلعبة خطيرة يمارسها الأطفال على حساب العودة إلى البيت والاستراحة ولكن أي بيت؟ وأية استراحة؟

#### قصة الأسير

لا شك أن قصة الأسير من أشهر قصص البراءة الزائفة «ليزهار سمولنسكي» يتحدث عن راع عربي يدعى «حسن أحمد» هذه القصة

أسرته فرقة عسكرية صهيونية بينما كان يجلس تحت شجرة متقيماً ظلها في يوم صيف قاطئ ويرقب قطع أغنامه باطمئنان ويوضح الكاتب كيف كانت المعاملة سيئة «شتم، إهانات، ضرب، سخرية» وتوضح القصة الصراع النفسي عند الجندي الذي طلب منه نقل الأسير إلى معسكر قريب. هذا الصراع المتماوج بين الواجب والإنسانية الجندي يخاطب نفسه في حوار داخلي: «يجب أن توقف السيارة وتطلق سراح هذا الأسير، وهكذا ستكون النهاية نهاية مختلفة». لكنه يصحوا إلى نفسه ويتساءل: «كيف أستطيع ليس الأمر في يدي.. لا.. لا.. هذا غير صحيح لست صاحب الأمر أنا مجرد رجل ينفذ الأوامر وليس على ذنب فيما أصابه».

«سمولنسكي» في هذه القصة يريد أن يضرب عصفورين بحجر يغذي القارئ بالقيم الإنسانية للدعاية الصهيونية والتمسك بالواجبات العسكرية في وقت واحد وإن كان في نهاية الأمر قد رجح الدافع العسكري على الروح الإنسانية. من جانب آخر نجد أن سمولنسكي الذي يدعى الإنسانية لم يستطع أن ينزع من نفسه صفة التعالي التي أصبحت طابعاً عاماً في الأدب العبري فاختر للقصة بطلاً ساذجاً «عربي طبعاً» الأمر الذي يظهر كثيراً في الأدب العبري.

عن هذه القصة يقول غسان كنفاني «إنها محاولة لتصوير ما تردده وسائل الإعلام عن البطولات اليهودية الخارقة، إن البطل العربي في القصة ما زال يختار بعناية ودقة ليؤدي دوره في الموزاييك الصهيوني إنه تقريباً، بهلول «ساذج» فتمة حرب وهو خارجها تماماً وبكلمة أخرى إنه العربي غير القادر على مواجهة خصمه!» أما الدكتور «حياة جاسم» فتقول عنها: «لم يكن هناك شر في العالم يحذر من شرور آتية».

وبشكل عام فإن سمولنسكي يوجه النقد لأصحاب الادعاءات الصهيونية ولكن هذا التجاوب مع العقلانية لا يغير صورة العربي عنده فهو عدو لا يزال جباناً وأخرق أمام شجاعة الصهيوني. ويوسع جندي صهيوني واحد أن يعبت بمجموعة من الجنود العرب ويسخر منهم والأسير العربي هنا يستدر عطف الكاتب لسذاجته لا لعدالة قضيته. إن تجاوبه مع الشخصية العربية تجاوب ظاهري وسلب ولا يخرج عن دائرة الولاء للصهيونية، سمولنسكي يعاني صراعاً مريباً لإطلاق سراح الأسير العربي ولكن ولاء للصهيونية. يتغلب على نداء العدالة

في نفسه فيرسل الأسير العربي إلى حتفه وهو ما ينسحب على معظم أعمال سمولنسكي فني قصته «خربة خزعة» التي يتحدث فيها عن قرية عربية احتلتها فرقة من الجنود الإسرائيليين عام 1948 في هذه القصة يدور حوار بين الكاتب ومجموعة من الأفراد اللذين يؤمنون بأرائه من جهة وجماعة أخرى من الجنود ممن يؤيدون الحرب والاحتلال والطرده والقتل. من جهة أخرى ومن ثانياً القصة يصور الكاتب مختلف الآراء تجاه العرب لدى فئات متعددة من الإسرائيليين يقول «سمولنسكي»:

«وشاهدنا امرأة عربية مع بعض رفيقاتها وكانت تمسك بإحدى يديها ولدأ في السابعة من عمره» هذه النزعة الإنسانية ينسها سمولنسكي تماماً عندما يكرر في ثناياها الإشارة المستمرة إلى ما حل باليهود في العهد النازي ويدعى أنه خجل أمام المرأة العربية «لقد شعرت بالخجل أمامها وأشحت بنظري عنها ولقد رأينا فيها امرأة لبؤة. عبرت تقاطيع وجهها عن صبر واحتمال أنها مستعدة لتحمل المشاق. وتآبى أن تتهار أمامنا على الرغم مما حل بها ولقد لمسنا ما يعتمل في نفس طفلها أن تقاطيع وجهه تدل على ما سيكون في المستقبل، الطفل الضعيف الذي لا يستطيع غير البكاء سيكون أفعى سامة».

#### ادعاءات إنسانية زائفة

عجيب أمر سمولنسكي الذي يدعى الإنسانية أنه لا يريد الطفل الذي سيصبح رجلاً أن يقاتل الذين انتزعوا أرضه، ويواصل سمولنسكي في قصته القول «وبعد قليل تحركت السيارة الثالثة. أي جمود يسيطر علينا وأية لا مبالاة كأننا لم نكن لاجئين أبداً وكأننا مهاجرون فقط لكن ما هو المخرج؟» سمولنسكي هنا يدعى أنه ضد التهجير وطرده الفلسطينيين لكنه لا يقدم على عمل يمنع ذلك سوى أن يذهب إلى النازحين ويقول لهم عودوا إلى بيوتكم ولكنه لم يفعل هذا إذن ما الفائدة من سرد هذه الأفكار وما فائدة وقوفه مكتوف اليدين. إنها البراءة التي تظهر زيفها إذ أنه لا يختلف مع معارضيه ولعله شاء أم أبى، شريكهم في عملية التهجير في قصة «على حد رصاصه» بقلم «يتسحاق أوربان» نجد فكرة مشابهة للفكرة التي أوردها سمولنسكي في «الأسير» غير أن أحداث القصة كتبت بعد حرب سيناء عام 1956. وهي كذلك تدور حول حياة جندي عمل في قطاع غزة وفي سياق هذه القصة

يأتي الجندي إلى أحد المغاور في تلك المنطقة فيجد عربياً مسلحاً ولكن هذا العربي سرعان ما يلقي بندقيته. ويبدأ بالتوسل إلى الجندي الإسرائيلي ويصل به الأمر إلى تقبيل قدميه كي لا يقتله. وأخذ يزعم في توسله أنه يحب اليهود وتستمر القصة «وعندما كنا جالسين نهض إبراهيم فجأة وأخذ يركض ولكنه اصطدم بالشجرة وسقط وأمسكت بالعوزي «البندقية» لكي أفل شياً بهذا العربي. وفجأة رأيت أفعى سامة».

رغم أن الكاتب هنا يود أن يلمح بأن هذا العربي قد لا يكون جيداً فقد يكون نافعاً. إذ أنه حاول إنقاذ اليهودي من الأفعى. إلا أنه «الكاتب» لم يستطع أن يهضم ذلك في عقله الباطن فأظهر فوقيته وعنصريته وكأن هذا العربي شيء مهمل كأى جماد مثلاً «وأمسكت بالعوزي لأفعل شيئاً ما بهذا العربي «أي رغم الموقف الذي يبدو إنسانياً في هذه القصة إلا أن الكاتب لم يتحرر من نزعة سادية نحو العرب كأن يهوى الأسير العربي نحو قدمي الجندي يقبلهما، ويلق أحد الكتاب على هذه القصة فيقول «أنه من جهة واحدة يصعب على الكاتب أن يعامل الأسير معاملة إنسان يبدو له أن هذا الإنسان بدون صفات إنسانية أنه مجرد حيوان».

وهكذا تقتض البراءة الصهيونية والأحزان الموضوعية لبعض الكتاب لكن صهيونيتهم تدفعهم في النهاية للانتصار لتربيتهم الفوقية وغطرستهم ضد العرب فهم إنسانيون مع اليهود فقط. أما العرب الجهلة فلا داعي لذلك.

كتبت الروائية الإنجليزية ماري إيجورت عام 1817 رواية بعنوان «هارنجتون» قدمت فيها شخصية يهودية تتمتع بصفات طيبة. إلا أن الكاتب الصهيوني «بنامين دزرائيلي» يرد عليها بروايته «دافيد أوري» عام 1833 باعطاء بطله الصفات التي امتازت بها الصهيونية: العنف، العنصرية، العظمة والإيمان برب الجنود بهدف إيقاظ الشعور القومي الحربي لدى اليهود، كي يتذكروا ذلك الرب المحارب الذي كان يقاتل مهمهم في حروبهم ومجازرهم في فلسطين. إن إعادة التذكير «برب الجنود» من شأنه أن يثير تلك الفئة المحاربة التي لم تعرف في حياتها الاستقرار. إلا من خلال الحرب ضد الشعوب أو من خلال الخضوع والسبي. وهذا ما لاحظناه في تاريخ بني إسرائيل واليهود ومنهم المقهورين اللذين تبناوا هذه العقائد ليكونوا محاربين وليكون

اله الحرب ورب الجنود متناسباً مع تطلعاتهم الحربية والعسكرية إن هذا التعلق المنسي لا بد أن يثير اليهود ويستثيرهم للقفز مرة أخرى والتحفز للعدوان. إذن فالإغتصاب والقهر والاضطهاد تشكل جوهر الفكر الصهيوني ومنطلقاته الأساسية «فالدئاب» سادة الأرض لا الإنسانون المتسامحون. ولا غرو في ذلك فسلسلة تاريخهم تروي تعطشهم للدواء حتى إذا لم يجدوا من يقتلونه أسقطوا حقدهم على أنفسهم إلى درجة وصلوا بها إلى قتل أنبيائهم. في زيارة لها لمنطقة الجليل تتوقف «جولدا مثير» فجأة. وترجل من سيارتها أمام شاخصة تشير إلى اسم قرية عربية. كتب عليها الاسم بالعبرية والعربية فتأمر مرافقيها بحزم بلمس الاسم المكتوب

بالعربية وإبقاء الكتابة العبرية قائلة: «لا مكان للعرب أو العربية في دولة اليهود» وهذا يوضح أن كل ما هو عربي مكروه عند اليهود، أو غريب غير مفهوم. وإسرائيل محاطة بدائرة كبيرة من الظلام وهذه الدائرة الخارجية هم العرب بلا ريب وهي تحارب الدائرة الداخلية المشعة بالنور أي إسرائيل بمعنى أن إسرائيل هي الممثل للحضارة في الشرق العربي، وما العرب إلا أعداء الحضارة الإنسانية وهكذا كان النفاذ إلى أعماق الفرد الصهيوني، وكان الأدب الوسيلة الممكنة لاقتحام نفوس اليهود والسيطرة على غرائزهم العدوانية. فالأدب الصهيوني «حانوخ برطوف» يرى أن «الوجود الصهيوني لكي يستطيع البقاء توجب عليه القتل»، وقد لخص الكاتب الصهيوني «موشيه شامير» أهداف الأدب الصهيوني في المرحلة السابقة، فكان البطل فيه عاملاً ضد الظلم النازي عبر صور لا تخلو من الغزل وما هو الشاعر «شمعون هالكن» يناجي هذا البطل وأمثاله فيقول:

هلا كنتم كالتقدماء تحدياً  
يا حراس المزامير المقدسة  
وليكن بعدها ما يكون  
أنتم يا أحرار الجيتو تخلفون الأغيار  
وراءكم في المحيطات  
ومهما تريدون يكون  
تتعلمون منذ الصغر  
القطاف من الأمم وليكن ما يكون...  
فهذا طريقنا ليس إلا...

البطل في الأدب الإسرائيلي

يأتي دور البطل الصهيوني في رفض الاندماج

الذي لا يرضي التركيب العضوي للبنية الصهيونية والعقل الصهيوني المتزمت، ولقد وضع «هس» ذلك حين قال: «وقد يصبح اليهودي مواطناً في بلد يأخذ جنسيته، لكنه لن يقنع الأغيار أبداً بانفصاله عن قوميته» وهذه كانت وظيفة الأدب: زرع بذور الأفكار والرغبات الجديدة التي بدأت تأخذ فاعليتها بالعداء للألمان، وهنا يصبح الأدب الصهيوني دون رسالة تخدم البشرية. بل هو منظومة من النتائجات يمكن إدراجها تحت اسم «الأدب العنصري» الذي يحمل بين طياته الازدراء للآخرين والدعوة إلى العنف والاعتصاب واحترار الشعوب صراحةً، ويتضح هذا العداء للشعوب في قصيدة نشرتها صحيفة «دافار»:

ليل الألمان طويل ونور عمرهم ضئيل  
فتحن خالقو ألمانيا بيد حديدية فتية  
ونحن قادرون على صنع نعشها بلا اعتراض  
أرض ألمانيا طوع يدنا وروحها ترتعد  
بعد الجيروت كأس ستجرعه مراراً  
وهنا تظهر صورة البطل الصهيوني بقدر ما لديه من رغبة في الانتقام. فهو عادة مجازف وخارق لا يعرف الشفقة ولا يملك حساً أخلاقياً أو إنسانياً بل صوراً وكوايس تسيطر على قواه العقلية ناتجة عما سمع به من مجازر لحقت باليهودي وتدفعه لاتخاذ الموقف ذاته ضد العرب إلا أن هذه الرؤيا وهذا المنطق يحتم على الكاتب تبرير التزام أبطاله لهذه الأخلاقية وهو الذي يدعي أنه عانى أهوال المعتقلات والإبادة مما يدفعه للوقوع في التناقضات. لذا يصبح هذا البطل على رأي «بياليك»:  
لا يقيم صداقات فإنه الأثم  
والقلب يضم العواصف  
والعاصفة دم.

هذا القلب الصهيوني هو الذي انتزع شعر العربية الفلسطينية «خديجة» وهو الذي سحقت السجناء في «كفارينا» وقام بالعديد من المذابح، ويسحق البيوت كل يوم على قاعدة أن إسرائيل «هي أرض لنا». والعرب الذين يعيشون فيها إذا ضايقونا نظردهم، ولورجعنا إلى ما كتب «دايان» عام 1967 نرى أشكال الأدب الصهيوني كما ركز على إبراز الشخصية الإسرائيلية المحاربة وكأنها «السوبرمان» الذي لا يخبتى ولا يؤسر لا يهرب، وقد تراود الشاعر بعض الأفكار هنا أو هناك ولكن بطله دائماً يحب القتل. فهذا هو يوضح ذلك بقوله:

أرى العيون الميتة الصامتة  
أرى حكمة الدولة  
حكمة الحرب في أفواه المجانين  
الحساب سنجره فيما بعد

أما الآن فأنا القاتل  
قد يعتقد قارئ هذا النص أن الشاعر يحتج على القتل ويدعو لمحاسبة الطغمة العسكرية المحركة للسياسة الصهيونية ولكن يتناسى أنه شارك في القتل. وكان يستطيع أن يرفض المشاركة برفض قتل الأبرياء ولكن عنصريته أبت عليه ذلك. «مناحيم بيجين» كان طموحاً لتثبيت قيادته عبر مباشرته مذبحه دير ياسين فتفاخر بقتل 245 رجلاً وامرأة وطفلاً في هذه المذبحة. فأفكار هرتزل ما زالت حية في فلسطين المحتلة، فالقتل طهارة عند اليهودي وهذه «نعمة شيمر» توضح ذلك:

لو أنهم تلاميذ مجتهدون  
لكانوا استخدموا الدبابة من مسافة قريبة  
ودمروا البيوت والشوارع ولم يتركوا أحداً  
وبهذا يكونون قد حافظوا على طهارة السلاح  
وإذا لم يكن القتل فاتحجاز الضحية في قريته  
أو منطقته ومنعه من مغادرتها للقيام بأي عمل  
كان، لفترة غير محددة وقد كثر بصورة خاصة  
استعمال هذه القيود ضد مواطنين عرب لهم  
ارتباط بمنظمات سياسية أو لهم نشاط اجتماعي  
أو ثقافي لا يرضى عنه الحكم العسكري.

من المحزن والمأساوي أن نحاول فهم المسألة اليهودية والصهيونية وإسرائيل في الأدب خارج سياق التاريخ العام وبمعزل عن النظام العالمي. فالصهيونية تستمد خصائصها من خصائص النظام السائد في العصر الراهن وبالتالي فإن فضع خصائص هذا النظام فضع لخصائص الصهيونية، وعندما نتصدى لبعض المقولات الملفقة والخاطئة التي فرضتها القوة الفاشية وأنجتها الأوهام والأخطاء فإن ذلك يعني حكماً التصدي للمقولات الصهيونية.

لم يرث اليهود العهد القديم فقط، بل أيضاً تاريخياً طويلاً من اللاشعور الجمعي. بكل محتوياته ومكوناته وعقده النفسية «الشعور بالذنب»، وعقدة أوديب، الشعور بالدونية والتعالي... إلخ. وفلسفتهم وكتبهم زاخرة بالأقوال التي تدلل على تلك الحالات. في التوراة يمكن الاطلاع على مئات الكلمات مثل: السيطرة، القتل، التعالي، الشاذ، القذر، النجس، وكلها كلمات معروفة في العبادات النفسية ويرى

المسيحيون أن الشعور بالذنب عند اليهود ناتج عن الجريمة التي ارتكبوها بحق المسيح بينما يرى «فرويد» أن السبب وراء ذلك كان قتلهم موسى، فالقتل غير المبرر وغير المتسامي بحد ذاته يشكل سبباً سواء أكان المقتول المسيح أم موسى أم الشعوب، أما الخلود فتبلورت فكرته عند اليهود نتيجة الأحداث الصعبة التي زجوا أنفسهم في أتونها وهام بها اليهودي فتدافعاً للتحلل المحتمل في المجتمعات. من هنا أصيب اليهودي بعقد نفسية بالغة حيث السقوط الفجائي من الشعور بالعظمة إلى الدونية. فعلى عاتقهم تقع مسؤولية إنقاذ البشرية إلى جانب اعتبار «الغوييم» حيوانات في خدمة «شعب الله المختار». وهذه العقدة اللاشعورية تستحث تكراراً المشاهد عبر التسارع وهذا ما تتبناه الصهيونية السياسية وقبلها الصهيونية الأدبية لإعادة تربية الأجيال وفق السلوكية المرضية هذه والمنطلقات الميتافيزيقية التي لا تخضع للمنطق العلمي. وبيات الأدب مقتصر على طرح هذه الأفكار. ففي قصيدة نشرتها «معاريف» بتاريخ 1978/5/10 نقرأ الآتي:

اعتمر الخوذة استعداداً لمسيرة الدم  
جائلاً بعينين إلى النار الحمقى  
امتشاق السيف جزء من آدميته  
لرعدة الفرخ واحالة الحرب إلى سعادة  
إن الصهيونية سبقت «النيثشوية» بعدة قرون  
بفكرة الرجل اليهودي المتفوق.

الرجل النقي الذي هو غاية في حد ذاته والذي خلق العالم من أجله، إذن فالبطل الصهيوني هو المحارب الذي يعتمر الخوذة ويمتشق السيف والدبابة ليجعل العالم من أجله، ولقد وضع «بيجن» أن عادة حمل السيف إنما هي عادة يهودية قديمة وليست ميزة صهيونية، وهذا الأمر يوضح أن التاريخ الصهيوني تاريخ عسكري ملفق استخدمت في تليفه براعة شيطانية لا يمكن إنكارها، فاليهود أكثر حشداً، والمفاجأة دائماً معهم رغم أن في التاريخ اليهودي لم توجد في أي حرب ولا في أي معركة ضمن هذه الحروب «مواجهة» بالمعنى الصحيح على هذه القاعدة سارت الصهيونية الأدبية فأصبحت القصائد التي تتضمن مفهوماً سياسياً في الشعر الصهيوني باستثناء ردة الفعل النفسية لا تخرج عن الأطر العامة التي حددتها المسيرة الصهيونية. فكلها سواء الصريحة منها أو الرمزية لا تتخلى عن الهدف الاستراتيجي، فكان يجب على البطل

تفويض هذه الثوابت التي يطرحها «ديدي منوس» عندما جسد مبادئ «كامب ديفيد» في قصيدة «الغيبوبة الساحرة»:

كذلك تذكر الأساطير  
مجري أحداث وأمور، ومواقف  
دمر «بيت الملكة» قبل الإذن  
رغم اليأس والبكاء  
بكامب ديفيد تكمن الحياة  
هناك «إذا لم تحكم الرغبة»  
فسيفرّض السلاح نفسه

دونية العربي مقابل الصهيوني

«يهودا بورلا» قاص صهيوني يظهر البطل في قصته «زوج في شعبه» مخلصاً لقضيته يقدم كل شيء من أجلها. يتخلى عن المكسب والمال في سبيل إنجاح مهمته «فلقد قبل جدعون المهمة المناطة به، شراء الأسلحة، دون نقاش، وقام بتنفيذها على أحسن وجه وحكمة»، بينما يظهر لنا العربي غيباً يتراجع بسهولة أمام المغريات المادية، ومع أنه يعرف كما ذكر «بورلا» في قصته «أن السلاح سيصل إلى الهاجاناة»، بورلا هنا يتفق مع «سمولنسكي» في قصته «في ظل البيارات» الذي أورد على لسان إحدى العائلات اليهودية التي تعيش في بيروت «إنك تستطيع شراء العرب بالمال، لأن المال عندهم هو كل شيء»، وهنا تزوير حقيقي للتاريخ، ففرق كبير بين العربي في مروءته وبين اليهودي في جنبه وشحه القاتل. وليس غريباً ما أوضحتها الآداب العالمية من هذا الأمر وأبرزها «قصة تاجر البندقية»!!

مفهوم البطولة عند الصهاينة

والبطولة عند الصهاينة قاعدة عريضة تمتد لتصل للأطفال أيضاً، فلقد برزت لهجة «السوبر طفل» الإسرائيلي. بكل صلفها ووقاحتها وعنفها واستخفافها في أعمال الكتاب الصهاينة «كرميلي، وعوديد، ووان سترنغ، وستيمير، فكل أعمال هؤلاء تمجد بطل اليهود كبطل أسطوري، حتى كلاب اليهود أفضل من كلاب العرب. فالكلبة «غريت» توصل الورقة لمعسكر الجيش بل وتبلغ عن نشاط القوات السورية أي أن اليهودي يرى في الكلاب أفضلية على العرب ويرى هؤلاء الكتاب أن اليهود عندما يبدؤون بإطلاق النار يصاب الجنود العرب بالهلع ويركنون إلى الفرار».

خاتمة

وهكذا يتضح لنا أن الاستيطان والاستيلاء على الأرض منذ البدايات الأولى للهجمة الصهيونية واكبتها حركة أدبية وفكرية نشطة تدعو لامتلاك الأرض محاولة تزوير التاريخ بأن هذه الأرض بدون سكان. وأن الصهاينة الرواد هم الذين عمروها بعد أن كانت مستنقعات وصحاري مليئة بالحشرات والأمراض. وما رواية شموئيل عجنون «بالأمس الأول» إلا صورة واضحة للصهيونية الأدبية المبكرة.

الاستيطان هذا وبالمفهوم الصهيوني لا حدود له، فهو قديم جديد ومتجدد تحكمه عوامل القوة واستغلال الظروف العالمية بما في ذلك الاتكاء على حليف قوي يمكن أيضاً استبداله في الوقت المناسب. وفي هذا المجال ها هي الصهيونية تعمل كل يوم على تهئية الظروف الملائمة لابتلاع المزيد من الأرض عن طريق العدوان المتكرر هنا وهناك. وبمساندة الإمبريالية الأمريكية المعادية للأقطار العربية تشبهاً مع السياسة الثابتة التي تقوم على فرض الأمر الواقع. وقت شكلت هذه الحملة الاستيطانية ذروة خطيرة لهذه السياسة التوسعية العدوانية دون أدنى اعتبار للمواثيق الدولية أو قرارات الأمم المتحدة التي تدين سياسة ضم الأراضي بالقوة.

على هذه القاعدة من الوعي الأيديولوجي السلبى. وظفت الصهيونية الأدب والفن لتمير سياستها الاستيطانية ولخلق الجيل الإسرائيلي المشوه فكرياً بزرع الأفكار السامة والهدامة في عقله على أساس أن هذه الأرض للإسرائيليين فقط. ومن عليها من سكان من غير الإسرائيليين غرباء وبقايا مستعمر قديم. بل تطرقت الصهيونية الأدبية للشخصية العربية مبرزة إياها في أدنى مراحل الانحطاط البشري الجسماني والسلوكي. وكأن العرب من بقايا الحلقات المفقودة في كائنات علم التطور. فالعربي جاهل، سارق، جبان، سيئ، يشبه الخنزير في تناوله للطعام، دموي وقاتل، وغريب الملامح شعره أخضر وأشعث يجب القتل والنساء ويغتصب الأطفال. ورجل هذه صفاته الأجدر به أن يموت. هذه المفاهيم تزرعها الصهيونية في نفوس الأطفال كل يوم، وتحقن بها أفكارهم وعقولهم. وتشكل منهم بلدوزر الفعل العدوانى القادم ضد العرب، بل وضد أنفسهم أيضاً.



لوحات دعائية في أحد شوارع نيويورك

## الإعلانات في الشوارع مدينة ترعب بها وأخرى تحظرها

رانيا طوير

تختلف الإعلانات في شوارع المدن والأماكن الخارجية عن غيرها لأسباب كثيرة تشمل توجهها إلى جمهور شبه محكوم بالاطلاع عليها ولا يستطيع تلافيها، وبالتالي تمتعها بفاعلية ترويجية قد تكون أكبر من غيرها من وسائل الإعلان. إضافة إلى أن حضورها الكبير والمتنامي في المدن الحديثة حولها إلى قضية جمالية وبيئية تشغل المسؤولين عن البلديات وتنظيم المدن.

رانيا منير تعرض أوجه هذه القضية، والجهود المبذولة إلى ضبط عالم اللوحات الإعلانية الذي يبدو متجهاً باستمرار إلى مزيد من التضخم بفعل دوره الكبير في الحياة التجارية والاستهلاكية، حتى بات يشكل جزءاً أساسياً من نسيج المدينة الحديثة وشكلاً من أشكال الهوية المميزة لبعضها الآخر.

الزاهية، وكذلك طائر الوقواق يعلن من خلال صوته تودده لشريكه.

كما كان الإعلان الخارجي لدى العرب قديماً يتمثل في شخصية المنادي الذي يستخدمه الأمراء والحكام للإعلان عن قراراتهم وما يودون إعلانه للشعب، ثم أصبح التجار يستخدمونه للإعلان عن وصول سفنهم وبضائعهم. وقد انتقلت هذه العادة للغرب، ولم يأخذ الإعلان شكله الحقيقي حتى بداية عصر الطباعة في القرن الخامس عشر والسادس عشر حيث أصبح على شكل منشورات توزع باليد. فظهر عام 1477 أول إعلان يهدف إلى زيادة مبيعات كتاب، وفي القرن السابع عشر بدأ ظهور الإعلان في الجرائد.

### ظهور الإعلان الخارجي

لكن الحاجة الملحة للإعلان ظهرت مع بداية الثورة الصناعية، وتدفق كميات كبيرة من البضائع. فكان لا بد من الترويج لها وتعريف المستهلكين بها عن طريق الإعلان. فظهرت بالإضافة إلى إعلانات الجرائد والملصقات الجدارية، أشكال أخرى من الإعلان كالبونات الهيليوم، وكتابة الإعلان على القطار ووسائل النقل العامة.

ومع بداية عام 1820 زاد انتشار الدعاية في الشوارع، وبالتالي ارتفعت رسوم الضرائب المفروضة عليها، وازداد التنافس على مساحات الملصقات، مما جعل المعلنين يبحثون عن أفكار وطرق جديدة لجذب انتباه المارة. ففكروا بجعل الدعاية متنقلة، بأن يرفع شخص لوحة إعلانية ويتنقل بها في الشوارع أو أن يرتدي الشخص الذي يعمل كلوحة إعلانية ملابس غريبة تحمل الرسالة التي يعلن عنها. فقد ارتدى أحدهم قبعة

أطول بثلاث مرات من القبعات المعتادة في ذلك الوقت وكتب عليها «زوج من الأحذية بـ 12 فرنكاً». كما ظهر ما سمي بـ «سندويش اللوحة الإعلانية» وكانت عبارة عن قالب من الإعلان يلف الرجل به جسمه فيبدو فيه كسندويشة ليقرأ الناس الإعلان المكتوب حوله. وما زالت هذه الطريقة موجودة حتى الآن، فنجد الكثير من رجال الإعلان بزيهم الغريب يتنقلون في شوارع ويستمنستر حيث منعت اللوحات الإعلانية الكبيرة.

وهكذا بدأ الإعلان يُعد الوجه الآخر للنمو الاقتصادي، ويشكل دعماً كبيراً للاقتصاد الوطني بشرط ألا يكون مضللاً للمستهلك فيفقد صدقيته. وفي عام 1841 ظهرت أولى وكالة دعاية وإعلان في بوسطن، أسسها فولتي بالمير. ومن ثم، ومع انتشار المحطات الإذاعية في أعوام 1920 أصبحت الإذاعة وسيلة إعلان وسرعان ما لحق بها التلفزيون في مطلع الأربعينيات.

### خصوصية اللوحة الإعلانية

ومع بداية الستينيات من القرن العشرين، بدأت صناعة الإعلان تنحو منحى جديداً، إذ لم تعد الدعاية البسيطة المباشرة كفي لإثارة انتباه المستهلكين، لهذا بدأ البحث عن أفضل المواهب والأفكار الإبداعية الجديدة. وأصبحت الدعاية فناً بحد ذاته، حيث تقوم شركات الإعلان بدراسة المنتج دراسة وافية وتصميم شعار له وعلامة تجارية خاصة به، وإعداد حملة إعلانية للترويج له. ففي إعلانات التلفزيون أو الراديو قد يتاح للمصمم مساحة تعبير أكبر في استخدام الصورة والصوت والحركة والألوان لجذب انتباه المستهلك، بينما في الإعلانات الخارجية فهي تُعد تحدياً حقيقياً لمصمم الإعلان حيث

إن المشاهد يكون متحركاً، وغالباً مستعجلاً، لذا يجب أن تكون الفكرة مختصرة ومقدمة بشكل واضح يحقق التأثير المطلوب. ومن مميزات الإعلان الخارجي انخفاض تكلفته مقارنة ببقية أنواع الإعلان، وبهذا يتمكن أصحاب الشركات والأعمال المتوسطة والصغيرة من إيجاد فرص للإعلان من دون تكاليف باهظة.

وفضلاً عن أهمية الملصق التجارية، فهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفن الرسم. وكان من رواده وأساتذته في أوروبا جول دي شاريت وتولوز لوتريك اللذين كانا يرسمان الملصقات للمسرح والسيرك وأغلفة الكتب وعبوات زجاجات العطور. وكذلك قدم بابلو بيكاسو الكثير من الأعمال المميزة في فن الملصق حيث كان حوالي العام 1946 ولمدة عدة أشهر يتردد على شارع دي شابرول ويعمل يومياً كأى مصمم للطباعة الحجرية.

في الوقت الحاضر، انتشرت وكالات الإعلان المتخصصة. وراحت تتنافس في ابتكار الأفكار والوسائل الإعلانية الجديدة. فإضافة إلى الملصقات واللوحات الإعلانية تقوم بعض شركات الإعلان بتحويل شعار الشركة أو العلامة

التجارية إلى تصميم ثلاثي الأبعاد على أي سطح كالأرضيات أو العشب في سهل أو حقل أو منحدر أو أرضية ملعب أو شاطئ البحر. وبعد نهاية الحملة يتم إزالة الإعلان دون أن يضر بالبيئة أو يترك أي أثر. وقد لاقى هذا النوع من الإعلانات رواجاً كبيراً لغرابة الفكرة وجاذبية التصميم، فقامت الصحف بنقل هذه الصور وانتشرت كذلك عبر الإنترنت من خلال هواتف المارة الذين كانوا يلتقطون الصور لها مما جعلها وسيلة فعالة تخلف الدهشة والإثارة حول المنتج وتحقق له حملة إعلانية ناجحة.

### السيطرة الكاملة على المشهد البصري للمدن

لا يتوقف الأمر على اللوحات الإعلانية ورسوم الجدران والأرضيات، بل إن تقنيات الدعاية المعاصرة جعلت من الممكن تحويل السيارات والقطارات والشاحنات والحافلات والطائرات إلى لوحات إعلانية متنقلة. وقد جاء في نشرة لإحدى شركات الإعلان تعرف بطبيعة عملها: «هل تعتقد حقاً أن الأرصفة والشوارع وجدت فقط للمشاة؟ وأن النواخذ وجدت فقط للنظر من خلالها؟ والأبنية وجدت فقط للعيش والعمل

فيها؟ والشاحنات لنقل الحمولات فقط؟ وأن وسائل النقل العامة وجدت لنقل الركاب من مكان لآخر فقط؟».

وهذا ما يشير إلى أن ظاهرة الإعلانات اليوم باتت تغطي كل مكان، وأصبح من الصعب إيجاد أية مساحة فارغة لا تشغلها الإعلانات. بل إن عدم استغلال هذه المساحة أصبح يُعد نوعاً من السذاجة وإضاعة فرصة لتحقيق الربح. فهذه الوسائل، إضافة لوظيفتها الأساسية في نقل البضائع والركاب، باتت تحمل رسالة وتحقق مبيعات وأرباحاً.

لقد سيطر الإعلان تماماً على المشهد البصري لمدينة العالم. وأصبح ظاهرة بصرية عالمية، لدرجة أننا قد لا نلاحظها أحياناً ولا نلتفت لها. في طوكيو مثلاً من الممكن جداً أن ترى شاحنات كبيرة من دون أية حمولة تتجول في المدينة بهدف عرض الإعلان الملصق على جانبها فقط. كما تستهدف اللوحات الإعلانية والملصقات مواقف الحافلات ومحطات القطار باعتبارها الأماكن الوحيدة التي يقف الناس فيها من دون فعل شيء، سوى الانتظار. وبهذا يكون لديهم متسع من الوقت لقراءة الإعلان. لهذا تكون هذه الأماكن

مغطاة تماماً بالإعلانات، بل أصبح الإعلان يمثل شخصية بصرية لهذه الأماكن.

### شروط اللوحة الاعلانية

يجب أن يتوافر في اللوحة الاعلانية عدة شروط لتتمكن من إيصال رسالتها للمتلقي. فهي موجهة إلى المستهلك المار في الشارع، وعليها أن تلفت انتباهه خلال بضع دقائق أو أثناء مروره على طريق عام أو شارع مزدحم، وتخلّف لديه انطباعاً قوياً يجعله يفكر بها. لهذا يجب أن تكون الكلمات واضحة وموجزة وألوانها متناسقة وأحياناً قد تغني الصورة المعبرة عن الكلمات، حتى إن «الحكمة» الغالية على قلوب كثيرين وتقول «إن الصورة تُغني عن ألف كلمة» ظهرت أساساً من تقييم نوعية الإعلان على السيارات في أمريكا خلال النصف الأول من القرن العشرين. كما يجب أن يراعى اختيار مكان اللوحة على الطريق، فلا توضع في اتجاه معاكس للمرور، وعلى التركيز على انتشارها في الطرق العامة الخالية أن يكون مفيداً للسائقين بحيث تدلهم على مراكز الطعام والوقود.

### معايير موضع خلاف

في أوروبا تُعد اللوحات الاعلانية عنصراً أساسياً يشكل المظهر العام للمدن ومصدر دخل مهم للبلديات والحكومات. وقد قدر الإنفاق على الإعلان عام 2007 بحوالي 150 مليار دولار في الولايات المتحدة الأمريكية، و385 مليار دولار في بقية أنحاء العالم. ففي أمريكا كان هناك ما يقارب 450000 لوحة اعلانية على الطرق



لوحة دعائية عبارة عن حارس مرمى يتصدى للكرة

ومن جهة ثانية تؤكد إحصاءات وزارة النقل والجماعات من تلك اللوحات لما تسببه من إزالة مفرطة للأشجار وتطفل على المناظر الطبيعية المحيطة، إضافة إلى ألوانها الصاخبة وإنارتها التي قد تشتت انتباه السائق مما يشكل خطراً على السلامة العامة. ولكن في المقابل، كان هناك جماعة أخرى ترى أن اللوحات الاعلانية تسهم بشكل كبير في تشكيل الثقافة الجمالية وتوفير شعور بالاكتمال والرضا لدى المستهلك من خلال ما توفره من بضائع وخدمات.

وقد بدأت منذ عام 1909 المحاولات في عدد من الولايات لوضع قوانين حظر وضبط لعملية انتشار اللوحات الاعلانية. وفي عام 1971 وضع قانون لحظر الإعلانات التي يمكن أن تهدد السلامة المرورية وتشوّس انتباه السائق ولكن سرعان ما ألغي في عام 1981 لأنه يحظر اللوحات التجارية وغير التجارية على حد سواء.

ورغم الاتهامات الموجهة إلى اللوحات الاعلانية، أثبتت دراسة قام بها باحثون في جامعة كارولينا عام 2001 أن بعض العناصر في السيارة كالإذاعة واللوحة الاعلانية والتحكم في درجة الحرارة لا تُعد من الأمور المشتتة. كما قام خبراء السلامة المرورية بدراسة العلاقة بين وجود الإعلانات الخارجية والحوادث المرورية التي وقعت منذ عام 1950 فلم يجدوا أي دليل علمي موثق يثبت أن لهذه اللوحات أية علاقة بالحوادث المرورية. إلا أنه تم التشكيك بمصداقية نتائج هذه الدراسات، واتهامها بالتحيز كونها ممولة من قبل وكالة الدعاية الخارجية الأمريكية.

أما في مدينة سان باولو في البرازيل، فقد فرض عام 2007 حظر للوحات الاعلانية لعدم وجود نظام قابل للتطبيق يخص صناعة اللوحات الاعلانية. ويتم العمل حالياً مع شركات خارجية لإعادة بناء الهيكل العام الخارجي للمدينة، ووضع القيود والضوابط التي تنظم هذه اللوحات، وتحد من نموها العشوائي.

وفي بريطانيا يتم ضبط انتشار اللوحات الاعلانية كجزء من نظام التخطيط. ويُعد وجود أي إعلان مخالف لم يحصل على موافقة من سلطة التخطيط مخالفة للقانون يدفع مرتكبها غرامة تقدر بـ 2500 جنيه لكل ملصق. وكذلك الحال في مدينة تورنتو في كندا حيث فرضت ضريبة محلية على لوحات الإعلان في أبريل

2010 يذهب جزء منها لتمويل برامج الفنون الجميلة.

بينما ما زالت المدن العربية تعاني من فوضى الإعلانات التجارية وعشوائية اللوحات الاعلانية والملصقات، التي تسبّب تلوّثاً بصرياً شديداً يتمثل في غياب التوحيد والانسجام للافتات أسماء الشوارع والناوين بالمدينة، وتداخل الإعلانات التجارية والاحتفالية والإرشادية، وفقدان الرسالة الاعلامية الخيرية، مع حجب الرؤية البصرية للمعالم التاريخية أو المعمارية أو الجمالية، وإهمال تجديدها والعناية بنظافتها وسلامتها، وتجاهل إزالة بعض اللوحات والبنائات والإعلانات عن أوجه نشاط واحتفاليات قامت بها مدينة ما وقد تمر شهور على نهاية هذه الاحتفاليات دون أن تزال هذه الإعلانات المنتهية الصلاحية، مما يسبب فوضى وتلوّثاً بصرياً وتشويهاً للوجه الجمالي للمدينة.

ففي سوريا مثلاً ومناسبة احتفالية دمشق عاصمة للثقافة العربية أزيلت 100000 لوحة اعلانية من شوارع دمشق القديمة. إلا أنه لا يزال هناك الكثير من المخالفات والتشويه لوجه المدينة ومعالمها الأثرية.

وقد حاول مدير الإعلانات بالمؤسسة العربية للإعلان تبرير ذلك قائلاً: «رغم معرفتنا بأن اللوحات الاعلانية الموجودة في دمشق تسهم في التلوّث البصري وبالتالي عدم إظهار جمالية المدينة وتشويه معالمها، إلا أننا لا نستطيع منعها. فالإعلان حاجة اقتصادية لا أحد يستطيع الاستغناء عنها، لا المستهلك ولا المنتج. ولمعالجة هذه الظاهرة سمحنا فقط بوضع لوحات ذات خصائص فنية عالية، وذلك على أساس معايير حددتها اللجان الاعلانية المشكّلة من فنانين تشكيليين وأعضاء من محافظة دمشق والمتمثلة في وضع معيار جمالي يحقق السلامة العامة. فمثلاً يجب ألا تعوق اللوحات السير أو المشاة أو تؤدي إلى حوادث. ولذلك قمنا بإزالة أعداد كبيرة منها على الطرقات العامة، وأبقينا تلك التي تتمتع بالمظهر الجمالي والقيمة الفنية العالية. أما في مراكز المدينة مثل الصالحية وشارع العابد، فقد عوضنا عن اللوحات بأخرى وضعت على الأرصفة للدلالة. وقمنا بحملات اعلانية في التلفزيون والجرائد والإذاعات لتوعية الناس من مضار هذا التلوّث، وفرضنا غرامات على أصحاب اللوحات الاعلانية المبعثرة عشوائياً. ولم يكن القصد من الغرامة هو العقوبة، بل تنبيه الناس

إلى أن ما يفعلونه هو من المحرمات القانونية لما له من أضرار على البلاد».

وفي الأردن، ورغم المطالبة بإزالة اللافتات الاعلانية التي تغطي البنايات والجدران وتشوه جمال عمّان، فإن الشركات الاعلانية رفضت إزالتها بحجة أن ذلك يسبب خسائر فادحة لها، وأن التطورات الاقتصادية التي تشهدها المملكة تفرض وجود هذه الاعلانات.

أما في المملكة، فيُعد الوضع أفضل حالاً مما هو عليه في معظم البلدان العربية. ففي الرياض مثلاً تمت إزالة اللوحات الاعلانية التي تسبب تلوّثاً بصرياً وتُعد مخالفة أو غير مطابقة للمواصفات التي أعدتها وزارة الشؤون البلدية والقروية. كما تُعد مدينة الخبر حالة نموذجية لواحد من أكثر أشكال توزيع اللوحات الاعلانية تنظيمياً. إذ إن معظمها يحتل مساحات مؤطرة وموحدة على

أعمدة الإنارة في الشوارع الكبرى ذات مساحة معقولة، تسمح بفعل تكرارها بإيصال رسالتها إلى المارة في الشوارع وذات مقاييس معتدلة لا تعوق أنظار السائقين ولا مشاهدة معالم الشوارع. في حين أن اللوحات الاعلانية العملاقة تأخذ شكل أسوار تحيط بالأراضي غير المبنية فلا تحجب رؤية أي شيء يستحق الرؤية. أما المشكلة الوحيدة التي يواجهها بعض هذه اللوحات، وخاصة تلك المتعلقة بمناسبات محددة، فهي بقاؤها طويلاً في الشوارع بعد المناسبة وكأنها منسية، أو كأن من علّقها غير مسؤول عن نزعها بعد انتهاء المناسبة. وحال اللوحات الاعلانية في مدن المملكة هو نفسه بتنظيمه وإيجابياته وسلبياته المحدودة ينطبق على حالها في معظم دول الجوار الخليجي، حيث بلغ التنظيم المدني مكانة مهمة، ويحظى باهتمام كبير من المسؤولين عن البلديات.

وفي مصر، تحوّلت القاهرة إلى معرض دائم للوحات الإعلان والملصقات، لهذا عمل المجلس الأعلى للتخطيط والتنمية العمرانية على وضع أسس ومعايير التنسيق الحضاري للإعلانات واللافتات لعام 2008 بما يحقق المتطلبات المرورية والعمرانية والبصرية. وتشمل الأهداف العامة للدليل الأسس التالية: «تصحيح الصورة البصرية والمحافظة على جماليات المدينة، وضع أسس وقواعد تقن علاقة الإعلانات واللافتات بحرم الطريق والمجال العمراني المباشر له، تحديد المسافات البينية للإعلانات واللافتات باختلاف أنواعها ورسالتها الاعلانية أو الإرشادية أو التوجيهية، تحديد مواضع

الإعلانات واللافتات في حرم الطريق ومجاله والبيئة المحيطة، وضع القواعد المعيارية لمقاسات وأحجام وأشكال كافة الإعلانات واللافتات، وزوايا الرؤية واتجاهات الحركة الآلية والمشاة، تحقيق السلامة منعاً للحوادث والمخاطر الممكنة، ضمان توافق تصميم الإعلانات واللافتات مع البيئة العمرانية، وضع الاشتراطات المنظمة لنوعية ومستويات الإعلانات واللافتات، وضع ضوابط لعدم نوع عشوائية الإعلانات واللافتات في المدن، وما ينتج عنها من تلوّث بصري وجمالي وعمراني للبيئة». ولكن رغم هذا، وربما لتراخ في تطبيق هذا الدليل، ما زالت القاهرة تعجّ باللوحة الاعلانية، وبشكل لا يختلف كثيراً عما كان عليه الحال قبله.

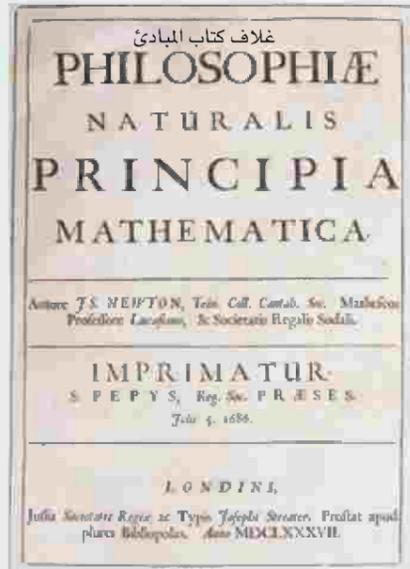
### حالة قصوى

وتتجلى مظاهر قضية اللوحات الاعلانية بأوضح صورها، وبكل سلبياتها وإيجابياتها في أماكن محددة أكثر من غيرها، ومنها لبنان مثلاً. ففي بيروت وعلى طول الطريق السريع الواصل ما بين العاصمة والمدن الرئيسية، تبدو جنبات الطريق وكأنها غابة من الصور العملاقة التي يختلط فيها كل شيء بدءاً من الترويج للملابس والعلطور والجواهر وصولاً إلى الدعاية السياسية للانتخابات وتكريم الشهداء.

وعلى الرغم من الجهود الموسمية التي تبذلها الحكومة والبلديات لضبط هذه الصناعة الضخمة، والتي تسفر عن إزالة بعض هذه اللوحات من حين إلى آخر، فإن أضعافها يقوم لاحقاً مستفيداً إما من لي ذراع القانون وتفسيراته، وإما من طغيان اهتمام عام بقضية أخرى غير قضية الإعلانات في الشوارع. بحيث استباح المعلنون كل أعمدة الإنارة على طولها، وجدران الأبنية المجاورة وكل مساحة غير مبنية يمكنهم أن ينصبوا فوقها لوحة معدنية توجّر للمعلنين المختلفين تبعاً.

وعلى الرغم من عدم توافر أرقام دقيقة عن حجم صناعة الإعلان في لبنان، فمن المرجح أنها ضخمة جداً، وعلى الأرجح هي الأكبر عربياً مقارنة بعدد السكان، وإجمالي الناتج الوطني. ومن ثمار ازدهار هذه الصناعة التي يعمل فيها الأثوف من المصممين والعمال والموزعين (غير المنتج والمستهلك) هو بلوغ فن التصميم فيها مستوى رفيعاً، بات ينتزع اعتراف الجميع بجوداه، حتى أن العقد الأخير شهد تحول الإعلان السياسي من عهدة الأحزاب إلى عهدة وكالات

## الكتب العشرة الأكثر تأثيراً في تاريخ البشرية !



لأنه كان ضيق الأفق جداً ! - وهو الكتاب الذي وضع فيه قوانين الحركة الثلاثة الشهيرة التي يعرفها اليوم طلابنا في المدارس الثانوية، والتي استطاع من خلالها تفسير كل ما هو معروف عن الحركة في الكون، وتحليل الظواهر الميكانيكية الطبيعية تحليلاً متناهياً في الدقة ! هذا الكتاب العبقري جعل عدداً كبيراً من العلماء - من الذين عاصروه والذين جاؤوا بعده - يتدمرون من نيوتن لأنه لم يترك لهم شيئاً يشتغلون به ! حتى إن أحد العلماء الفرنسيين الكبار (بيير دو لا بلاس) قال عنه:

«إن نيوتن كان محظوظاً مرتين .. المرة الأولى لأنه كان يملك قدرة هائلة لاكتشاف أساس الكون فيزيائياً .. والمرة الثانية لأنه لا يمكن أن يكون له مناسف أبداً .. لأنه لا يوجد سوى كون واحد فقط يمكن اكتشافه» !

**الكتاب الثالث: النسبية - ألبرت أينشتاين**

النظرية التي سمع عنها الجميع تقريباً، ولا يوجد أحد في العالم - مهما كانت ميوله الثقافية - لم يسمع عنها .. ولكن أغلب من سمعوا عنها لا يفهمونها ! ولكن فهم الفكرة العامة لها كاف جداً للغير متخصصين طبعاً ..

نشر العبقري أينشتاين بحثه عن النظرية النسبية العامة في العام 1916، بعد عشر سنوات كاملة من التفكير والبحث .. فتوصل من خلال نظريته تلك إلى العلاقات الأساسية للكون وقام

التقدم الهائل الذي وصلت إليه البشرية اليوم، لم يظهر بين يوم وليلة .. إنما جاء من تراكم هائل للخبرات والمعلومات والرؤى والنظريات والأبحاث، التي توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل .. وقرناً بعد قرن ..

في هذه المقالة، نستعرض معاً الكتب العشرة الذي أثرت في تاريخ (البشرية) بشكل كامل .. نتحدث هنا عن الأصول .. أمهات الكتب كما يُسميها البعض، التي ارتكزت عليها الحضارة الإنسانية، وقامت بالبناء عليها والتطوير فيها، حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن.. هذه الكتب العشر ليست من اختياري أنا طبعاً .. بل هي نتيجة إجماع عدد من كبار المفكرين والعلماء على عدد معين من الكتب، اعتبروها أصل العلوم الإنسانية والطبيعية والتقدمية، التي تستخلص منها البشرية دائماً وحي التجربة الأولى .. باختصار .. هي العشرة كتب الأساسية - غير الكتب السماوية - التي لولم تُكن قد وجدت .. بالتأكيد لم تكن لنعيش بالطريقة التي نعيشها الآن !

فيما بعد تم الاعتماد على هذا الكتاب بشكل كبير من قبل الدول الأوروبية في أساليب الحكم والإدارة، ولا يمكن لأحد إلى يومنا هذا - حتى مُنتقدي الكتاب - أن يُنكر دور ما جاء فيه من نصائح وتوجيهات في مُنتهى الدهاء والذكاء السياسي، مازال حتى اليوم بعض الساسة ينتهجون هذه القواعد، وتؤتي ثمارها على أفضل نحو ممكن !

الأمير .. كتاب غيّر نظم الحكم والسياسة في العالم أجمع بلا شك .. غيرتها إلى الأفضل أو الأسوأ .. هذا الحكم متروك لك أنت !

**الكتاب الثاني: المبادئ - إسحاق نيوتن**

هذا الكتاب تم الاتفاق عليه أنه من أعظم الكتب التي أنارت تاريخ البشرية على الإطلاق، ويُعتبر هو النواة الأولى للطرفة العلمية الفيزيائية والرياضية، التي اعتمد عليها سائر العلماء والفيزيائيين والرياضيين في كافة اكتشافاتهم واختراعاتهم العلمية إلى يومنا هذا..

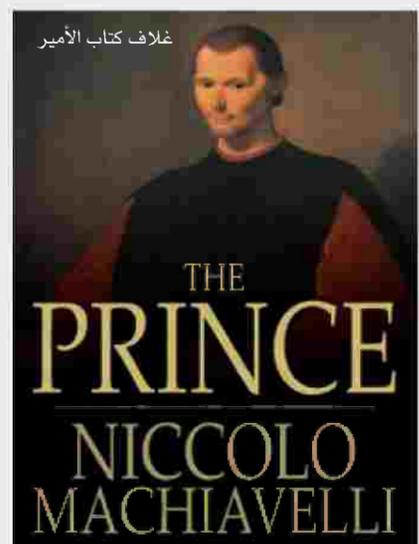
(المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية) للسير إسحاق نيوتن .. واحد من أعظم شخصيات التاريخ الإنساني، واعتبره البعض زينة للجنس البشري .. حتى أن كتاب ( أعظم 100 شخصية في التاريخ) وضعه في المرتبة الثانية مباشرة، بعد الرسول العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم !

نيوتن كتب هذا الكتاب باللغة اللاتينية حتى يتجنب الجدل العقيم مع غير المتخصصين -

**الكتاب الأول: الأمير - ميكافيللي**

هذا الكتاب من أكثر الكتب ذائعة الصيت والتأثير في الوعي الإنساني، خاصة إذا تعلق الأمر بالنظام السياسي والإداري وشؤون الحكم ..

وعلى الرغم من سُمعته السيئة لدى الكثيرين من الناس بمختلف ثقافتهم، خصوصاً مبدأ (الغاية تُبرر الوسيلة) التي أسسها ميكافيللي، والتي أصبحت مُرادفاً للانتهازية على مر العصور .. إلا أنه يبقى تراثاً إنسانياً أحدث نقلة هائلة في نظم الإدارة والحكم وتأسيس الدول .. الكتاب تم تأليفه في العام 1513، وصدرت طبعته الأولى في العام 1532، أي في فترة القرون الوسطى المتأخرة .. وكان ميكافيللي يهدف من خلاله نقل خبراته السياسية في الإدارة والحكم إلى الأمير (لورنزو دي ميديشي)، ليعلمه كيف يصل إلى السلطة ويحتفظ بها..



ساحة تايم سكوير في نيويورك تعج بإعلانات المديا والطباعة

أما النقطة الثانية التي تستدعي التوقف أمامها فتتعلق بمحتوى اللوحة. فهذا المحتوى موجه إلى الجمهور العام، أي إلى كل شرائح المجتمع. ومثل هذا التوجه يفرض مستوى عالياً من الجدية في التعامل مع اللوحة عند إنتاجها.

صحيح أن الكل يعلم أهمية العناصر التصميمية. ولكن قلة تنتبه إلى أن خطأ بسيطاً في التعبير النصي أو التصويري يمكنه أن يؤدي إلى نتائج عكسية تماماً، فيثير النقد والسخرية والنفور مما يفترض للإعلان أن يروج له. أما سباق الفنانين إلى التميز عن نظرائهم، واعتبارهم أن كل الوسائل مقبولة طالما أن الغاية هي لفت النظر، فيمكنها أن تؤدي إلى الوقوع في فخ الفضل نفسه. ففي أمريكا تعرض معلنون للمقاضاة لأن إعلاناتهم كانت تتضمن تلميحات ذات طابع عنصري مثلاً. وفي لبنان أيضاً، تصدى رجال الدين والمسؤولون أكثر من مرة لإعلانات مسيئة إلى الآداب العامة.

وكما هو الحال بالنسبة إلى كل إعلان ووجوب تقييمه على حدة، فإن حال مجموعة الإعلانات في مدينة ما، لا تقيّم إلا وفق شخصية هذه المدينة وهويتها.

الكتب العشرة الأكثر تأثيراً في تاريخ البشرية ! التقدم الهائل الذي وصلت إليه البشرية اليوم،

أن صخب هذه اللوحات بأصواتها التي لا تعد ولا تحصى بات يشكّل البطاقة البريدية السياحية لهذه المدينة. تماماً كما تشكّل صور الإعلانات الضخمة هوية «تايمز سكوير» في نيويورك ورمزاً للمدينة بأسرها.

مما لاشك فيه أن الإعلانات في الشوارع سواءً أكانت ملصقات ورقية أم مضيئة أم رقمية على شاشات عملاقة باتت جزءاً من نسيج المدينة الحديثة. ولو قارناها بالحدائق العامة (التي هي من نسيج المدن نفسها) لوجدنا أن هذه الأخيرة تقام بجهد كبير كواجب وكضرورة، في حين أن الإعلانات تفرض نفسها فرضاً لدواع اقتصادية وتجارية وأيضاً ثقافية واجتماعية. وتميل إلى إعادة الظهور والنمو حتى ولو تم اقتلاعها من مكان ما، وأحياناً لبعض الوقت فقط.. فالمسألة إذن لا تخضع لقاعدة عامة، وتبقى مرتبطة بحالة كل مدينة على حدة، بخصوصيتها العمرانية وتخطيطها واهتمامات سكانها وغير ذلك.. وفي

الحالة اللبنانية التي أشير إليها في متن المقال، يمكن القول إن كثرة الإعلانات في الشوارع، رغم سلباتها الكثيرة التي تواجه بالنقد، باتت تشكّل جزءاً من معالم المدن والمساحات والطرق الواصلة ما بينها. ولهذا يمكن للبعض، وخاصة السياح أن يتطلعوا إليها باهتمام، وربما بشيء من الإعجاب أيضاً.

التصميم التي صارت تنتج الملصقات الانتخابية وشعارات الأحزاب وملصقات المناسبات. ختاماً، أصبح مظهر المدن اليوم محكوماً بالطريقة التي تسوق من خلالها لنفسها الثقافة التجارية السائدة. وعلى المسؤولين عن المدن أن يتمكنوا من ضبط عملية انتشار هذه الإعلانات وتنظيمها والنهوض بها إلى مستوى جمالي يرتفع بذائقة المشاهد ويحسن من مظهر المدينة بدل تشويهها. فالإعلان الخارجي أخطر من إعلان التلفاز أو الصحف، إذ يمكنك ألا تشاهد الأول أو أن لا تقرأ الثاني. بينما لا يمكنك تجاهل الإعلان الخارجي الذي يفرض وجوده شئت أم أبيت.

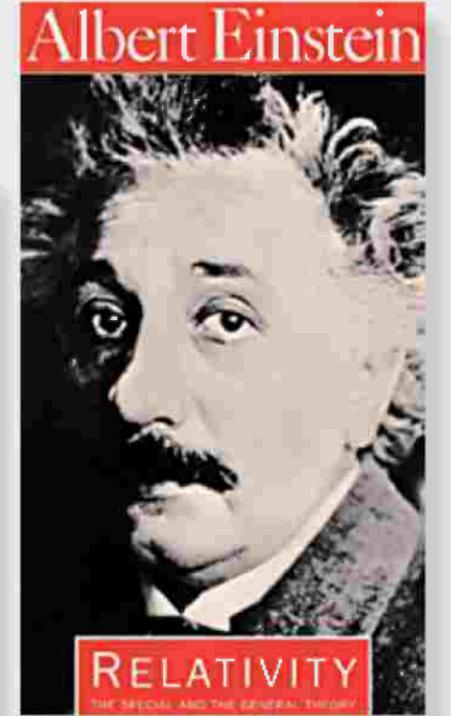
هل هناك قاعدة عامة يمكن لفرض تطبيقها أن يؤسس إلى تقييم دقيق للإعلانات في الشوارع، فيساعد على التخلص من سلباتها ويبقي على إيجابياتها؟

لو أخذنا حالة العاصمة اليونانية أثينا التي ورد ذكرها في متن هذا المقال، وحيث توجب إزالة مئة ألف لوحة إعلانية لتحسين مظهر المدينة عشية الألعاب الأولمبية، لوجدنا أن كثرة هذه الإعلانات كانت سلبية، وتشوّه منظر المدينة ومعالمها الأثرية والتاريخية. ولكن ماذا لو أزلنا مئة ألف لوحة إعلانية من مدينة لاس فيغاس الأمريكية؟ هل سيبقى منها ما يميزها كثيراً عن صحراء نيفادا المحيطة بها؟ ونحن نعرف

يربطها ببعضها البعض ..

النظرية النسبية هي باختصار شديد واحدة من أهم وأبدع النظريات التي توصل لها الإنسان من خلال عقل ألبرت أينشتاين ، الذي كان غريب الأطوار جداً كما يعرف الجميع، وكما ترى في الصورة 1 .. ولكن - عادة - ما يكون غريبو الأطوار هم العباقرة الذين يساهمون في نقل البشرية جمعاء إلى الأمام ..

المكان بأبعاده الثلاثة .. والزمان كبعد رابع .. ومركب (الزمكان) المرتبط مع سرعة الضوء .. وهدم نظريات تقليدية، وإطلاق الحياة في نظريات أخرى كان يعتبرها الجميع نظريات خاطئة وفاشلة ! كل هذه المتع العلمية - المعقدة طبعاً - تجدها في كتاب لواحد من أعظم العباقرة الذين أنجبهم البشرية على الإطلاق .. ألبرت أينشتاين !



غلاف كتاب النسبية

### الكتاب الرابع: أصل الأنواع - تشارلز داروين

هذا الكتاب تحديداً ، يعتبر من أكثر الكتب التي أحدثت ضجة هائلة في عصره، استمر تأثيرها حتى يومنا هذا، ربما لاصطدامها جزئياً بالموروثات الدينية ..

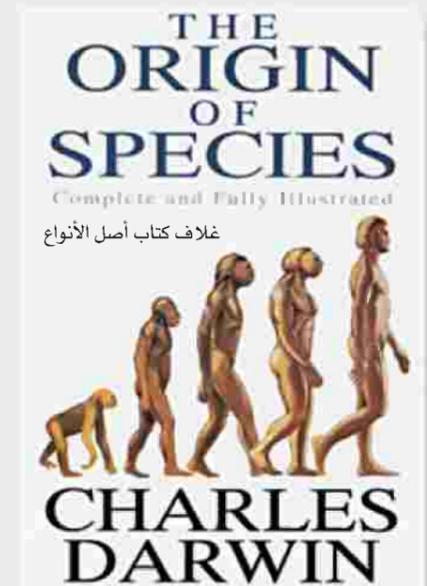
(أصل الأنواع) الكتاب الشهير الذي ألفه العالم داروين في العام 1859، يعتبر - بعيداً عن النقاط المثيرة للجدل - أحد أبرز الأعمال التي أثرت في علم الأحياء التطوري بشكل هائل، فضلاً عن كونها حجر الأساس للعقلية الأوروبية البحثية

والفلسفية، والتي امتدت حتى يومنا هذا ..

وصف أحد كبار العلماء - توماس كون - نظرية التطور بأنها نموذجاً للثورة العلمية الحديثة؛ لأنها في نظره ليست مجرد نقلة علمية تقنية شهدتها العالم، بقدر كونها تأسيساً لمنهج جديد في التفكير، وتغييراً جذرياً في العديد من المفاهيم العلمية والإنسانية والفلسفية والوجودية ..

لذلك، صنف العديد من علماء العصر الحديث كتاب (أصل الأنواع) الذي استعرض فيه داروين نظريته للتطور، بأنه في أهميته يعتبر رأساً برأس مع كتاب نيوتن (المبادئ) .. بل واعتبر البعض نظرية التطور أكثر أهمية من النظرية النسبية لألبرت أينشتاين، لأنها جمعت بين القفزة العلمية من ناحية، ونظرة الإنسان إلى هويته من ناحية أخرى ..

نظرية التطور - بلا شك - أحد أهم وأعقد النظريات المثيرة للجدل، والتي - سواءً قبلتها أو رفضتها - لا يمكن أبداً تجنبها أو تحييدها جانباً، لما جاءت به من أدلة وبراهين علمية ومنطقية دقيقة ..



### الكتاب الخامس: كفاحي - أدولف هتلر

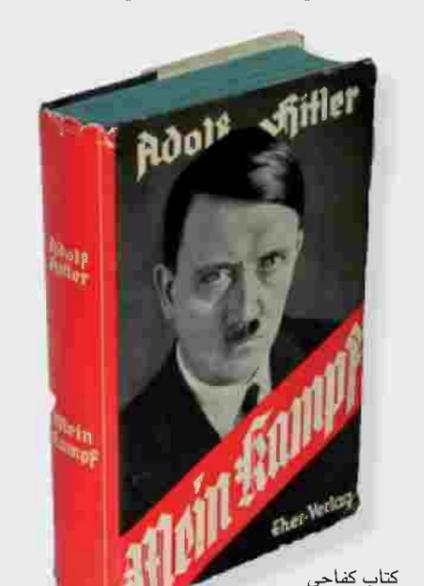
كتاب غني عن التعريف طبعاً ، ألفه الديكتاتور الألماني الأشهر في تاريخ البشرية أدولف هتلر وهو في السجن، ونُشر في العامين 1925 و 1926 .. وهو عبارة عن خليط مجنون من خطط هتلر الطموحة، وسياساته التوسعية ونظراته السياسية، فضلاً عن سيرته الذاتية ..

الكتاب كان عنوانه الأصلي الذي اختاره هتلر له هو: (أربع سنوات ونصف من الكفاح ضد

الأكاذيب والغباء والجبن)، إلا أن الناشر اقترح عليه تسميته (كفاحي) كمنوان أفضل للكتاب .. وهو ما كان ..

وقد اعترف الكثير من الساسة الأوروبيين أنهم كانوا في منتهى الحماسة والغباء لأنهم لم يقرؤوا هذا الكتاب، أو لم يقرؤوه بالجدية اللازمة، لأنهم أدركوا فيما بعد أن الكتاب ببساطة كان يضم كل خطط هتلر ورؤيته السياسية والإستراتيجية، والتي نفذها حرفياً خلال الحرب العالمية الثانية ! زعامة تقترب من التأليه .. سلطة مطلقة .. إرادة ذاتية بمثابة قوانين للحزب الحاكم والدولة .. نظرة سياسية دكتاتورية شمولية كاملة .. عنصرية .. عرقية .. السيادة للأقوى .. حق القوة وليس قوة الحق !

هذه هي أفكار هتلر المجنونة التي وضعها على الورق في كتابه الشهير .. والتي نفذها على أرض الواقع بعدها بعدة سنوات .. والمحصلة: أكثر من 60 مليون قتيل في أعنف حرب شهدتها التاريخ الإنساني .. أي حوالي 2.5 % من إجمالي تعداد السكان العالمي وقتها !



كتاب كفاحي

### الكتاب السادس: ثروة الأمم - آدم سميث

كتاب حمل نواة الفكر الاقتصادي الرأسمالي العالمي، الذي استطاع تغيير النظريات الاقتصادية التقليدية إلى مفاهيم الاقتصاد الحر ..

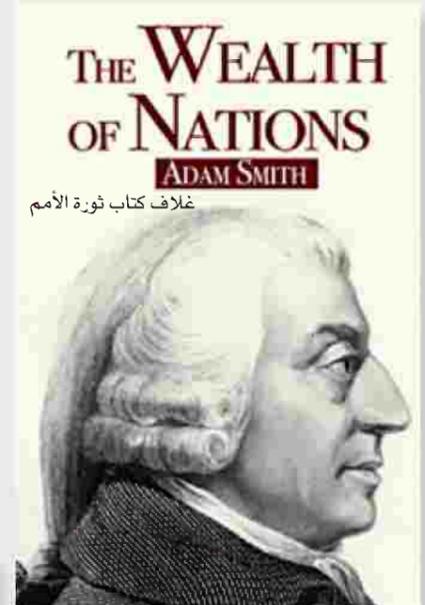
الكتاب يستحيل ألا يتعرف عليه أي مهتم بعلم الاقتصاد، لأنه ببساطة شديد أبو الإقتصاد الحديث بالمعنى الحالي العصري، وأحد الأسس الرئيسية التي قام عليها الإقتصاد الليبرالي

العالمي المعاصر ..

آدم سميث الاقتصادي الاسكتلندي البارز، الذي عاش في القرن الثامن عشر، اعتبر أن ثروة الأمم تقاس بقدراتها الإنتاجية في الأساس الأول، وأن الإنتاجية - كمقياس للثروة - يمكن مضاعفتها بتقسيم العمل - على عكس الموارد الطبيعية ..

نظرية سميث تطرقت بشكل موسع إلى توزيع الثروات على المجتمع، ووسائل تنظيم التجارة وتقسيم العمل، فضلاً عن نظرياته في حرية السوق، والعلاقة بين السوق وتنظيم العمل ودور الدولة، وطرق دفع الحركة الاقتصادية وتشجيع الاستثمار، وغيرها ..

ثروة الأمم .. كتاب قامت على أفكاره نظم اقتصادية كاملة، تطورت تدريجياً حتى وصلنا إلى معاني الإقتصاد العالمي والرأسمالية والاقتصاديات الحرة والعولمة، وغيرها من المفاهيم المترابطة ..



### الكتاب السابع: رأس المال - كارل ماركس

أحدث هذا الكتاب ثورة عقلية واقتصادية واجتماعية كبيرة جداً ، أدت لانشقاقات عقائدية وحروب باردة طالت نحو نصف قرن من الزمان .. وتحول اسم مؤلفه (كارل ماركس) إلى مذهب سياسي واجتماعي واقتصادي وديني هو (الماركسية) !

الكتاب يعرفه الكثيرون .. ولكن قليلون جداً هم من قرؤوه ..

الكتاب الألماني العظيم، الذي عاش في القرن التاسع عشر، تناول في كتابه هذا العلاقة بين

كان فلكياً واقتصادياً ومؤرخاً واستراتيجياً وعالمياً للرياضيات وفيلسوفاً .. ولكنه اشتهر أكثر بكونه مؤسس علم الاجتماع ..

مقدمة ابن خلدون جعلت الكثيرين ممن جاؤوا بعده يجدون صعوبة بالغة في الزيادة على ما وصل إليه في كتابه القيم .. لهذا السبب - وغيره - يحتفي به العالم أجمع احتفاءً شديداً حتى يومنا هذا ..

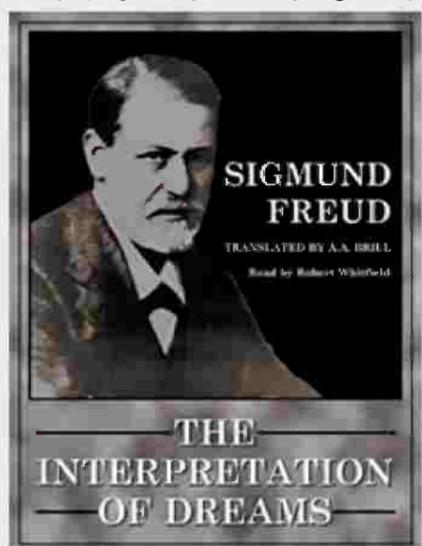
### الكتاب التاسع: تفسير الأحلام - سيجموند فرويد

الكتاب الذي يُعتبر التنظير العلمي الأساسي والأشهر في علم النفس، نظراً لشهرة ومكانة مؤلفه الطبيب سيجموند فرويد بين علماء عصره ..

وضع فرويد في كتابه (تفسير الأحلام) العديد من النظريات النفسية، التي تُعد الآن مرجعاً رئيسياً لكل المشتغلين في الطب النفسي أو المجالات ذات الصلة بعلم النفس، والتي حاول من خلالها الوصول إلى تفسيرات علمية قاطعة لماهية الأحلام وكيفية تفسيرها نفسياً ..

الكتاب ملئ بالمفردات العلمية النفسية المعقدة التي تُساهم في ذاتها في جلب كل الأمراض النفسية الممكنة إليك أثناء القراءة ! .. فضلاً عن كون الرجل مُقتنعاً تماماً أن (الجنس) هو السبب الرئيسي في كل المشاكل النفسية التي يُعاني منها الإنسان !

كتاب (تفسير الأحلام) لسيجموند فرويد .. كتاب أضاف الكثير جداً - بلا شك - لعلم النفس الإنساني، بشكل يجعله - عن جدارة - واحداً من أكثر الكتب تأثيراً في تطور البشر ..

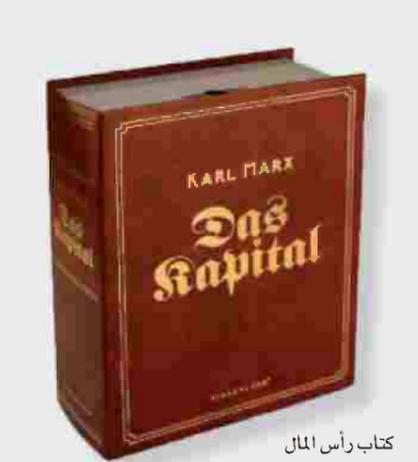


غلاف كتاب تفسير الأحلام

المنازعات الاجتماعية والإنتاج الرأسمالي، ورؤيته لعنى التطور الصناعي للبلدان، وتحليل البضائع، والاقتصاديات السياسية لرأس المال، وقوى البيع والشراء، والعديد من المفاهيم السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية ..

يجب أن أقول أن الكتاب مُعقد جداً على إفهام الكثيرين، ويجب أن يكون لدى القارئ الصبر والحس النقدي والتحليلي الذي يؤهله لقراءة هذا التصورات ..

الكتاب ضخماً فعلاً ، ويتألف من 9 مجلدات ! ..

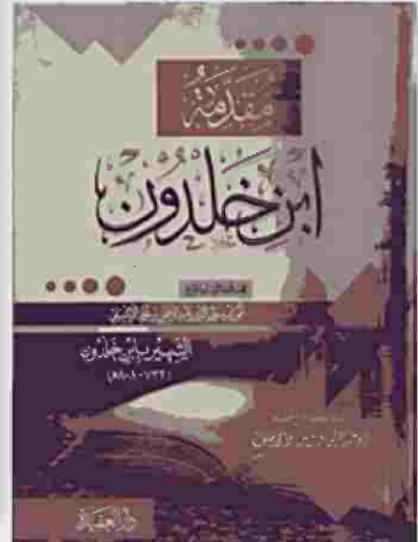


كتاب رأس المال

### الكتاب الثامن: المقدمة - ابن خلدون

هذا الكتاب الذي مازال حتى يومنا هذا رمزاً لعبقرية الحضارة العربية الإسلامية، والذي يحمل في طياته تأسيساً مباشراً لعلم الاجتماع أو السوسيولوجيا، وأتى فيها بما لم يستطع أحد من قبله أن يأتي بمثله ..

ابن خلدون العالم العربي المسلم، الذي كان - كأغلب العلماء العرب المسلمين - موسوعة علمية وثقافية متقلة تسير على قدمين؛ فقد



غلاف كتاب مقدمة ابن خلدون

## الكتاب العاشر: دورة الأفلاك السماوية - كوبرنيكوس

مثل هذا الكتاب بداية الانقلاب الكامل على النظريات الفلكية التقليدية، التي كانت سائدة في ذلك الوقت، بأن الأرض هي مركز الكون، وأن الأجرام السماوية بما فيها الشمس هي التي تدور حول الأرض..

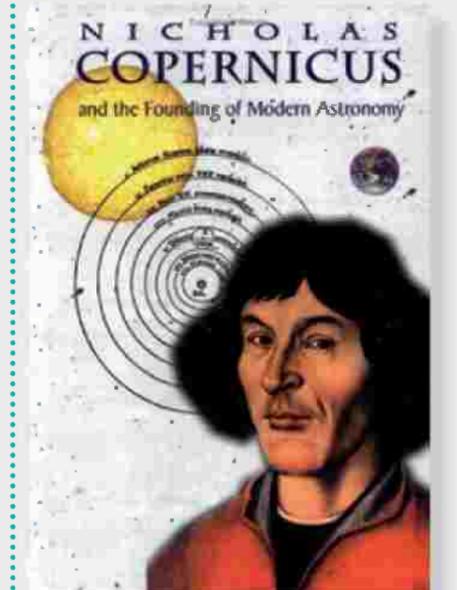
كوبرنيكوس أحد أهم وأعظم العقول البشرية، التي ساهمت في إطلاق علم الفلك بمنظوره الحديث، عندما أثبت أن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية، وأن الأرض والكواكب الأخرى هي التي تدور حولها، وليس العكس..

اصطدم طبعاً كوبرنيكوس بطرحه هذا مع العقل الجمعي الرجعي الذي كان سائداً في أوروبا هذه الفترة من القرن السادس عشر، فضلاً عن الاتهامات بالزندقة والتكفير والتشكيك في المسيحية، وغيرها من الاتهامات التي كانت سائدة وقتئذٍ في أوروبا..

من قرأ الكتاب علّق عليه أنه متعة حقيقية عندما تجد عقلاً نشطاً ذكياً يحطم القيود التقليدية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، ويعمل عقله في موضوع كان يتعامل معه الجميع كأمر مسلم به تماماً ولا يقبل النقاش أو الشك..

كتاب دورة الأفلاك السماوية للفلكي العظيم كوبرنيكوس، يُعتبر هو المفتاح الرئيسي لعلم الفلك بمعناه الحديث بلا أدنى شك.. لذلك استحق طبعاً أن يكون من ضمن العشرة كتب التي أثرت على البشرية!

أي من هذه الكتب العشرة ترى إنها الأكثر تأثيراً في التاريخ الإنساني من وجهة نظرك؟



غلاف كتاب دورة الأفلاك السماوية

## رأفة العرب باليهود خلال الحرب العالمية الثانية

### محمد عيساوي

حين نقرأ اللائحة التي وضعتها مؤسسة (ياد فاشيم) الإسرائيلية التي تعنى بإحصاء (الصالحين بين الأمم) - أي الأشخاص الذين أنقذوا يهوداً من يد النازيين خلال الحرب العالمية الثانية- لا نعث على أي اسم عربي أو مسلم من فرنسا أو المغرب العربي.

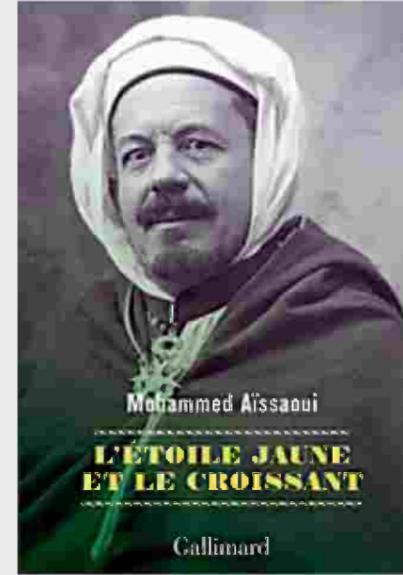
أكثر من ذلك، لا تزال صورة العرب والمسلمين في الغرب وإسرائيل خلال تلك المرحلة السوداء محصورة في العلاقات التي ربطت هتلر بمفتي القدس آنذاك أمين الحسيني و«بفرقة الحماية» (SS) التي تألفت عديداً حصراً من المسلمين. ولتبيد هذا الجهل الفاضح بوقائع تلك المرحلة، وضع الصحفي الجزائري الفرنسي محمد عيساوي بحثاً مثيراً صدر حديثاً في كتاب عن دار نشر (غاليمار) الباريسية تحت عنوان (النجمة الصفراء والهلال).

وتجدر الإشارة بدايةً إلى أن هذا البحث تطلب من عيساوي فترة عامين ونصف العام من الجهد الدؤوب قام خلالها بنبش وثائق وتتبع آثار شهود وجمع شهادات خطية وشفهية قبل خط كتابه الذي يُشكل من دون شك مرجعاً فريداً بشأن هذا الموضوع ويتركز خصوصاً على الدور الذي لعبه مسجد باريس وأتمته في إنقاذ الكثير من اليهود من موت محتم على يد النازيين.

وفي هذا السياق كان لقاء عيساوي مع المخرج السينمائي الجزائري دري بركاني الذي أخرج الفيلم الوثائقي (مسجد باريس.. مقاومة منسية) الذي يُشكل شهادةً دامغة على دور هذا المسجد وعميده آنذاك سي قدور بن غبريت في إنقاذ العديد من اليهود عبر إيوائهم في أماكن سرية في المسجد وتسليمهم أوراقاً مزورة تثبت اعتناقهم الديانة الإسلامية، وذلك بشهادة اليهوديين ألبر أسولين والمغني الشهير سليم هيلالي.

وفي السياق ذاته كان لقاء عيساوي باليهودي الفرنسي الشهير سيرج كلارسفيد (محامي أبناء اليهود المبعدين عن فرنسا خلال الحرب) الذي أقر له بأن أمه حصلت بدورها على أوراق مزورة تثبت أنها عربية مسلمة، من دون أن يحدد الجهة التي منحتها هذه الأوراق.

### مدونة وشهادات



صورة غلاف الكتاب

أما في قسم الأرشيف لوزارة الخارجية الفرنسية، فقد عثر عيساوي على مدونة رسمية وجهها المدير السياسي لهذه الوزارة إلى الجنرال فيغان الذي كان يحتل آنذاك منصب وزير الدفاع في حكومة فيشي، ويقول فيها «سلطات الاحتلال تشته في موظفي مسجد باريس بمنح أفراد من العرق اليهودي شهادات تثبت أنهم من الطائفة الإسلامية. لقد تم إنذار الإمام، بشكل تهديدي، بالامتناع عن أي ممارسة من هذا النوع».

ومن الشهادات المهمة الأخرى، التي تقرؤها في بحث عيساوي الشيق عن شهامة عميد مسجد باريس، شهادة الفرنسي ميشال تارديو التي أكد فيها أن أمه اليهودية أورو بوغانيم التي كانت تعمل ممرضة في مستشفى بوبيني أخبرته مراراً أن بن غبريت اتصل بها هاتفياً لإبلاغها بأن الألمان يدققون في أسماء موظفي المستشفى بحثاً عن اليهود ونصحها بالهروب فوراً.

وكذلك شهادة حمزة بن إدريس عثمان الذي وضع سيرة لبن غبريت أشار فيها إلى إنقاذ هذا الأخير عازفة بيانو يهودية تدعى جورجيت أستورغ عبر إيوائها في مسجد باريس خلال بضعة أيام ثم تسهيل عبورها إلى مدينة تولوز، وشهادة الفكاهي الفرنسي الشهير فيليب بوفار التي أكد فيها دور بن غبريت الرئيسي في تحرير والده بالتبني، اليهودي جول لوزاتو، من قبضة الغيستاو.

ولأن بن غبريت لم يكن الشخص الوحيد الناشط في هذه المسألة داخل مسجد باريس،

يقدم عيساوي شهادات على دور معاونين له نشطاً في تسليم أوراق مزورة لليهود فرانسيس من أصل مغربي، وساعداً الكثيرين منهم على الفرار إلى دول المغرب العربي، كالإمام الجزائري محمد بنزواو ومواطنه الإمام عبد القادر مصلي الذي انخرط في المقاومة الفرنسية ونشط في مدينة بوردو قبل أن يتم توقيفه على يد عناصر الغيستاو وسجنه في معسكر «فور دو ها» ثم إبعاده إلى معسكر (موتاونسن) فمعسكر (داخاو).

ولا يقتصر بحث عيساوي على سلوك بن غبريت ومعاونه النبيل تجاه اليهود خلال الحرب العالمية الثانية، بل يتناول أيضاً سلوك شخصيات ومجموعات عربية وأمازيغية كثيرة نشطت في هذا الاتجاه آنذاك.

ومن هؤلاء الجزائري علي زيتوني الذي اتهمته شرطة باريس بالانتماء إلى (كتيبة أفريقيا الشمالية) النازية وسجنته عام 1944 قبل أن يتبين أنه أنقذ عدداً كبيراً من اليهود عبر منحهم أوراقاً تثبت أنهم مسلمون بحكم عمله في أحد أقسام الشرطة في باريس، بشهادة المحاميين اليهوديين رونيه هايو وبيناجيلا عياش.

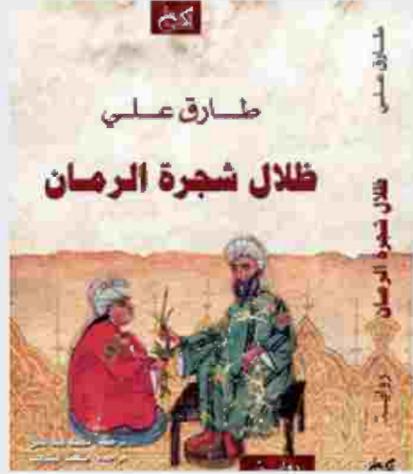
هناك أيضاً التونسي علي سكّات الذي أنقذ نحو ستين يهودياً تونسياً فرّوا من معسكر للعمل الإجباري، ومواطنه خالد عبد الوهاب الذي استقبل عائلتين يهوديتين في معصرة الزيت التي كان يملكها، بشهادة المؤرخ روبري ساتلوف.

### أمين الحسيني

ولا ينسى عيساوي التوقف عند سلوك السلطان محمد الخامس في المغرب ومنصف باي في تونس اللذين رفضا الالتزام بقوانين حكومة فيشي التي حاولت عبثاً أن تفرض على يهود بلديهما وضع نجمة صفراء على ملابسهم وانتزاع ملكية متاجرهم.

وكما توقف عند نضال «المجموعة الأمازيغية» ضد النازيين في باريس وإصدارها بعد فترة وجيزة من انطلاق حملة الاعتقالات ضد اليهود بياناً بعنوان (مثل أطفالنا) قالت فيه: «البارحة، عند الفجر، تم توقيف جميع اليهود في باريس، أطفالاً نساءً وعجزة. إنهم في المنفى مثلنا، إنهم عمال مثلنا. إنهم إخوتنا. أطفالهم مثل أطفالنا. إذا التقى أحدكم بواحد منهم، عليه إنقاذه. يا رجال وطننا، قلبكم كبير».

أما في ما يتعلق بأمين الحسيني فيذكر عيساوي في نهاية بحثه أن سلطة الانتداب البريطاني على



صورة غلاف الرواية

غرناطة بأمر من (راهب الشيطان) الأسقف خمينيث دي سيسنيروس الناطق بلسان الكنيسة والتاج معاً، ولكن بضع مئات من الكتب نجت من المحرقة بحيلة من جنود كانوا يلقون المخطوطات الأثقل وزناً على عتبات أبواب مغلقة، فيتسلل رجل ملثم ويلتقطها ثم عبرت تلك المخطوطات إلى مدينة فاس بالمغرب.

وطارق علي - الذي ولد في باكستان عام 1943، وتسجل مقدمة الرواية أنه كان رئيس اتحاد طلاب جامعة البنجاب - درس الفلسفة والاقتصاد في لندن، وأصبح عام 1965 رئيس اتحاد طلاب جامعة أوكسفورد وتولى رئاسة تحرير عدة صحف ومجلات منها (اليسار الجديد).

وهو يعد من أبرز مناهضي العولمة ومعارضتي النموذج الأميركي ومن مؤلفاته (باكستان حكم عسكري أم سلطة شعبية؟) (1970) و(الثورة من أعلى: الاتحاد السوفياتي إلى أين؟) (1988) و(صدام الأصوليات: الحملات الصليبية والجهاد والحداثة) (2002) إضافة إلى روايات أبرزها (خماسية الإسلام) التي يتناول فيها جوانب من تاريخ الحضارة الإسلامية.

وتقع الرواية في 320 صفحة متوسطة القطع وترجمها الكاتب المصري محمد عبد النبي وراجعها المترجم المصري طلعت الشايب ونشرت في القاهرة عن (الكتب خان للنشر والتوزيع) التي تصدر تبعاً للأجزاء الأربعة الأخرى وهي (كتاب صلاح الدين) و(امرأة الحجر) و(سلطان في باليرمو) و(ليلة الفراشة الذهبية).

### نهاية أسرة وأمة

وتدور أحداث (ظلال شجرة الرمان) في قرية (هذيل) القريبة من غرناطة، والتي أسستها عشيرة الهذيل في القرن العاشر الميلادي وكان

فلسطين التي كانت عاصمة لليهود هي التي عيّنته مفتياً للقدس بهدف إحداث فتنة بين العرب واليهود وتطبيق مبدأ (فرق تسد).

ومع ذلك، لم يتبع هذا الرجل في مغامرته النازية سوى حفنة قليلة من العرب مقارنة بعدد الأوروبيين المتعاونين الهائل. فوفقاً للأرقام التي يمنحها إياها الباحث اللبناني جيلبر أشقر في كتابه المرجعي «العرب والمحرقة اليهودية» الذي يستشهد عيساوي به، لا يتجاوز عدد العرب الذين التحقوا بتنظيمات عسكرية نازية 6300. في حين بلغ عدد العرب الذين التحقوا بجيوش الحلفاء 259 ألفاً، بينهم 9000 فلسطيني.

### سقوط غرناطة في (ظلال شجرة الرمان)

في روايته (ظلال شجرة الرمان) يتوقف المفكر البريطاني طارق علي أمام مشهد تاريخي عاصف ترك بصماته على مستقبل العالم في سنوات أعقبت سقوط غرناطة، ولكن المؤلف لا يلجأ إلى مقولات جاهزة، بل ينسج خيوطاً معقدة ومتداخلة لشبكة من العلاقات الاجتماعية والفلسفات والأديان في دراما أشبه بالتراجيديات الكلاسيكية.

وسقوط غرناطة عام 1492م، لم يكن تسليماً طوعياً لمدينة وإنما إنهاء لمرحلة وفتح أبواب الجحيم على المنتمين إليها من المسلمين واليهود معاً والاستيلاء على أملاكهم وتقسيمها بين الكنيسة الكاثوليكية والعرش «وتحريم ممارسة الشعائر الإسلامية أو التحدث بالعربية وتحويل غرناطة إلى محرقة خطيرة».

وفي الاستعراض الدرامي لهذا الموقف لا يميل طارق علي إلى تصوير الأندلس كفردوس مفقود وإنما يرصد على لسان أبطاله ومن خلال سلوكهم ما يمكن اعتباره حتمية تاريخية جعلت النهاية غير مفاجئة، حيث خير المسلمون بين التحول إلى الكاثوليكية أو القتل، فاختر البعض أن يتحول، في حين لجأ آخرون للثورة المسلحة التي لا يكتب لهم فيها النصر.

وقبل الثورة والمواجهة المسلحة التي تنتهي بها الرواية أو بالتزامن معها حدد المنتصر هدفه وهو محو ذاكرة المهزوم. ففي المشهد الافتتاحي للرواية في نهاية عام 1499م يحرق نحو مليوني مخطوط (السجل العام لثمانية قرون) وجمعت من مكتبات 12 قصراً و195 مكتبة عامة في

المؤسس ابن فريد يجمع بين شجاعة الأسد ومكر الثعلب، ولم يبق منه بعد خمسة قرون إلا سيف ورثه حفيده عمر بن عبد الله رب الأسرة التي ستشهد نهاية غرناطة.

وتضم الأسرة مربيته ومرضعته العجوز الصارمة وزوجته زبيدة وولديه زهير ويزيد وابنتيه كلثوم وهند إضافة إلى أخته زهرة والعم ابن هشام والعم ميغيل الذي تحول ظاهرياً وأصبح أسقفاً.

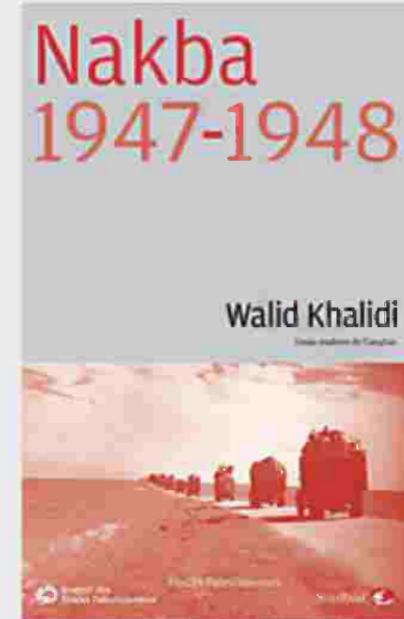
وتتبع الرواية تداعيات سقوط غرناطة من خلال سردية طويلة لتلك الأسرة التي تحاول كغيرها البقاء على قيد الحياة والهروب من التصفية بعد انهيار عالمهم ونشوء عالم آخر معاد لا يعرف التسامح. وكانت شجرة الرمان بظلالها الوارفة التي شهدت اجتماعات الأسرة ولقاءات العشاق والمحبين فيها هي نفسها التي شهدت على نهايتها.

ولا يميل الروائي الباكستاني الأصل إلى تصنيف الناس إلى أشرار وأخيار، ففي الرواية يتصدى لعنصرية الأسقف خمينيث دي سيسنيروس رجل عاقل هو الكونت دون أنيجيو لوبيز دي مندوثا القائد العام لغرناطة وعمدتها. وتبدو أفكاره قريبة من آراء خلفه أورتابودي مندوثا (1506م-1575م) الشاعر والمحارب والدبلوماسي الذي سجل شهادته على مواجهات بين الإسبان والأقلية المسلمة التي كانت تحارب بأسلحة بدائية وتنتظر عوناً من الأتراك والمغرب والجزائر في كتاب (حرب غرناطة) بين عامي 1568م و1570م ويوبخ دي مندوثا دي سيسنيروس قائلاً إن المسلمين لم يحرقوا معابد اليهود أو الكنائس ليقوموا مكانها مساجدهم، وإن سفك الدماء سيؤدي إلى مقاومة المسلمين «وسوف يسفك المزيد من الدم دمهم ودمنا، محكمة التفتيش تجمع ثروة فاحشة من أجل الكنيسة. كان إحراق كتبهم عاراً كبيراً، لطفة لوثت شرفنا»، مشدداً على أن المخطوطات العلمية العربية لا نظير لها.

وتوجه الرواية أصابع الاتهام إلى المسلمين أنفسهم عن ما انتهت إليه أحوالهم إذ يقول (وجيد الزنديق) في الرواية «ندير أعناقنا على الدوام نحو الماضي بدلاً من التطلع للمستقبل، فشلنا في ترسيخ قواعد سياسية قادرة على حماية جميع مواطنينا ضد نزوات الحكام، لم نستطع أن نلتصم الطريق نحو الاستقرار وحكم ينهض على العقل».

## ظروف النكبة وحقائقها في كتاب مرجعي

وليد خالدي



غلاف الكتاب

يشكل كتاب (نكبة) للمؤرخ الفلسطيني وليد خالدي خير مساهمة في تاريخ الأحداث المساوية التي حصلت في فلسطين بين عامي 1947 و1948 وكانت نتيجتها طرد نحو 800 ألف فلسطيني من وطنهم على يد الصهاينة ضمن ما يسميه الفلسطينيون النكبة. ويتألف الكتاب - الذي صدر عن دار نشر (أكت سود) الباريسية بالتعاون مع معهد الدراسات الفلسطينية في بيروت- من ستة مقالات مطولة وموثقة نشرت للمؤرخ بين عامي 1959 و1993.

### لماذا رحل الفلسطينيون؟

ففي المقال الأول الذي حمل هذا العنوان، ينقض خالدي على الأسطورة التي روج لها الإسرائيليون في الغرب للتبرؤ من مسؤولية اللاجئين الفلسطينيين، ومفادها أن هؤلاء نزحوا إلى الدول العربية المجاورة إثر أوامر تلقوها من الحكام العرب بواسطة الراديو تحضهم على الرحيل مؤقتاً بهدف فتح الطريق أمام الجيوش العربية النظامية.

فبعد بحث وتدقيق يتبين لخالدي عدم وجود أي دليل يُثبت الادعاءات الإسرائيلية، لا في المصادر الصهيونية لعام 1948 علماً بأنه كان من البديهي العثور فيها على أثر لهذه الأوامر،

ولا في أرشيف جامعة الدول العربية الذي يتضمّن جميع التصريحات الصادرة عنها خلال تلك المرحلة، ولا في أبرز الصحف العربية، ولا سيما أنه من المستحيل إهمال هذه الأخيرة لأوامر بهذه الخطورة وعدم الإشارة إليها ولو بسطر واحد.

بل إن كل ما وجده خالدي في هذه الصحف هو قرار اللجان المركزية التي تشكلت آنذاك في لبنان وسوريا ومصر بعدم منح إقامات للفلسطينيين الذين لجؤوا إلى هذه الدول والقادرين على حمل السلاح، وإرسالهم إلى الجبهة الفلسطينية.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى نشرات وبرامج الإذاعات العربية عام 1948 التي استمع المؤرخ إليها يوماً بيوم ولم يعثر على أي أثر لأوامر من هذا النوع بل على القرار المذكور أعلاه وعلى دعوات من (المجلس العربي الأعلى) للفلسطينيين الموجودين في فلسطين، من موظفين وعناصر شرطة ورجال قادرين على حمل السلاح، إلى البقاء في وطنهم ومتابعة عملهم.

### سقوط حيفا

كان هذا عنوان المقال الثاني الذي يبيّن فيه خالدي أن هجوم منظمة الهاغاناه الصهيونية على الأحياء العربية من مدينة حيفا في 21 و22 أبريل/نيسان 1948 شكل جزءاً من هجوم عسكري شامل هدفه إحلال دولة يهودية في فلسطين بقوة السلاح، وأن هذا الهجوم تم تنسيقه بشكل وثيق مع الجنرال البريطاني ستوكويل الذي مارس أيضاً ضغطاً كبيراً على المفاوضين الفلسطينيين كي يقبلوا الاستسلام بالشروط التي فرضتها الهاغاناه.

أما النزوح الكثيف لسكان المدن العربية فلا علاقة له بأي أوامر وجهت إليهم من قبل الحكام العرب بل سببه الإرهاب والحرب النفسية اللذين مارستهما المنظمة الصهيونية المذكورة خلال هجومها.

في المقال الثالث يكشف خالدي تفاصيل (مخطّط داليه) الصهيوني كما نُشر في كتاب (تاريخ الهاغانا) «المكتبة الصهيونية بتل أبيب» الذي يتجلّى فيه بما لا يقبل الشك أن العمليات العسكرية المتلاحقة التي قام بها الصهاينة عام 1948 في مختلف أنحاء فلسطين لم ترتبط مصادفةً كما ادّعى المؤرخون الإسرائيليون فيما بعد، بل تم تنفيذها وفقاً لمشروع واضح وشامل غاياته طرد الفلسطينيين من بيوتهم ومصادرة أراضيهم من أجل منحها لمئات آلاف اليهود

الذين كان مقرراً استقبالهم في الدولة العبرية الجديدة.

وفي هذا السياق تم تفرغ 369 قرية فلسطينية من سكانها بالقوة والترهيب قبل أن يتم تدمير هذه القرى كلياً بهدف منع سكانها من العودة إليها.

### قرار التقسيم

وفي المقال الرابع يتفحص خالدي قرار الأمم المتحدة الذي اتخذ عام 1947 وأدى إلى تقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية، محللاً مضمونه على ضوء الوقائع الديمغرافية والعقارية في فلسطين آنذاك وكاشفاً نتائج المساوية والجائرة بحق الشعب الفلسطيني. فعلى خلاف ادّعاء الأمم المتحدة بأن مشروع التقسيم هو صيغة تسوية شرعية وأخلاقية وعادلة ومتوازنة، يبيّن خالدي أولاً عدم شرعية هذه الصيغة نظراً إلى عدم استجابة الأمم المتحدة للمطالب الشرعية التي تقدّمت البعثات العربية بها.

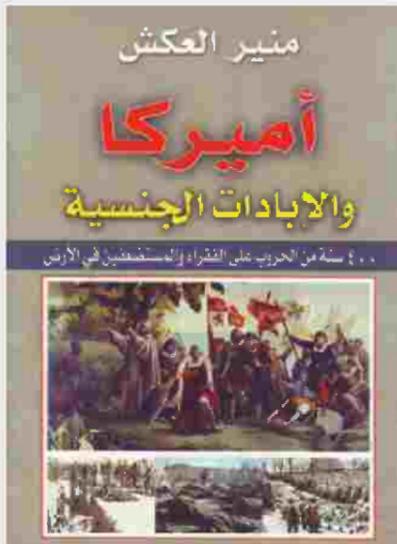
ويظهر القرار الأممي عدم أخلاقية هذه الصيغة نظراً إلى الوثائق العديدة التي تشهد على الضغوط وعمليات التهويل التي مارستها واشنطن على الدول الصغيرة كي تصوّت لصالح القرار، قبل أن يفضح جور هذه الصيغة وعدم توازنها من منطلق أن قرار التقسيم منح اليهود -ومعظمهم من المهاجرين حديثاً إلى فلسطين- 55% من الأراضي الفلسطينية، علماً بأنهم كانوا يشكلون أقل من ثلث سكان فلسطين ويملكون أقل من 7% من أراضيها.

وبينما يرصد خالدي مقاله الخامس لفضح انتقادات المؤرخ الإسرائيلي بيني موريس غير المبنية والمُعرضة لكتابه (قبل شتاتهم)، يتناول في مقاله السادس سداجة الحكام العرب خلال نهاية مرحلة الانتداب البريطاني على فلسطين وتقتهم غير المبررة بالبريطانيين والأميركيين، وانقسامهم وعدم جاهزيتهم العسكرية، حتى بعد قرار الأمم المتحدة تقسيم فلسطين، إلى جانب صراع العواصم العربية الكبرى من أجل السيطرة على الجامعة العربية.

## أميركا والإبادة الجنسية

### منير العكش

عرض / زياد منى



غلاف الكتاب

مؤلف هذا الكتاب أستاذ اللسانيات واللغات الحديثة ومدير البرنامج العربي في جامعة سفك بيوستن بالولايات المتحدة الأمريكية. له 24 كتاباً ألفه أو ترجمه أو حرره، منها أربع مجموعات شعرية للراحل محمود درويش مترجمة إلى الإنجليزية، إضافة إلى تأليفه كتباً عديدة بالعربية عن الولايات المتحدة الأمريكية، من منظور نقدي. في عام 1983 حصل على وسام أوروبا، قدمه له ماريو زكاري نائب رئيس البرلمان الأوروبي تقديراً لجهوده في (حوار الحضارات)، بما يعني أنه شخصية علمية وفكرية تحظى باحترام عبر الحضارات، علماً بأنه يعرف نفسه بأنه سوري المولد فلسطيني بالاختيار.

هو أيضاً رئيس تحرير مجلة (جسور) JUSOOR الإنجليزية، ومؤسسها أيضاً، والتي يصدرها بالتعاون مع جامعة سيراكوس الأمريكية.

### صفحات المحتوى

عندما اقتنيت هذا الكتاب لقراءته، عنوانه دفعني للظن بأنني سأقرأ بياناً دعائياً سياسياً، وهو، وبكل صراحة ما أخرج اقتائتي له ودفعني، المرة تلو الأخرى، لتجنب المزيد من ارتفاع في ضغط الدم والإحباط، مع أنني كنت أتابع كتابات الدكتور منير العكش باهتمام حقيقي، حيثما توفرت الفرصة.

لكنني اكتشفت بعدما عاينت الكتاب، للتأكد من منحاه العلمي، بأنني كنتُ مخطئاً. تقويم لأي

مؤلف، أرى أنه يتناول موضوعاً يمكنني الادعاء بأنني مطلع عليه، يبدأ بالعنوان حيث كثيراً ما أتجنب اقتناء أي مؤلف محتواه ذو طابع يحمل الإثارة.

بعدها أقرأ صفحة المحتوى، والمقدمة وأقفر بعد ذلك إلى قراءة الاستنتاجات. فإن تبين لي توافر التناسق العلمي بين المكونات الثلاث، أبدأ بالقراءة، متجاهلاً العنوان (الإثاري) منطلقاً من تجربتي مع ناشر غير من عنوان مؤلف لي، خلافاً للعقد، ووضع بدلاً منه عنواناً إثارياً جر علي غضب نقاد وزملاء، ونقمتهم، ظناً منهم أنني المسؤول عن ذلك.

هذا توضيح للقارئ غير المطلع على بعض خفايا النشر في عالمنا، ولا علاقة له بنشر الكتاب موضوع هذه القراءة، ولذا وجب التنويه.

كنت من قبل قرأت كتاباً علمية تتعامل نقدياً مع تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية كتبها مفكرون أوروبيون وأميركيون وفي مقدمتهم المؤرخ الأميركي هوردين صاحب كتاب (التاريخ الشعبي للولايات المتحدة الأمريكية/APeople's History of the United States) الذي رحل عنا أخيراً، إضافة إلى كتاب مؤرخ تاريخ الكنيسة الأول عالمياً الألماني كارلهاينس دشنر صاحب كتاب (المولوخ - إله الشر. تاريخ نقدي للولايات المتحدة الأمريكية) فقلت لنفسي: هل ثمة من جديد في تاريخ تلك البلاد/الدولة لم نقرأه بعد. أكثر ما أثار دهشتي في المؤلف ودفعني لقراءته بتركيز إشارة الكاتب في المقدمة إلى معلومات رسمية عن اقتراح برنامج حكومي أميركي في وثيقة وضعها هنري كيسنغر عام 1974 لقطع دابر نسل 13 دولة بينها مصر العربية، ضمن فترة ربع قرن. وتأكيداً أن هذه السياسة متبعة إلى الآن، في عهد الرئيس الأسود البشرية، وإن تحت مسميات محايدة ذات مضمون إنساني.

### التخلص من النسل

موضوع الكتاب إذن هو التخلص من نسل أمم ترى المؤسسة التي تحكم الولايات المتحدة أنها تشكل عبئاً على برامجها. كنت سمعت عن هذه الوثيقة السرية عندما أفرج عنها، لكنني كنتُ منشغلاً وقتها في عالم آخر. ومعنى ذلك أيضاً أن محاربة الفقر والجهل تتم بالتخلص من الفقراء والمهمشين والمستضعفين.

المؤلف اختار الإشارة إلى هذه الوثيقة مدخلاً للخوض في تاريخ نشأة عقدة التفوق

الأفغولوسكوني على بقية مخلوقات الأرض، فتبين له، وعن حق، أن أصولها تكمن في التطرف الديني البروتستانتي، الذي يعد نفسه الاستثناء وخليفة الله على الأرض (ينقل المؤلف عن ممثلي هذا المنحى العنصري قناعتهم، بل إيمانهم بأن الولايات المتحدة يحدها شمالاً القطب الشمالي، والقطب الجنوبي جنوباً، أما حدودها الشرقية فتبدأ بالإصحاح الأول من سفر التكوين، وحدودها الغربية يوم القيامة). أي إنها مملكة الرب على الأرض وهي وريثته في هذا العالم، ثقافياً واقتصادياً.

لا شك في أن أي إنسان عاقل سينظر إلى هكذا فكر بابتسامة على «هبل» أصحابه، لكن عندما يعلم المرء اتكاء هذه الأفكار والنظريات على مراجع عن الموضوع، وكثيرة، أشار إليها الكاتب ضمن المؤلف وفي قائمة المراجع، لم يكتبها مجذوبون مصابون بجنون العظمة، وإنما علماء خريجو جامعات يشكلون مؤسسة قائمة بذاتها ترعاها إدارة المؤسسة الحاكمة في تلك البلاد وجامعات منها جامعتا واشنطن وجون هبكنز اللتان تبنيتا وثيقة هنري كيسنجر الموما إليها أعلاه، فلا بد من أن يصاب بالهلع، لا بل بالرعب، وهذه الصفة (كتاب رعب) التي أطلقها على هذا الكتاب المهم فعلاً، لأنه يمس حياة كل منا في ديار العرب والإسلام أيضاً، لكنه يمس غيرنا من الشعوب أيضاً.

الرعب يتضاعف عندما نعلم مدى القوة العسكرية التي تملكها الإدارة الأمريكية هذا يذكركني بقول معلق سوفياتي في ثمانينيات القرن الماضي: القدرات العسكرية (Fire Power) للولايات المتحدة لا تخيفنا، ما يخيفنا حقاً قدراتها العقلية (Brain Power).

المؤلف عاد إلى جذور فكرة التفوق العنصري فعثر عليه في البدايات، في وهم التحدر من إسرائيل التوراة، وبالتالي وهم حق امتلاك الأرض وما عليها. فغزو أوروبا الغرب، عنى للأغلبية في ذلك الوقت، تمام مع (خروج العبرانيين) إلى الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً، كما تقول التوراة، وهذا ما يشرح تكرر ورود إطلاق المهاجرين الجدد أسماء مثل (فلسطين، أريحا، دمشق، لبنان... إلخ) على مستقراتهم الجديدة في (أميركا) التي قطنها وقت الغزو الأوروبي أكثر من مئة مليون هندي (الهنود الحمر) فأبادهم الغزاة القادمون من الشرق،

نهاية المطاف أن العنصر الآري يتفوق على غيره. المؤلف، كما العديد من العلماء يتمسكون بصحة استخدام مصطلح المحرقة للإشارة إلى إبادة أكثر من مئة مليون هندي، رغم عنف معارضة الصهاينة المتمسكين بفردانية محرقة هتلر.

### محرقة النازية

وهنا ينوه الكاتب إلى أن محرقة النازية قضت على (غير اليهود) أضعاف الستة ملايين يهودي المفترض أنهم قضوا فيها، حيث أبادت نحو عشرين مليون سلافي (شعوب الاتحاد السوفياتي سابقاً) عدا عن قتلها نحو نصف مليون سندي ورومة (العجر)... إلخ.

ومن الأمور غير الطريفة إطلاقاً في مقام الحديث عن العنصر الآري الموجود في العقول المريضة فقط، ما يدعى عن لون بشرتهم الأبيض وزرق عيونهم وشقر شعورهم التي هي صفات الشعوب السلافية. العنصر الآري، إذا صح الكلام في هذا هم حمر الشعر، ذوو بشرة لونها يميل للحمرة مع كثير من النمش، ولون عيون داكن.

من الأمور المحزنة التي ينوه إليها المؤلف تورط بعض العاملين في المجال الفني في الترويج لأبطال وهميين كل ما عرف عنهم قتلهم آلاف الهنادرة بسلخ جلودهم وحرقهم... إلخ، ومنهم سندي بولاك مخرج فيلم (جرمياً جُسن) الذي عرف عنه أكل أكباد الهنادرة الذين قتلهم، مع أنه ينفي ذلك، علماً بأن الممثل والمخرج الشهير رُبرت ردفردي أدى دور البطولة فيه.

الكتاب، رغم أنه مكثف إلى حد كبير، هو مدخل مهم لفهم كثير من منابح سياسات التفوق التي يمارسها الغرب، ليس تجاه الآخر فقط، وإنما تجاه الغير هم ضحايا نظام اقتصادي قائم على تحصيل الربح، أي كانت الوسائل، تماماً كما بدأ هتلر بتطبيق النظريات العنصرية على الآخر، غير الآري، ثم انتقل، نطقياً، إلى تمييز الآري الصالح من الآري الطالح.

ليت المؤلف يجد الوقت لإعادة كتابة مؤلفه هذا، بالتفاصيل المطلوبة، آخذين في الاعتبار عدم توازن هكذا مراجع مهمة في بلادنا وبلغتنا.

## كيف خسرت إسرائيل؟

### للمحفي اليهودي بن كرامر

عرض / بدر محمد بدر

هل خسرت إسرائيل؟ وماذا خسرت بالضبط؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى خسارتها؟ وكيف يمكن علاج هذه الخسارة؟ هذا ما يتحدث عنه الكتاب، الذي نعرض له في هذه المساحة، عبر فصوله الأربعة التي تطرح أربعة أسئلة: لماذا نهتم بإسرائيل؟ ولماذا لا يكون للفلسطينيين دولة؟ وما المقصود بدولة يهودية؟ ثم لماذا لم يتحقق السلام؟

ومؤلف الكتاب (بن كرامر) هو صحفي يهودي أميركي الجنسية، نشأ في مدينة روشستر بنيويورك، وعمل مراسلاً لعدد من الصحف الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، عاين من خلالها الكثير من الأحداث والمواقف والآراء على الجانبين.

ويلخص المترجم في البداية وجهة نظر المؤلف فيقول: إن إسرائيل خسرت بالفعل قضيتها، وخسرت تعاطف الرأي العام العالمي الذي كان يقف إلى جانبها في السابق، وبخاصة الولايات المتحدة وأوروبا، ولم ترع التطورات المحلية والعالمية.

خسرت قضيتها التي أوهمت العالم بعدالتها من خلال الدعاية الصهيونية، ورحلات الترويج والتفسير والتبرك بالأراضي المقدسة، التي كانت تنظمها مناصريها السذج في أوروبا وأميركا، قبل أن تصبح إسرائيل دولة محتلة لأراضي الغير بالقوة في حرب الأيام الستة، حيث احتلت أراضي سيناء ومرتفعات الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة.

وخسرت قضيتها أيضاً عند ما بدأت سياسة هدم البيوت وضم الأراضي والاحتلالات والتمييز العنصري، وأصبحت تباهي بذلك على نحو علني، وخسرت قضيتها لأنها تريد أن تحصل على كل شيء، ولا ترغب في التخلي عن شيء، إنها تريد الأرض كما تريد السلام الذي لا تملكه، إنها دولة تعيش على شيئين: الوهم بأنها الضحية، والصراع في المنطقة.

### سرا الاهتمام

ويتساءل المؤلف في الفصل الأول: لماذا نهتم بـ(إسرائيل)؟ مع أنها ذلك الشريط الرفيع من الأراضي على شاطئ شرق البحر المتوسط،



غلاف الكتاب

وفي بعض مناطقها لا يزيد عرضها على عشرة أميال، وبإمكانك قطعها بالسيارة من شمالها إلى جنوبها في نصف يوم، وهي أيضاً ليست بالمكان الثري ولا بالدولة العريقة، وهي أيضاً بلا تأثير سياسي، ولم يكن لها ناقة ولا جمل فيما سماه (بوش) الأب: النظام العالمي الجديد، وفي الأمم المتحدة على سبيل المثال لا يمكنك الخروج عن المؤلف للحصول على دعم إسرائيل، إلا إذا كنت تحتاج إلى ووقوف الأغلبية الساحقة من دول العالم الثالث ضد قرارك.

وعن يهود الولايات المتحدة يقول المؤلف: إن قدرتهم التصويتية كانت 3%، انخفضت إلى 2% فقط، وهم أقل التجمعات في أميركا تماسكاً، وأطفال اليهود اليوم في حالة يمكن أن نطلق عليها: لا مبالاة، ومن زعموا أن (بوش) الابن قد شن الحرب على العراق خضوعاً لرغبة إسرائيل، قد فشلوا في ملاحظة أن منظمي المظاهرات الكبيرة المناهضة للحرب كانوا أيضاً من اليهود.

### اليمين المسيحي

ويشير بن كرامر إلى أن اليمين الأميركي المسيحي يؤمن بأن اليهود يجب أن ينالوا الأراضي المقدسة، في المقام الأول لأن الكتاب المقدس ذكر ذلك، وذكر أيضاً أن المجيء الثاني للمسيح يتطلب (تجمع) اليهود مرة أخرى على أرض صهيون، الأمر الذي يؤدي إلى نشوب معركة (أرمجدون)، التي تؤدي إلى عودة المسيح (عليه السلام)، كما أن هناك التقاءً سياسياً للأفكار، يعود إلى الأيام التي رأى فيها اليمين المسيحي في اليهود الحصن الحصين للقيم اليهودية المسيحية، الشجاعة المضادة للسوفييات (ومؤخراً المضادة للإسلام). وواجبات الوجود الإنساني.

ومن المثير للدهشة -كما يقول المؤلف- أن هذا السبب الغامض الأخير هو الأقرب إلى الإجابة عن سؤال: لماذا نهتم بإسرائيل؟ ومن هذا المنطلق لا توجد مصلحة منطقية للولايات المتحدة من الناحية السياسية العملية لدعم إسرائيل، سواء على المستوى الدولي أو على مستوى الحملات الانتخابية داخل أميركا، فلا يوجد لوبي أو جماعة في الولايات المتحدة قادرة على الضغط على الحكومة، لجعل إسرائيل المتلقي رقم واحد للمعونة الأميركية (ثلاثة مليارات دولار كل عام، بالإضافة إلى مليارات ضمانات قروض، قبل أن نبدأ في إضافة المعونة العسكرية الخاصة، والمعاملات التجارية الخاصة، وغيرها من الصفقات السرية).

### دولة فلسطين

ويطرح المؤلف في الفصل الثاني تساؤلاً مفاده: لماذا لا يكون لدى الفلسطينيين دولة؟ ويجب بأن الفلسطينيين لم يتعلموا من اليهود كيفية التحكم في روايتهم القومية، واستخدامها بالتالي لتحقيق أهدافهم، ونتيجة لذلك فإننا ببساطة لا نعرف (كأميركان) قصتهم، وهو ما يعترف به كثير من الفلسطينيين.

ويتحدث الكتاب عن سياسة (الإغلاق) التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي لمناطق في الضفة الغربية، لافتاً إلى أن شعباً عربياً متعلماً ومتقناً يزيد تعداده على ثلاثة ملايين نسمة يتعرض للإذلال بشكل دائم، ومن الناحية الاقتصادية يجري دفعهم بشكل ثابت وخطة واضحة، إلى العيش في ظل عصر ما قبل الصناعة، وأي جزء من أراضيهم يرغب فيه محتلوهم من الممكن أن يؤخذ منهم في أي وقت لأغراض عسكرية أو لإقامة مستوطنات أو لإنشاء نطاق أمني أو طريق أو حتى سياج.

وطوال معظم فترات الاحتلال لم يحظ أي شيء بناه الفلسطينيون بالصفة القانونية في المحاكم الإسرائيلية، ولذلك لا شيء يبني من أجل الخير، والفلسطينيون شعب أعزل لا يملك قوة عسكرية تستحق أن يطلق عليها هذا الاسم. لا مدرعات ولا مدفعية ولا سفن حربية ولا طائرات، وذلك في مواجهة يومية ضد جيش من أفضل جيوش العالم، علاوة على ذلك فإن هذا الجيش الذي يواجهونه يخدم سياسة مصممة لتعويق وتنغيص الحياة المدنية اليومية، التي تمثل أبسط حقوق وواجبات الوجود الإنساني.

ويقول المؤلف: عندما تسأل الفلسطينيين عن السبب في أنهم آخر شعب في العالم ستكون له دولة، فإن الإجابة تلخص في كلمة واحدة: إسرائيل، وترد: ولكن القرقيز والطاقيك والأوزيك والتركمان والجورجيين لكل منهم دولة الآن، وكانت أمامهم مشكلة صغيرة مكونة من كلمة واحدة: روسيا، ولكنهم نجحوا في النهاية، حتى الأكراد تعيسوا الحظ ربما تكون لهم دولة قبل الفلسطينيين، فلماذا؟ هل كان هناك سبب لاعتقاد العالم بأنه من الممكن وضع اليهود في فلسطين بدلاً من العرب الموجودين هناك؟ ولماذا تكون الـ 22% الأخيرة من فلسطين (يقصد الضفة الغربية وغزة) هي محل إقامة أطول احتلال بالقوة في التاريخ الحديث؟

#### يهودية الدولة

ويناقش الفصل الثالث موضوع يهودية الدولة، حيث يرى المؤلف أن هذه المشكلة بدأت في الظهور مع أول اجتماعات للكنيست في عهد بن غوريون، لكن كثيراً من مؤسسي «إسرائيل» كانوا ملحدين ولا يرغبون في تكبير صفو جنتهم الفاضلة الحديثة من خزعيلات الحاخامات، وكان هناك منذ البداية مجتمعان من اليهود في إسرائيل، أحدهما مجتمع المتشددين الأرثوذكس، والآخر يسمح برؤى متعددة للعقيدة، لكنه لا يرغب في فعل أي شيء تجاه المتشددين، والعداوة بينهما كانت متبادلة بالطبع، فالحاخامات لا يكنون عن اتهام قادة المجتمع العلماني في إسرائيل بأنهم أعداء أداء لليهود واليهودية، والمجتمع العلماني يهاجم المتشددين أيضاً.

ويشير الكتاب إلى أن إسرائيل لديها مشكلة، وهي ليست مشكلة هينة ولكنها أزمة كبرى، وحينما يجرؤ الإسرائيليون على الحديث عنها فإنهم يطلقون عليها «القبلة الزمنية»، وذلك عند ما تجيء اللحظة التي يرى فيها اليهود العرب، وقد اندفعوا نحوهم حينما يصبحون أغلبية في هذه الأرض.

البعض يقول إن ذلك سوف يحدث خلال عشرة أعوام، والبعض الآخر يقول إنه حدث بالفعل، وحينما تنظر إلى المسألة سوف تجد أن هناك ثلاثة خيارات فقط، جميعها ليست سهلة، فهم (أي الإسرائيليون) يستطيعون التخلي عن الأراضي المحتلة، يودعون الأرض والعرب ويرحلون، ولكن هذا يعني بالطبع القتال مع يهود آخرين وهم المستوطنون ولا أحد يرغب في

ذلك، أو يمكنهم التمسك بالأرض ومحاولة قتل أو طرد بضعة ملايين من العرب، وهذا كابوس نازي ودعائلي لا يزال يراود البعض، أو يمكنهم الاحتفاظ بالأرض والسكان والحكم بقبضة حديدية عبر سياسة التمييز العنصري، أي إن الأغلبية لا تكون لها حقوق سياسية، وهذا الاختيار هو الحادث الآن تبعاً للأمر الواقع.

لقد تطلب الصراع في الشرق الأوسط المزيد من اليهود، وبعد كل هذه السنوات من الجدل بشأن من هو اليهودي؟ أصبح الجميع يعلمون أن القادمين من روسيا مثلاً ليسوا يهوداً، وكشفت دراسة لوزير شؤون يهود الخارج عن المهاجرين القادمين من الاتحاد السوفياتي خلال عام 2000 أن اثنين من كل ثلاثة ليسوا يهوداً، وأصبح السؤال: من هو اليهودي لا يهم كثيراً، بل ما هو الصالح لليهود، أو ما هو الصالح لما يرغب اليهود فعله بدولتهم اليهودية.

#### هل يتحقق السلام؟

ويطرح المؤلف في الفصل الرابع الأخير سؤاله: لماذا لا يتحقق السلام؟ ويجيب: إن أي يهودي غير إسرائيلي لا يعاني من أي أمراض نفسية، يمكنه حل مشكلة السلام الإسرائيلية في عشر دقائق لو فكر تفكيراً مركزاً، ومقارنة بمشكلة قبرص أو إيرلندا الشمالية. الحقيقة أن العرب واليهود عاشوا في سلام فطري لمئات السنين تحت حكم الأتراك، ومعاداة السامية (أو الإحساس بمعاداة اليهود) تم استيراده من أوروبا، تماماً مثل الصهيونية، وليس من قبيل المصادفة أنهما أصبعا راسخي الجذور في الوقت نفسه.

وهناك حقيقة أخرى تتمثل في أن العنف المنظم من جانب الفلسطينيين ضد اليهود، لم يبدأ مع وصول اليهود الأوائل، ولا حتى مع وصول الصهاينة الأوائل إلى فلسطين، بل بدأ مع برنامج بناء المستوطنات والمصادر والاعتقالات، بعد تحول سياسة إسرائيل تجاه فلسطين والعرب الذين يعيشون فيها، وبعد أن أصبح تبرير اليهود لمصادرتهم واستيلائهم على الأراضي واحتلالهم وعنفهم للحفاظ عليها، على أساس كونهم يهوداً، وعلى أساس الوعد الإلهي بهذه الأرض.

إن من مصلحة إسرائيل - كما يقول الكاتب - أن تتوصل بشكل فوري إلى اتفاق، بينما لا تزال قابضة على أوراق اللعب. كل هذه الأشياء ما زالت حقيقية، لكن السلام لا يبدو قريباً الآن، وهو في الواقع يبدو مجرد حلم بعيد المنال.

## أرض المدامع) سطوة الواقع وذاكرة الألم

### البشير الدامون

عرض/إبراهيم الحجري

غير بعيد عن العالم المقيت، الذي صورته في روايته (سرير الأسرار) الصادرة عن دار الآداب سنة 2008 أطلق الروائي المغربي البشير الدامون روايته الجديدة (أرض المدامع) عن المركز الثقافى العربي، وتتعلق الرواية الجديدة من نفس الفضاء القديم (الدار الكبيرة) أو الماخور، وكأنه يسلم الشخصية نفسها لينطلق بها في رحاب جديدة من الحبكات والتحويلات والصراعات.

تنقل الفتاة التي فتحت عينيها في (الدار الكبيرة) لتستقر مع أسرة محافظة تتبناها وتمنحها الرعاية اللازمة كي تدرس وتتفوق في تعليمها، ثم تنتقل إلى الجامعة لاستكمال دروسها، لتجد نفسها في دوامة جديدة من العلاقات والتحديات، خاصة بعد دخولها تجربة النضال السياسي ومشاركتها في أحداث الريف الدامية سنة 1984.

#### سطوة الواقع

تشكل (أرض المدامع) رواية يتقابل فيها الواقع والأحلام، ويفرض التاريخ سحره ويعلن الحاضر سطوته وهوسه، حيث الساردة والسارد يهيمنان في رحلة الكشف عن سر يضيء وجودهما وعن كنز يعيان أن الطريق إليه حارق.

هي رواية عن الحب والفقدان والثورة والأحلام وعن انتكاسات متبوعة بقدرة كبيرة على المقاومة والانبعاث. رواية قاسية لما تحمله بين طياتها من ألم متعدد: ألم الذات التي قدر لها أن تكون فاقدة للهوية لقيطة بلا أصول، وألم الواقع العفن الذي يستهتر بالحقوق.

واقع يتعامل فيه مع البشر على أساس أنهم أشياء تافهة: فقر وعري وفساد وقهر وعنف وتهميش ومصادرة لأبسط حقوق العيش. وألم النحس المطارد للشخص الروائية التي فشل أغلبها في بلوغ مراميه، وتحقيق برنامج السرد المتتمثل في الكنوز المبحوث عنها، والتي أضحت كلها فخاخاً ومناهب تتعثر فيها وبواسطتها خطوات الرواة والشخصيات.

فالساردة عانت عذاباً نفسياً داخلياً جراء حرمانها من والديها اللذين تخلوا عنها قبل أن تفتح عينيها على العالم، وجراء عار لم ترتكبه ظل يطاردها طيلة حياتها مثل نحس. العار الذي سببته لها نشأتها في ماخور، ناهيك عن المسأة التي عاشتها وسكان مدينتها تطوان بفعل مشاركتهم في أحداث الريف، حيث تحولت شوارع المدينة إلى فوضى من الحرائق والجثامين والدماء، وأصاب الجيش لوتة قوية لإشعال العنف والاعتقال والتعسف والتعذيب لكل من شارك في المظاهرات الصاخبة للمطالبة بالإصلاح والتغيير، قصداً أو صدفة.

فضلاً عن ذلك، فالمحكي الروائي للدامون يستعرض نتفا من تاريخ المغرب في شقيه القديم على العهد الروماني، والحديث على عهد النظام السابق إبان سنوات الرصاص، حيث حصد القمع الهمجى أرواح الآلاف وعذب عشرات الألوف في سجون مجهولة تحت الأرض بسبب الانتفاضات الشعبية التي عرفتها كل جهات المغرب بتأطير من الفصائل الشيوعية التي نادت بالتغيير الشامل والحكم الجمهوري بدل الملكية.

في ظل الأحزان التي يؤججها مسرد الرواية لم يتبق للشخص سوى الهروب عبر الخيال لمعانقة أحلام قد لا تجيء إلا على سبيل المجاز، وذلك ما فعلته الساردة بطلة الرواية عبر حلمها بحوريات ينتشلنها من كوابيس الواقع، قبل أن تقرر الإفلات والعودة في حين لاذ أحمد - رفيقها في النضال - بالجنون، ولاذ أمير وأسرته بالهروب إلى إسبانيا بحثاً عن وكر هائى.

#### كنوز ومدامع

رتب الروائي محكيه وفق تمفصلات متداخلة وعنون كلا منها بمدامع، كل مدمع ينجم عن كارثة أو خسارة سببها استتباع كنز ما. هذه الكنوز تعد بمثابة المحرك للشخصيات، وأولها كنز الثورة حيث الحلم بالتغيير التي تنشدها الساردة انسجاماً مع متغيرات مجتمعية ناجمة عن عمل التيارات الماركسية وتشكل فصائل حزبية وتنظيمات سياسية تتبناها في مغرب السبعينيات والثمانينيات.

أنداك قادت تعبئة جماهيرية شاملة توجت بإضرابات ومظاهرات عارمة ودموية في العديد من المناطق المغربية طالبت بالتغيير وأنشئت توجهات شيوعية، ومنها منطقة الريف التي تتحدث عنها الرواية، إذ قوبلت بقمع شرس

## الفن الإسلامي والعمارة .. العقيدة والإبداع

ريتشارد اتنغهاوزن  
أوليغ غرابار  
ماريلين جنكينس

ترجمة: عبد الودود العمراني

أحمد الشريقي



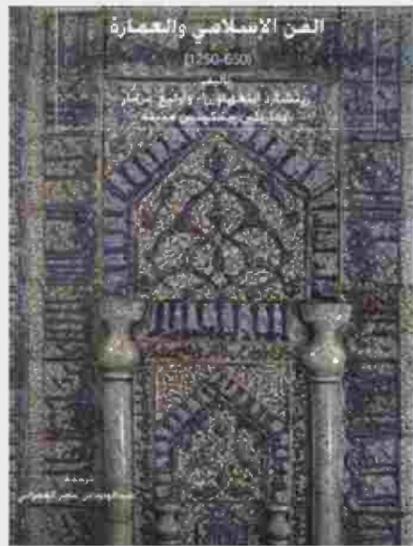
غلاف الرواية

من قبل الجيش أودى بعدد كبير من الضحايا، وامتلات خلالها مقابر جماعية. فتحوّلت تلك الأحلام كوابيس وجنونا لدى الكثير ممن حلم بالكنز.

كنز الذهب المتهوم الذي أرق عائلة قصر الباشا مدفوعين برؤية مزعومة من طرف الطائفة الكناوية بالمدينة التي تستند على روايات تاريخية غير دقيقة، مما سبب كوارث نفسية ومادية أدتها الأسر المتعاقبة على القصر، وورود مثل هذه الهواجس يأتي لإبراز التناقضات التي يجبل بها المجتمع، ففي الوقت الذي تموت فيه الألوف من أجل تحسين الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للبلد، ينهمك آخرون في البحث عن كنوز وهمية لا وجود لها إلا في معتقداتهم الواهية.

كنز الجسد، الذي يؤرق الساردة خاصة وأنها متهمه في عرضها بكونها ترعرعت في دور الدعارة وترت على يد وسيطة، لذلك فهي تسعى للحفاظ على طهارة جسدها وعفتها، وقضت أوقاتاً عصيبة تصارع الذات والآخر حفاظاً على شرفها المهده في مجتمع ذكوري لا يرحم، وإن كانت هذه المناعة تهاوت في كثير من اللحظات أمام غول الحب والرغبة القاهرتين.

وبين هذه التمفصلات والأحلام والخيبات، تبقى رواية (أرض المدامع) حضرية ثانية من حضريات الدامون في تاريخنا الشخصي المنسي، وترميما لشروخ ذاكرة أفرعتها العواصف والهبات العنيفة.



غلاف الكتاب

يتجاوز كتاب الفن الإسلامي والعمارة (650-1250) لمؤلفيه ريتشارد اتنغهاوزن وأوليغ غرابار وماريلين جنكينس، ومترجمه عبد الودود العمراني، كونه مجرد شغف استشرافي بالفن الإسلامي - وهو المنهج الذي طبع كتباً كثيرة وقعت في أسر فتنة الفن الإسلامي لفترات طويلة - إلى اعتباره واحداً من المراجع الحديثة للفن والعمارة الإسلامية لرصانته العلمية وحضرة العميق في أسس الفن الإسلامي كجزء من مخرجات الحضارة الإسلامية منذ بزوغ نجمها في بدايات القرن السابع الميلادي.

كما يتعدى الكتاب الأنيق بمحتوياته الإبهار البصري، باشماله على روائع التحف الإسلامية، والرحلة السياحية البصرية في العمارة الإسلامية، بل وظف تلك التحف كدلالات علمية ضمن إطار الصنعة الإسلامية، وتأثرها بما عاصرها وجاورها وسبقها من فنون انفتحت عليها قريحة الفنان المسلم عبر ستة قرون من الإبداع، وهو ما يبرز دراسة ومنهجية الكتاب.

## فن الرسم على الرصيف بالأبعاد الثلاثية

لا يكف الفنانون من الإبداع بها، وعلى الرغم من أنه ليست جميع أنواع الفن تقدر إلا أن هذا النوع من الفنون هو حالة استثنائية إذ أنه باستخدام قطع من الطباشير بالإمكان أن ترى أجمل لوحة وهمية على الإطلاق.

و تكثر هذه القطع الفنية الرائعة على العديد من الأرصفة والشوارع في جميع أنحاء العالم. وهو بالأساس فن بصري نشأ وتطور في أطر حضرية، أي الطرقات والساحات العامة. فكان عفويًا ولم يمول من طرف الحكومات. وقد تحدى الفنانون الصورة النمطية للفن عبر إخراجهم من السياقات الفنية القديمة. ولا يطمح رسامو الطريق إلى تغيير مفهوم العمل الفني وإنما إلى إثارة أسئلة عن الواقع الراهن وبشكل تعبيرى مجدد عبر طرح مواضيع اجتماعية راهنة بطرق وقيم جمالية مختلفة.

وسرعان ما تحول إلى ثقافة شعبية عالمية، يزداد المشاركون فيه كل يوم من مختلف المدن. يشاركون في ورشات الرسم على الطريق في



نيويورك ولندن وبرلين وطوكيو وريو دي جانيرو وغيرها. كما ظهرت مجلات متخصصة في عرض إنتاجات فن الرسم على الطرقات ودور عرض للتعريف بالرسامين وأعمالهم. واهتمت بعض الشركات التجارية الكبرى بهذا الفن وسعت إلى استقطاب الشباب والجمهور المولعين بالرسم والتصميم.

وتختلف الدوافع والأهداف التي تحرك

في عام 1970 ظهرت أول مسابقة للرسم في الشوارع وكان الهدف من المسابقة لتسجيل ونشر أعمال (الذين يعتقد أن) الممارسين الآخرين من هذا الشكل الفني الغير تقليدي. وكان الرسامين بالفعل في سن الـ 90 عاماً، لذلك كان هناك اهتمام شديد بالاحتفاظ بأعمالهم وفي عام 1983 ظهر بعض الأشخاص الذين عشقوا هذا الفن. وسرعان ما لاقى رواجاً كبيراً في جل العواصم بعد أن قام الفنان الأمريكي كيرت وينر بإدخال تقنية الرسومات ثلاثية الأبعاد على هذا الفن ليمنحه بذلك بعداً جديداً.

الرسم ثلاثي الأبعاد في الشوارع هو فن يقوم على الخدع البصرية. يتخذ الفنان من شارع أو فضاء عام مسطح بالكامل مكاناً لرسمه، ثم يحدد زاوية رؤية معينة، وعلى هذا النحو يمكن أن يوهم المشاهدين أن ما يرونه ليس شارحاً مسطحاً وإنما بناية أو نهر أو حفرة أو أي شيء آخر. فهو يهيئ للناظر من بعيد أشياء ليست حقيقية، مثل وجود أشخاص آخرين لا وجود لهم، أو وجود حفرة عميقة أو شلالات مياه وأشياء أخرى، تدهش وتسحر. وحين تقترب منها، تذهلك حقيقة الخدع البصرية بأدوات بسيطة كالطباشير الملون على الأرض. كما يقوم الرسام المبدع بضبط وضعية الرسومات مع زاوية التصوير لتكون النتيجة مجموعة من الأعمال شديدة الواقعية.

وفي هذا الصدد يقول عالم الاجتماع الفرنسي هنري ليفيفر في كتابه (الثورة الحضارية، 1970) أصبح المجتمع حضرياً بالكامل، وأصبح الشارع مكاناً للعب والتعلم. الشارع فوضى، فوضى نشيطة. شارع يخبر ويسحر. والفضاء الحضري للشارع أصبح مكاناً للحديث وتبادل الكلمات والعلامات والأشياء. مكان يصبح فيه الكلام كتابة، مكان يمكن أن يتحول فيه الكلام إلى فعل همجي. وهذا (الكلام)، بتحديه للقواعد والمؤسسات، قد حشر نفسه في الطرقات أو

الرسم في الشوارع وعلى الرصيف من ضمن أشهر الفنون في أمريكا وأوروبا يتم الرسم على الشارع أو الرصيف بمواد يمكن إزالتها بسهولة وقد بدأ هذا الفن في إيطاليا في القرن السادس عشر، وكان يستخدم لتزيين الشوارع والأرصفة والجدران في المهرجانات والأعياد الدينية.

الجدران. وقد ينظر قلة إلى الرسم على الطرقات الرئيسية والساحات العامة على أنه عمل تخريبي ومخل بالمنظر العام للمدينة، في حين يعتبره أغلب المتابعين لوحات فنية رائعة ومعبرة تتم عن إبداع وخيال واسع ومجدد، يشد المارة ويسحر الأعين. فالفن والإبداع يمكن أن يولدا في أي مكان وزمان. وهو في الواقع فن ظاهره تسلية وتعبير وباطنه مواقف تتداعى بين القبول بالواقع ورفضه. ومهما يكن من أمر، فالرسم على الطريق أصبح حقيقة وانتشر في

كثير من المدن العالمية الكبرى ليغير من شكلها ويجلب الانتباه. وعادة ما يتجمع المارة حول الرسام فيدهشون لخفة يده ودقة لوحاته التي تحمل رسالة ومضموناً. فهي شكل من أشكال التعبير والمقاومة والطموح، وتحدياً لاحتكار الشركات الكبرى للفضاء العمومي من خلال الإعلانات التجارية مسبقة الدفع. وتعتبر أوهايم البصر نوع من أنواع التسلية التي

مغطى بسعف، ويحوي الكتاب مسقطاً للبيت. يتابع الكتاب قراءته في فصل ثان، للفنون في الأقاليم الإسلامية الوسطى والتي يقع ضمنها قبة الصخرة المشرفة، التي تعد أقدم منشأة معمارية إسلامية مازالت قائمة حتى الساعة، وكان قد اكتمل بناؤها العام 71 هجري الموافق لـ 691 ميلادي، كما يقع ضمن هذا الإقليم الجامع الأموي في دمشق والعديد من الأماكن المعمارية الأخرى.

بخلاصة فإن كتاب الفن الإسلامي الصادر عن هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة وهو الجزء الأول ضمن مشروعها في التعريف بالفن الإسلامي يمثل في لوحاته وعروضه وتمهيداته التاريخية سياحة حقيقية في قرون الإبداع والعمارة الإسلامية تنقل متصفح الكتاب إلى قرون من الدهشة والفتنة.



في الكتاب يبين المؤلفون منهجيتهم التي تتبدى في الفصول الثمانية، والتي تتركز على الانصراف عن تحديد ودراسة تاريخية الفن عبر السلالات الحاكمة للأقاليم الإسلامية، إلى اعتماد منهج يقوم على نسبة هذا الفن إلى أقاليم محددة وهي الأقاليم الإسلامية الوسطى، والغربية، والشرقية، إضافة إلى دراسة خاصة بالفن الإسلامي وغير المسلمين.

يسبق الحديث عن كل إقليم بتمهيد تاريخي يدرس ويتابع ويعرض للفن وإرصاصاته وتشكله، ومن بين كتب قليلة يذهب المؤلف بعيداً إلى إرصاصات وبيداتيات الفن الذي نشأ وأزهت إبداعاته في فترة قصيرة نسبياً، وفي تحديده لمفهوم الفن الإسلامي باعتباره أحد مفاتيح منهج التأليف يرى واضعو الكتاب أن الفن الإسلامي يشير إلى كل المنشآت وأثار الثقافة المادية التي أنشأها المسلمون أو أنتجت للناس الذين عاشوا في ظل حكام مسلمين، أو في كيانات اجتماعية وثقافية تأثرت بقوة بأنماط الحياة والفكر التي تميز الإسلام.

دواعي النشر ويحدد مؤلفو الكتاب دواعي نشره، فقد حظي الفن الإسلامي في العقود الأخيرة، باهتمام بدراسته متجاوزاً ما كان يعد اهتماماً حصرياً للمؤرخين والعارفين خاصة في الغرب، ليشمل تشكيلة عريضة من القراء في بلدان عديدة على أن الزيادة الأهم في القراء هي بين أوساط الطلبة والعلماء وجامعي التحف الفنية. ويلحظ الكتاب أن رغبة القراء في التعرف على هذا الفن إنما هي ناجمة عن إدراك متزايد منهم للإسهامات العظيمة التي قدمتها الحضارة الإسلامية للفن العالمي.

ومن هذه الإسهامات الحضارية مختلف طرائق الفن والتشييد، وتصنيع التحف الفنية واستخدام التقنيات المزخرفة وهو ما يعرف بالفن الوظيفي، وعلى هذا الأساس فقد استخدمت التحف المزخرفة من الناس بكافة مشاربيهم من حكام منتمين إلى أصول عرقية مختلفة إلى تجار وأثرياء وصولاً إلى الناس البسطاء، وربات البيوت من النساء ومن أقوام مختلفة من غير المسلمين، مسيحيين ويهود وزردشتيين وثنيين.

قرون من الفتنة يلحظ الكتاب السرعة الهائلة التي انتشر فيها الإسلام وأثر ذلك على الفن، ففي عام 622 ميلادي هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وفي العام 750 ميلادي كانت الجيوش الإسلامية قد اخترقت جنوب فرنسا، وفي الأثناء تأسست مدن جديدة في شمال أفريقيا، كما شيدت قبة الصخرة في القدس. وفي خلاصة فإن الفن الإسلامي لم يتطور تدريجياً عند التقاء الدولة والعقيدة الجديتين، بأية تقاليد قديمة تواصلت في المناطق التي امتد إليها النفوذ بل يكاد يكون بروز الفن الإسلامي فجائياً مثل عقيدته ودولته.

وفي قراءته للمناخ الفني لدى ظهور الإسلام يعرج الكتاب على المعمار قبل ظهور الإسلام والفضاءات التي حكمت بنيته، مشيراً إلى الكعبة الشريفة، وبيت النبي صلى الله عليه وسلم والذي يتألف من باحة مربعة بسيطة وعدد قليل من الغرف على الجانب ورواق من جذوع النخل

وإذا كان من الصعب التوقف عند مقولات الكتاب الذي يقع في ثلاثمائة وخمسين صفحة من القطع الطويل وضمن ثمانية فصول وهوامش طويلة، فإنه لا بأس من المرور السريع على بعض مفاتيح الكتاب الذي لا غنى لأي باحث ودارس في مجال الفن في العصر الإسلامي الأول عن هذا الكتاب، سواء من الناحية العلمية والأكاديمية الرفيعة أو من ناحية أسلوب كتابته المبسط الذي لا يحتاج إلى معرفة مسبقة بموضوعه.

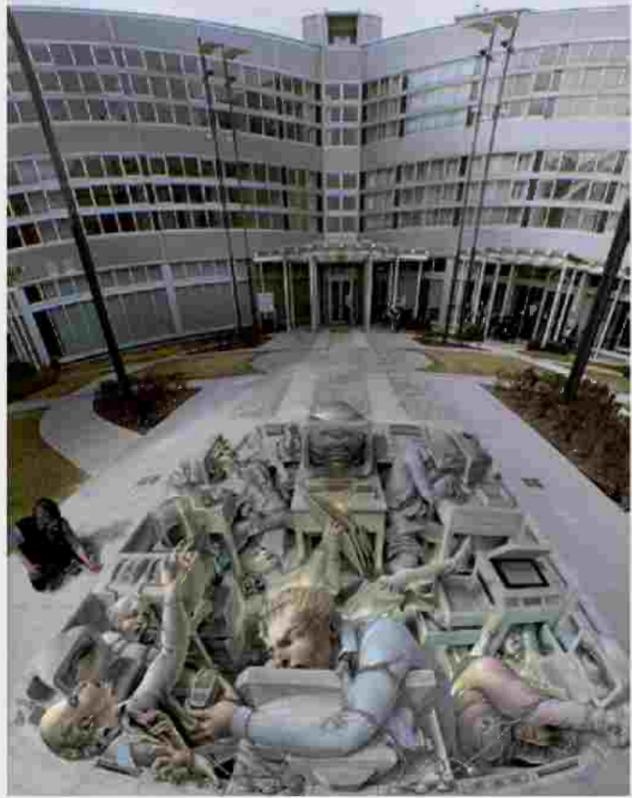
بيد أن اللغة المبسطة للكتاب يقف خلفها مترجم متمكن هو عبد الودود العمراني، بحسب المؤلفين الذين وجدوا أنه «لم يكتف بإظهار قدرة نادرة في معالجة البنية المعقدة لنص علمي طويل وحسب، بل تعامل بأريحية مع مفردات تقنية لا يوجد لها مقابل في كثير من الأحيان باللغة العربية، أبعد من ذلك لجأ العمراني في معانيته للنص إلى الحفر في مفردات أجنبية وردّها إلى أصولها العربية، وخصوصاً فيما يتعلق مع أسماء لتقنيات فنية استخدمها الفنانون في عصور غابرة، وكادت أن تطمس من قاموس العربية.

دواعي النشر

ويحدد مؤلفو الكتاب دواعي نشره، فقد حظي الفن الإسلامي في العقود الأخيرة، باهتمام بدراسته متجاوزاً ما كان يعد اهتماماً حصرياً للمؤرخين والعارفين خاصة في الغرب، ليشمل تشكيلة عريضة من القراء في بلدان عديدة على أن الزيادة الأهم في القراء هي بين أوساط الطلبة والعلماء وجامعي التحف الفنية.

ويلحظ الكتاب أن رغبة القراء في التعرف على هذا الفن إنما هي ناجمة عن إدراك متزايد منهم للإسهامات العظيمة التي قدمتها الحضارة الإسلامية للفن العالمي.

ومن هذه الإسهامات الحضارية مختلف طرائق الفن والتشييد، وتصنيع التحف الفنية واستخدام التقنيات المزخرفة وهو ما يعرف بالفن الوظيفي، وعلى هذا الأساس فقد استخدمت التحف المزخرفة من الناس بكافة مشاربيهم من حكام منتمين إلى أصول عرقية مختلفة إلى تجار وأثرياء وصولاً إلى الناس البسطاء، وربات البيوت من النساء ومن أقوام مختلفة من غير المسلمين، مسيحيين ويهود وزردشتيين وثنيين.



هو مبدع في ذاته شرط الطموح للأعلى والتحلي بهمة عالية ونفس جديد.

ولد جوليان بيفير في شولتهام بالمملكة المتحدة عام 1959 وترعرع في ميلتون. درس الفن في جامعة ليدز بين سنتي 1979-1983. بدأ الرسم بالطباشير في أواسط تسعينيات القرن العشرين. وقد امتهن الرسم في عدة دول منها أمريكا وأستراليا وأوروبا. وفي سنة 2007 أنجز سلسلة تلفزيونية من عشرة أجزاء. وفي 2011 كتب كتاباً اسمه (فنان الرصيف بالطباشير). وكان كلما رأى شيئاً أعجبه رسمه في الشارع بإتقان محاولاً إثارة انتباه المارة وإعجابهم معاً. يقول في موقعه على الانترنت. عن بداياته في الرسم الثلاثي الأبعاد على الرصيف: «بدأت الرسم عندما كنت في شارع للمشاة في بروكسل حيث أزيلت حديقته القديمة. وترك ذلك قطعة مستطيلة على بلاط الرصيف أعطاني ذلك فكرة لتحويله إلى بركة

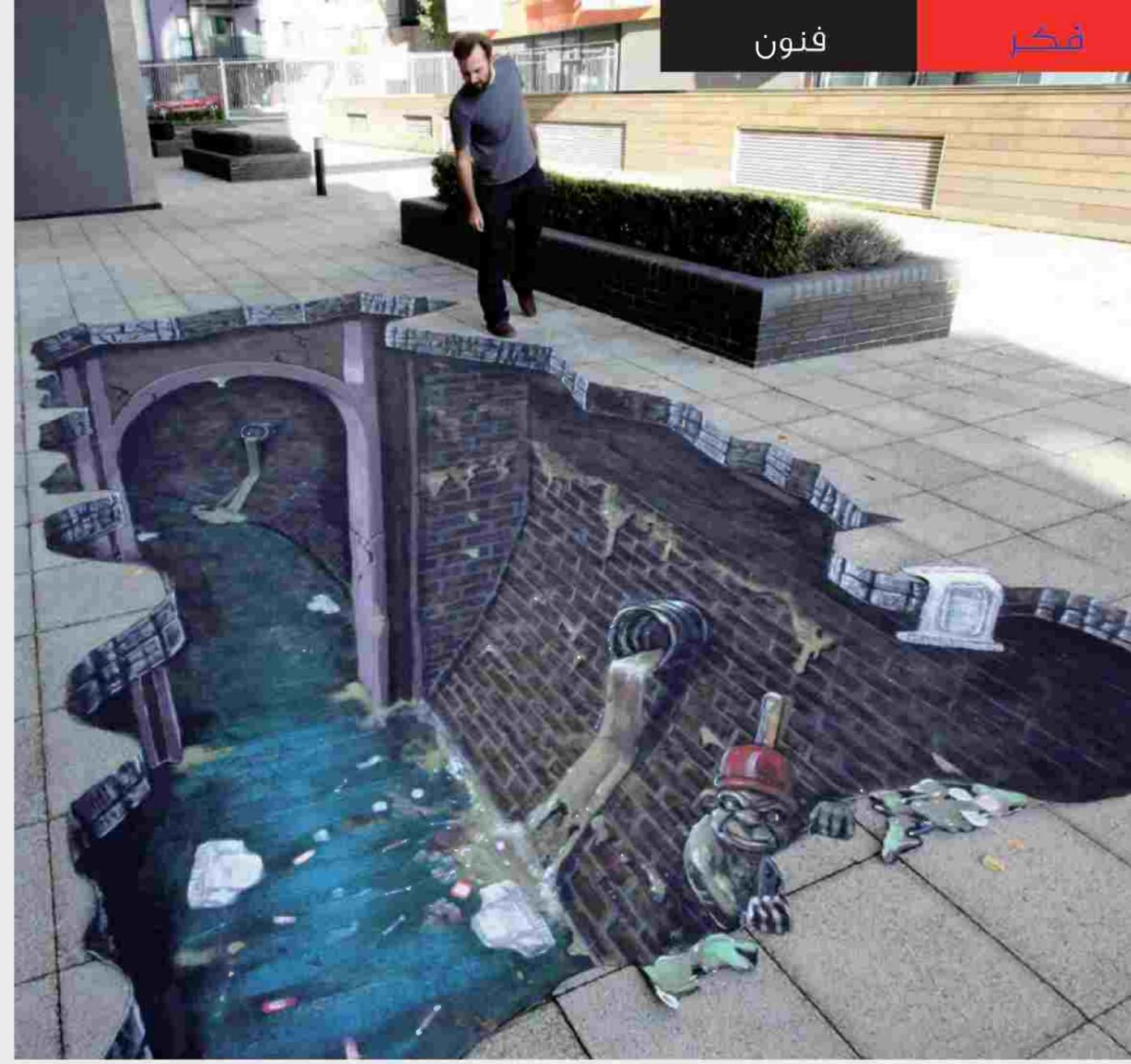
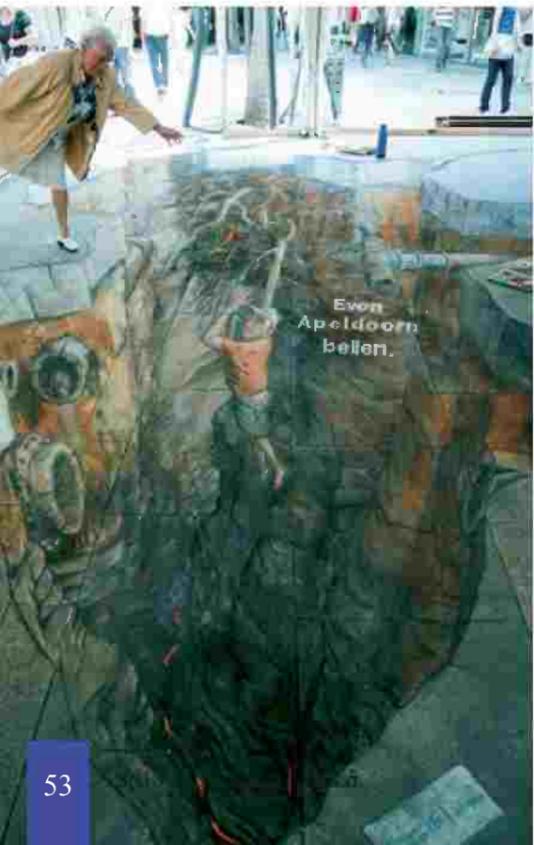
سياحة.» البعض يطلق عليه اسم (بيكاسو الرصيف) وهو الآن مطلوب من الشركات التجارية الكبرى حيث عمل في 28 دولة مختلفة وهو لا يزال يجد الوقت الكافي لإنجاز رسوماته إرضاءً لنفسه وتحقيقاً لمصالح تلك الشركات.

كل رسم يرسمه ينبغي النظر إليه من نقطة معينة وإذا حدث عنها يعرضها ذلك للتشويه فتفقد معناها وجماليتها وبالتالي يصعب التعرف عليها، بمعنى يجب النظر إلى رسوماته من وجهة محددة لترآها بأبعادها الثلاثية. وهو بهذا تحدى قوانين المنظور.

بقي أن نشير إلى أن جوليان بيفير يرسم أيضاً بالألوان الزيتية على الجدران والحوائط وهو في ذلك فنان مبدع ومتميز غير أن حبه للرسم الثلاثي الأبعاد على الرصيف طغى على بقية مواهبه.

يمكنكم زيارة الرابط:

<http://www.youtube.com/watch?v=wi3yJ6KH9qI>



مدهشة على الجدران بدلاً من أرضيات الشوارع، وحيث تجبرك في الحال درجة واقعتها على تأمل الصورة مراراً وتكراراً حتى تتيقن أنها مجرد رسم.

وتكمن قوة الأفكار المجسدة لهذا الفن في خديعة الإيهام بالسقوط في حفرة أو منحدر أو بركة ماء، حيث يرسم الفنان عمله ثلاثي الأبعاد على الشارع باستخدام الطباشير فتبدو واقعية بشكل مذهش، بحيث يخيل للناظر بوجود هوة فيه تمتد إلى باطن الأرض.

إن الإبداع ينأى بالفرد عن التقليد أو التكرار، بل إن المبدع هو الشخص الذي يكون بالضرورة النسخة المجددة والفريدة. ولا يتم ذلك إلا بالتجديد المستمر للنفس والفكر والطموحات، وهو ما يدفعه لتفجير طاقته الإبداعية الكامنة بداخله وتوظيفها في خدمة الأهداف، فكل فرد

ومن أشهر رسامي الشوارع في العالم نذكر كل من جوليان بيفير، الذي يعتبر أحد أشهر فناني رسم الشوارع على الإطلاق بفضل تحكمه المذهل في منظور الرسومات واللوحات، والتي تبدو كما لو كانت أشكالاً حقيقية مجسمة باحتراف. ويرسم جوليان بيفير لوحاته بشوارع مدن عالمية كبرى مثل لندن ونيويورك وباريس وبرلين. إضافة إلى إدجار مويلار الذي لا يقل شهرة هو الآخر. ولكنه على عكس جوليان، يتخصص في الرسومات التي تمتد على مساحات شاسعة، لدرجة أنه يقوم أحياناً بتزيين شارع بأكمله. والفنانة ترايسي لي التي اكتسبت هي الأخرى شهرة واسعة في هذا المجال، ولها رسومات شهيرة لزعماء في العالم. كما لا يمكن في هذا الصدد المرور دون التطرق إلى الرسام إريك جروه الذي يتميز عن الفنانين السابقين برسمه لخدع بصرية

الفنانين على الرسم على الطرقات باختلاف أهدافهم وتوجهاتهم. فقد يكون هذا الشكل من الرسم وسيلة فعالة عند البعض للوصول إلى المجتمع بهدف تحسيس أفرادهم بمسائل اجتماعية أو سياسية معينة. ونال عديد الرسامين اهتماماً عالمياً بفضل أعمالهم التي عرضوها في شوارع بمدن رئيسة أخرى. وهم الآن جزء مهم من الفضاء الأوسع للفن المعاصر والثقافة المرئية. فهذا الصنف من الفن يؤلف ويمرر مفردات بصرية ومجموعة من السجلات الأسلوبية، التي أصبحت متداولة عبر الثقافة الجماهيرية الواسعة. كما أثبت فن الرسم على الطريق أن الفضاء الحضري لا يمكن أن يكون فضاء محايداً، فقد أصبحت الرسومات المعروضة أمام الجميع تناقش وتلهم وتثير الرسام والمقبل على حد سواء.

## قصر الحمراء مكان يتوقف فيه الزمن

حينما يصل الزائر إلى الأثر التاريخي المعروف بقصر الحمراء، يشعر وكأنه يدخل إلى عالم آخر، إلى مكان توقف فيه الزمن عند 500 سنة مضت. يقول أهل غرناطة، إن قصر الحمراء له سحر معين، وكأن سحرة قد ألقت عليه تعويذة تجعل السائح يعود إليه مرة ثانية وثالثة ورابعة. لقد راود هذا الإحساس 2.31 مليون شخص سنة 2011، وهو تحديداً عدد من زاروا ذلك الأثر الذي يعتبر أشهر أثر إسباني في العالم، وهذا الرقم يمثل زيادة قدرها 6.74 في المائة عن عدد السياح في العام السابق.

قصر الحمراء جزء من معالم مدينة غرناطة الأثرية الواقعة على بعد 267 ميلاً جنوب مدينة مدريد، فبعد أن استوطن بنو الأحمر بقرطبة أخذوا يبحثون عن مكان مناسب يوفر لهم القوة والمنعة فاستقر بهم المطاف عند موقع الحمراء في الشمال الشرقي من غرناطة. وفي هذا المكان المرتفع وضع أساس حصنهم الجديد (قصر الحمراء)، واتخذ بنو الأحمر من هذا القصر مركزاً للملك، وأنشؤوا فيه عدداً من الأبراج المنيعة، وأقاموا سوراً ضخماً يمتد حتى مستوى الهضبة.

ويعد قصر الحمراء واحداً من أروع القصور في تاريخ العمارة الإسلامية، ومن أعظم الآثار الأندلسية الباقية حتى اليوم بما حواه من بدائع الصنع والفن، وقد زين صناعات غرناطة المهرة القصر بأبدع نماذج لا تستطيع البشرية الإتيان بمثله.

ومن المرجح أن سبب تسمية الحمراء هو لون حجارتها الضاربة للحمرة. والحمراء عبارة عن مجموعة أبنية محاطة بأسوار تقع على ربوة عالية تسمى السبيكة في الجانب الشمالي الشرقي من مدينة غرناطة. وهذه الأبنية على ثلاثة أقسام: القسم العسكري ويقع شمال شرقي القصر وهو عبارة عن قلعة تحرس الحمراء ولها برجان عظيمان، ثم القصر الملكي في الوسط ثم الحمراء العليا المخصصة للخدم.

يتحدث القصر عن مملكة غرناطة وملوكها وحضارتها وآثارها وجهادها دفاعاً عن استقلالها حينما غدت آخر معاقل العرب والمسلمين في شبه جزيرة إيبيرية. وبعد أن تلالأت حضارتها نحو مئتي سنة، انطفأت مشاعلها وظهرت مبانيها دون حياة.

لم يكن قصر الحمراء سوى جزء من مدينة الحمراء أو (قصر الحمراء) التي تشمل قصر الحاكم والقلعة التي تحميه. وكانت مباني دور الوزراء والحاشية تنمو مع الوقت حتى غدت قاعدة ملكية حصينة.

يرجع بناء الحمراء إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وكانت هناك (قلعة الحمراء) فوق الهضبة الواقعة على ضفة نهر حدره اليسرى.

وعندما تولى زعيم البربر باديس بن حبوس حكم غرناطة، بعد ظهور دول الطوائف في بداية القرن الخامس الهجري، أنشأ سوراً منيعاً حول الهضبة التي قامت عليها (قلعة الحمراء)، وبنى داخل

هذا السور قصرًا أو مركز حكومته، وسميت القلعة (القصر الحمراء)، وصار قصر الحمراء جزءاً منها، وغدت معقل غرناطة الهام. واتخذ محمد بن الأحمر النصري مركزه في القصر عام 635هـ/1238م وأنشأ داخل أسوارها قصره الحصين واتخذه قاعدة للملكة. وجلب إليه الماء من نهر حدره. وأنشأ حوله عدة أبراج منيعة منها:

- البرج الكبير (برج الحراسة). وبنى حوله سوراً ضخماً يمتد حتى مستوى الهضبة. وبنى مسكنه الخاص في جهة الجنوب الغربي من الحصن (في المكان نفسه الذي شيد عليه قصر الإمبراطور شارلكان). وسميت القصر الجديدة باسم (الحمراء) تخليداً لاسمها القديم من جديد.

وفي أواخر القرن السابع الهجري، أنشأ محمد بن محمد بن الأحمر الغالب بالله - ثاني سلاطين غرناطة - مباني الحصن الجديد والقصر الملكي.

ثم أنشأ ولده محمد في جوار القصر مسجداً قامت محله فيما بعد كنيسة سانتاماريا.

ثم جاء السلطان أبو الوليد إسماعيل فزاد في القصر واهتم بجماله. وتدين الحمراء بفخامتها وجمالها المعماري والفني إلى ولده السلطان يوسف أبي الحجاج الذي كان ملكاً شاعراً وفناناً موهوباً، بنى معظم الأجنحة والأبهاء الملكية، وأغدق عليها من روائع الفن والزخارف، وبنى باب الشريعة المدخل الرئيسي حالياً للحمراء.

تقع مدينة (الحمراء) فوق هضبة مرتفعة يبلغ طولها بين 736م و740م وعرضها نحو 200م يحيط بها سور ضخيم بقيت منه أجزاء كبيرة، وللسور أبراج وأبواب عدة مازال معظمها حتى اليوم، ومن أهم الأبراج الباقية:

- برج قمارش Torre de Comares فوق قاعدة السفراء.

- برج المتزين Torre de Peinador.

- برج العقائل Torre de Las Damas.

- برج الآكام Torre de los Picos.

- برج الأسيرة Torre de La Cautiva.

- برج الأميرات Torre de Las Infantas.

والجدير بالذكر أن هذه الأبراج تقع في شمال

الهضبة، وتطل على مدينة غرناطة الجميلة والمرج. وهناك برج الماء Torre del Agua في الطرف الشرقي من الهضبة، وبرج الرؤوس Torre de Las Cabezas في جنوب الهضبة. وأهم الأبواب الباقية هي:

- باب الغدور Puerta de Las Pozas.

- باب الطبايق السبع Puerta de Siete Suelos. وهناك برج بهذا الاسم. وقيل أن أبا عبد الله الصغير استقبل الأسبان يوم التسليم في هذا المكان. وهناك أيضاً:

- باب الشريعة المدخل الرئيسي حالياً للحمراء.

- باب السلاح Puerta de Las Armas في شمال القصر قرب برج الحراسة.

- باب الشراب داخل الأسوار.

وفي الطرف الغربي من الهضبة تقع بعد القصر قلعة قديمة اسمها حصن الأبراج الحمراء Castillo de Torres Bermejas.

يتميز موقع هضبة الحمراء بجمال الطبيعة. ويطل من جهة الشمال والغرب على مدينة غرناطة وبرجها البديع. كما يشرف من جهة الشرق والجنوب على آكام (جبال سييرا نيفادا Sierra Nevada) المعروفة عند العرب باسم جبل شيلر أو (جبل الثلج). وهي قريبة إلى أحياء المدينة في الجهة الشمالية الغربية. وتشرف على مجرى نهر حدره وعلى حي البيازين (البائسين).

يجتاز الزائر قصر الحمراء من مدخل يقع مقابل قصر الإمبراطور شارلكان. وتبدو على يمين ويسار هذا المدخل أبهاء عدة عالية يشغلها (متحف الحمراء). وتقسم مباني قصر الحمراء إلى جناحين كبيرين هما:

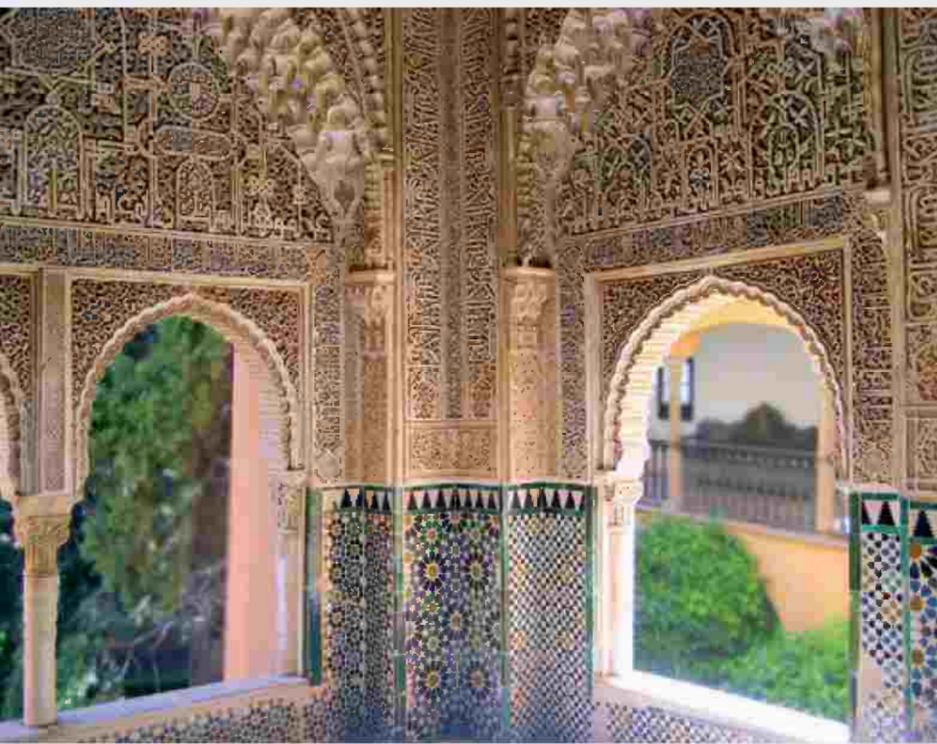
- جناح قمارش: يضم قاعة السفراء. وبرج قمارش الذي يعلوه.

- جناح الأسود: يتوسطه فناء الأسود.

فناء الريحان الكبير: تتقدمه ساحة البركة Patio de Alberca أو (فناء الريحان) الكبير المستطيل الشكل، تتوسطه بركة المياه وتظلها أشجار الريحان الجميلة.

ونقشت في زوايا فناء الريحان عبارة «النصر والتمكين والفتح المبين مولانا أبي عبد الله أمير المؤمنين...» والآية الكريمة (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم).

وفي النهاية الجنوبية لهذا البهو باب عربي ضخم، هدمت المباني التي كانت وراءه، ولم يبق منها سوى أطلال. وتوجد في هذه الأطلال بعض النقوش مثل «لا غالب إلا الله» «عز مولانا



بدأ السلطان أبو الوليد إسماعيل إنشاء قصر قمارش في بداية القرن الثامن الهجري. ثم أكمله من بعده ولده يوسف أبو الحجاج الذي أنشأ برج قمارش وبهوه. كما أنشأ جناح الحمامات السفلي القريب منه. ثم أنشأ ولده محمد الغني بالله بهو البركة. وأنشأ قصر السباع. وتعد زخارف قبته أجمل ما في بهو قمارش.

### فناء السرو

يؤدي بهو البركة من جهة اليمين إلى باحة السرو. وإلى جانبها الحمامات الملكية، وأول ما يلتفت النظر غرفة فسحة زخارفها متعددة الألوان مع بروز اللون الذهبي ثم الأزرق والأخضر

السلطان أبي عبد الله الغني بالله» وربما كانت هذه الأطلال بقية الجناح الخاص الذي هدمه شارلكان ليقيم مبنى قصره في جوار الحمراء. ويؤدي باب فناء الريحان الشمالي إلى بهو صغير اسمه «بهو البركة».

بهو السفراء: يؤدي البهو الذي يلي فناء الريحان من الجهة الشمالية إلى بهو السفراء أو بهو قمارش الذي يعد أضخم أبهاء الحمراء سعة، أضيف إلى ذلك ارتفاع قبته 23م. ولهذا البهو شكل مستطيل أبعاده 18 × 11م. وفيه كان يعقد مجلس العرش. يعلو بهو السفراء برج قمارش المستطيل.





لوحة رخامية تذكارية تذكر أنه كان مقاماً للكاتب الأمريكي (واشنطن إيرفينج) عام 1829 الذي اشتهر بكتابه (فتح غرناطة) و(قصر الحمراء).

#### الزاوية والروضة

وهناك منطقة مهجورة من القصر في جهة الغرب كانت زاوية أو مصلى فيها مiazza وقاعدة مأذنة وكانت خرائب الروضة مدفناً للملك بني نصر ملوك غرناطة في جهة جنوب باحة السباع. وعثر في الروضة على شواهد عدة لقبور تعود للملك غرناطة.

#### المسجد والكنيسة

وحل محل مسجد الحمراء في وسط الهضبة في جنوب الروضة مبنى كنيسة سانتاماريا. وقد أمر السلطان محمد الثالث 1302-1309 ببنائه وجعله أفخم مساجد غرناطة.

#### نقوش الأبراج

زينت الأبراج بنقوش جميلة مثل برج الأسيرة يوسف أبو الحجاج.

#### جنة العريف

بالقرب من قصر الحمراء وعلى بعد 1000م منه يوجد قصر جنة العريف الذي شيد في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، ويقع شمال شرقي قصر الحمراء فوق ربة مستقلة ومن ورائه جبال الثلج. وقد غرست في ساحات القصر وأفتيته الرياحين والزهور الفاتحة الجمال حتى أصبح هذا القصر المثل المضروب في الظل الممدود والماء المسكوب والنسيم العليل وقد اتخذ ملوك غرناطة منتزهاً للراحة والاستجمام.

#### قصر الإمبراطور شارلكان

قضى شارلكان على تراث الأندلس وآثارها. وهدم قسماً كبيراً من قصر الحمراء ليبنى قصره عام 1527م، وتابع ولده فيليب الثاني (1556-1598) تخريب قصر الحمراء وتشويهه. وأدى الإهمال إلى الخراب. وفي عام 1590 حدث حريق ألحق الضرر بهذا القصر الأثري. وفي فترة الغزو الفرنسي سف الفرنسيون بعض أبراج قصر الحمراء. ومنذ منتصف القرن التاسع عشر أدركت إسبانيا في عهد شارل الخامس إلى المعماريين Pedro Luis de Mechuea بترميم القصر واعتباره



#### قاعة الملوك (أو قاعة العدل)

في جهة شرق بهو الأسود مدخل قاعة الملوك Sala de Los Reyes. زين سقف الحنية الوسطى بصور عشرة من ملوك غرناطة تعلوهم العمائم، تعبر ملامحهم عن الوقار والكبرياء. أولهم محمد الغني بالله. وآخرهم السلطان أبو الحسن والد أبي عبد الله. وهناك صور فرسان ومشاهد صيد.

#### منظرة اللندراخا

في جهة شمال بهو الأسود وقاعة الأختين بهو منظرة اللندراخا Mirador de Lindarata. وذهب بعضهم في تفسير هذا اللفظ بأنه محرف لثلاث كلمات عربية (عين دار عائشة). والجدير بالذكر أن عائشة كانت إحدى ملكات غرناطة في القرن الرابع عشر الميلادي. وإن لفظ (عين) يفيد (نافذة). وتتألف هذه القاعة من بهو صغير مزلع.

#### متزين الملكة Peinador de La Reina

جناح علوي صغير في نهاية الطرف الشمالي للحمراء. تحت (برج المتزين) Torre de Peinador الذي يعود إلى عهد السلطان يوسف أبي الحجاج.

والجدير بالذكر أن الجناح المجاور لساحة الإمبراطور شارلكان من جهة الجنوب يحمل

المياه في هذه البركة حيث حاول الفرنجة التعرف على سر انتظام تدفق المياه بالشكل الزمني الذي كانت عليه. ومن الجدير بالذكر أن الحضارة الإسلامية استخدمت الفوارات في زخرفة الحدائق العامة والخاصة، وقد وصلت براعة المهندسين المسلمين في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي حداً كبيراً في صنع أشكال مختلفة من الفوارات يفور منها الماء كهيئة السوسنة، ويتم تغييرها حسب الحاجة ليفور الماء كهيئة الترس وفي أوقات زمنية محددة، ولقد وصلت تقنية الفوارات قمتها في الأندلس حيث تنافس المهندسون الأندلسيون في تزيين حدائق وقصور الخلفاء والأمراء، وتمثل فوارات قصر الحمراء وجنة العريف نموذجاً متطوراً لما وصلت إليه إبداعات المسلمين في ذلك الوقت.

#### قاعة بني سراج

في منتصف الناحية الجنوبية من بهو الأسود مدخل قاعة بني سراج Sala de Los Abencerrajes Abencerrajes الغرناطيين الذين كان لهم دور كبير في الأحداث الأخيرة. ولهذه القاعة شكل مستطيل أبعاده (12م × 8م). فرشت أرضها بالرخام. وتعلوها قبة عالية في جوانبها نوافذ يتسرب منها النور. وفي وسط القاعة حوض نافورة مستديرة من الرخام.

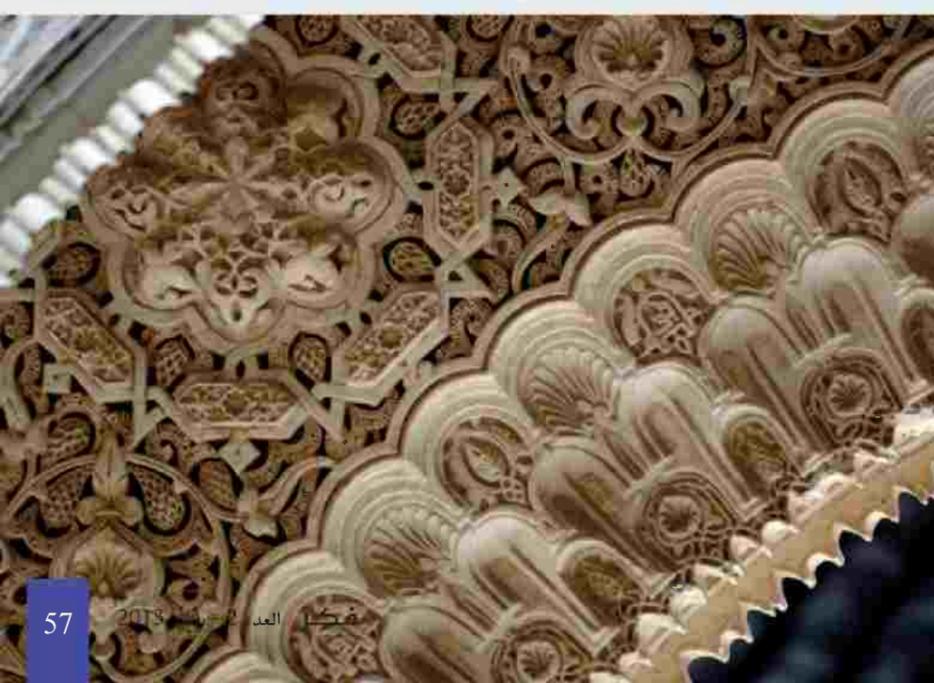
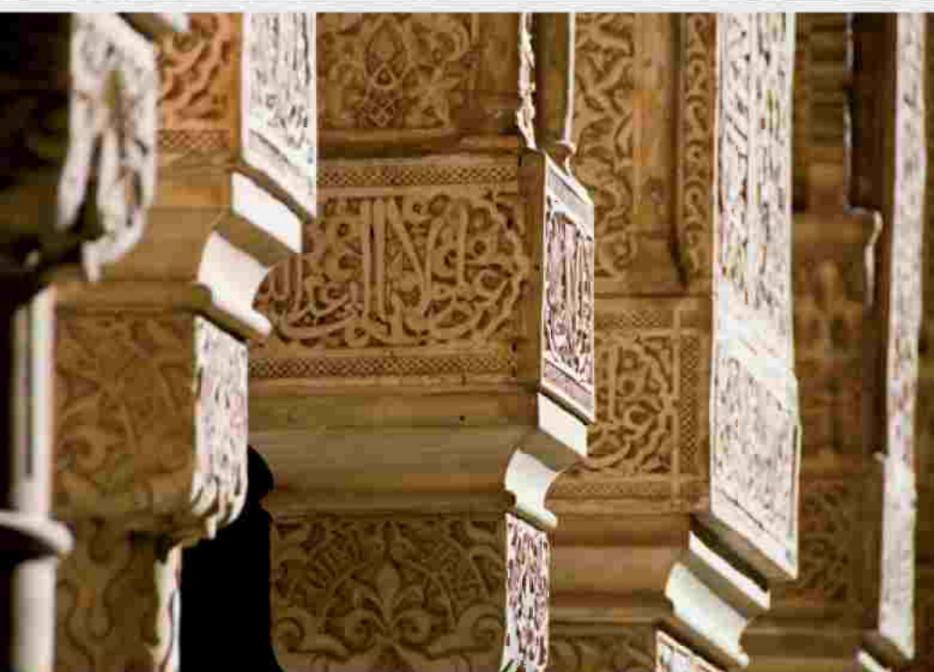
والأحمر وفي وسطها نافورة ماء صغيرة، وتعرف باسم غرفة الانتظار. أما الحمامات فتغمرها الأنوار الداخلة عبر كوات بشكل ثريات وأرضها مرصوفة بالرخام الأبيض، ومن الحمام يتم الدخول إلى غرفة الامتشاط والاستراحة التي تكثر فيها الرسوم الغربية عن الفن الإسلامي، ويتخلل الحمامات أبهاء صغيرة.

#### قاعة الأختين

تقع في شرق بهو البركة. عُرفت هذه القاعة بهذا الاسم لأن أرضها تحتوي على قطعتين من الرخام متساويتين وضخمتين.

#### بهو الأسود

تؤدي قاعة الأختين من بابها الجنوبي إلى بهو الأسود أشهر أجنحة قصر الحمراء. قام بإنشاء هذا الجناح السلطان محمد الغني بالله (755هـ/1354-793هـ/1391م). إنه بهو مستطيل الشكل أبعاده 35م × 2م تحيط به من الجهات الأربع أروقة ذات عقود يحملها 124/ عموداً من الرخام الأبيض صغيرة الحجم ولكنها كثيرة الجمال والرشاقة وعليها أربع قباب مزلعة. في وسط البهو نافورة الأسود الجميلة، على حوضها المرمرى المستدير اثنا عشر أسداً من الرخام الجميل، تخرج المياه من أفواهها بحسب ساعات النهار والليل. وقد تعطلت مخارج



أثراً للنهضة الإسبانية، وفائدة المحافظة عليه للسياحة. وبعد ذلك مرت فترة طويلة من الإهمال الشامل حتى عام 1828 حيث عهدت الأعمال الضخمة لإعادة القصر وترميمه وتأهيله إلى المهندس المعماري Jose Contraras ومن ثم تابع العمل ابنه Rafael ثم حفيده Mariano الذين قادوا العمل وأوصلوا القصر إلى الحالة الراهنة. ويعتبر قصر الحمراء إلى جانب وجاهته

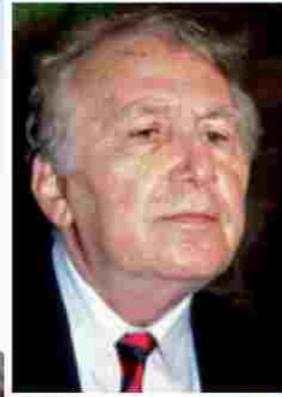
الحضارية الإسلامية أيضاً متحفاً غنياً يحتوي على مجموعة كبيرة من الأثاث الإسلامي والرخام والأواني الخزفية المسماة بالحمراء وهي نماذج نادرة من الفن الإسلامي الأندلسي، واليوم تسعى أسبانيا للحفاظ على هذا الأثر الحضاري والإسلامي الراهن لما تجنيه من فوائد إعلامية حضارية وثقافية وسياحية وكذلك مادية كبيرة جداً من خلال ملايين السائحين الذين يزورونه سنوياً.

ويبقى قصر الحمراء درة الحضارة الإسلامية ترمز إلى التقدم في فن العمارة والزخرفة الإسلامية أينما وجدت. لقد قضى الإسبان على دولة غرناطة ولكن آثار العرب والمسلمين فيها مازالت خالدة تبهج الأبصار وتملأ النفوس بمشاعر الحزن. رابط لفيلم وثائقي لقصر الحمراء: <http://www.youtube.com/watch?v=6J2LB8v435I>

## غرناطة

في مدخل (الحمراء) كان لقاءنا  
ما أطيّب اللقيا بلا ميعاد  
عينان سوداوان .. في حَجَرِيهِمَا  
تتولد الأبعاد من أبعاد  
هل أنت إسبانية .. ساءلُها  
قالت: وفي غرناطة ميلادي .  
غرناطة ! صحت قرون سبعة  
في تَبَنِكَ العينين .. بعد رقاد  
وأُمِّيَّة .. راياتها مرفوعة  
وجيادها موصولة بجياد ..  
ما أغرب التاريخ .. كيف أعادني  
لحفيدة سمراء .. من أحفادي  
وجه دمشق .. رأيت خلاله  
أجفان بلقيس .. وجيد سعاد  
ورأيت منزلنا القديم و حجره  
كانت بها أُمِّي تمدّ وسادي  
والياسمينه، رُصعت بنجومها  
والبركة الذهبية الإنشاد ..  
دمشق .. أين تكون؟ قلت: ترينها  
في شعرك المنساب نهر سواد

في وجهك العربي، في الثغر الذي  
ما زال مختزناً شمس بلادي  
في طيب جنات (العريف) ومائها  
في الفل، في الريحان، في الكباد  
سارت معي .. والشعر يلهث خلفها  
كسنا بل تركت بغير حصاد ..  
يتألق القُرط الطويل بجيادها  
مثل الشموع بليلة الميلاد ..  
ومشيت مثل الطفل خلف دليتي  
وورائي التاريخ .. كوم رماد ..  
الزخرفات أكاد أسمع نبضها  
والزركشات على السقوف تنادي  
قالت: هنا الحمراء .. زهو جدودنا  
فاقرأ على جدرانها أمجاد  
أمجادها! ومسحت جرحاً نازفاً  
ومسحت جرحاً ثانياً بفؤادي  
يا ليت وارثي الجميلة أدركت  
أن الذين غنّتهم أجدادي ...  
عانت فيها عندما ودّعها  
رجلاً يسمّى (طارق بن زياد) ..



نزار قباني

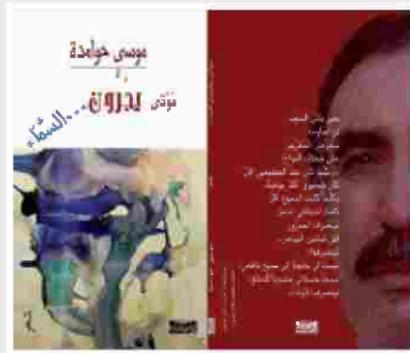
## كتاب جديد يستعرض تاريخ أمريكا من روزفلت حتى أوباما

طرحت في المكتبات الفرنسية، أحدث الكتب التي تتناول تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، في إطار سلسلة الكتب، التي تصدرها صحيفة (لوموند) الفرنسية كبرى الصحف وأوسعها انتشاراً على مستوى العالم، والكتاب بعنوان (الولايات المتحدة من روزفلت حتى أوباما)، من إعداد آلان فراشويد.

يتعرض الكتاب لتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية عقب الحرب العالمية الثانية؛ حيث أصبحت قائدة في المعسكر الغربي، واستطاعت أن تصدر أسلوب حياتها ومنتجاتها إلى العالم الخارجي. ويكشف الكتاب وضع الولايات المتحدة، التي أصبحت القوة الاقتصادية والثقافية والسياسية في العالم، كما يتحدث عن منافسة الصين لها، والتي تهددها بأنها ستزعزع منها الريادة في العالم، خاصة بعد أن سببت الأزمة الاقتصادية، التي يتعرض لها العالم اليوم في ضعفها، رغم محاولاتها العديدة لتخطي هذه الأزمة.

## (موتى يجرون السماء) ديوان

الشاعر موسى حوامدة



غلاف ديوان (موتى يجرون السماء)

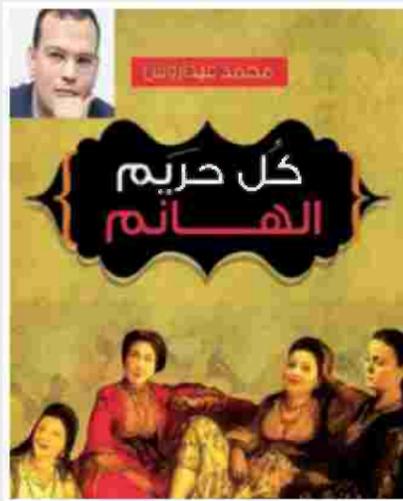
صدر حديثاً عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة (إبداع عربي) ديوان شعر بعنوان (موتى يجرون السماء) للشاعر موسى حوامدة.

ويضم الديوان 21 قصيدة منها: (حين يأتي الموت)، (الشبيهة)، (شجرة الموتى)، (كما ليلى يطرق باب الفجر)، (مقام الدهشة)، (هناك

عند حايه الأغاني)، (أخشى المساحة التي تلي العتمة). وتعتبر هذه المجموعة الثانية لموسى حوامدة التي تصدر في القاهرة بعد المختارات الشعرية التي أصدرتها الهيئة العامة لقصور الثقافة ضمن سلسلة أفاق عربية والتي جاءت تحت عنوان (سلاستي الريح عنواني المطر) عام 2010.

## كل حريم الهانم) كتاب يرصد صراع سوزان مبارك مع قرينات الملوك والرؤساء

محمد عيادروس



غلاف كتاب (كل حريم الهانم)

صدر قبل أيام في القاهرة كتاب (كل حريم الهانم) للكاتب محمد عيادروس يتناول فيه عدداً كبيراً من الشخصيات النسائية التي التصقت بسوزان مبارك زوجة الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك وكن سبباً في تحويلها إلى شخصية ديكاتورية أو كانت هي سبباً في تحويلهن إلى شخصيات هامة في مصر.

وصدر الكتاب عن دار (بوك هاوس) للنشر في 220 صفحة من القطع المتوسط ويرصد الحقبة التي حكم فيها (مبارك) مصر من خلال رحلة زوجته التي كانت تحلم في طفولتها بأن تكون راقصة باليه فإذا بها تتحول إلى سيدة مصر الأولى مروراً بالنساء اللاتي أثرن في حياتها بداية من السيدة الروسية التي علمتها فن الإتيكيت ونهاية بالوزيرات وسيدات الأعمال اللاتي دخلن إلى عالم الثروة والسلطة من خلالها.

ولم يكن كاتب مصري على مدار سنوات حكم (مبارك) يجرؤ على الحديث عن زوجته سوزان

ثابت التي كان معروفاً أن لها سطوة قوية وتتدخل بشكل صريح في الكثير من شؤون البلاد. ويضم الكتاب العديد من القصص المثيرة التي تقوح منها رائحة الفساد بدأها الكاتب بتناول أدق أسرار سوزان ثابت منذ طفولتها وفي مراحلها الدراسية المختلفة مروراً بقصة زواجها من (مبارك) وعلاقتها بجيهان السادات زوجة الرئيس المصري الأسبق أنور السادات.

ويقسم الكاتب فترة حكم (مبارك) من وجهة نظر زوجته إلى مرحلتين الأولى تلك التي ابتعدت فيها عن أمور الحكم والثانية التي تدخلت فيها في كل صغيرة وكبيرة في مصر حتى أسقطت عن عمد الحد الفاصل بين خزائن الدولة وحقبة يدها فأصبح كل شيء مستباحاً لها.

ويتوغل الكتاب في عمق علاقة سوزان بنجلها جمال وتفضيلها له على شقيقه علاء وكيف كان يدار بيت الرئيس من الداخل سواء في الزواج أو المشكلات العائلية.

ويحاول الكاتب جاهداً رصد أسباب تلقيب سوزان ثابت بـ (الهانم) من خلال السمات التي عرفت عنها من غيرة وحسد وحب للانتقام خاصة في علاقاتها بزوجات الملوك والرؤساء وصراعها الصريح مع بعضهن مثل الشيخة موزة زوجة أمير قطر.

ولكن يبقى الجزء الأكثر تشويقاً في الكتاب هو ذلك الذي يغوص في علاقات السيدة الأولى السابقة دائمة التوتر مع المذيعات والفنانات اللاتي ظنت أنهن يحاولن تقليدها أو خطف الأضواء منها.

وينتقل الكتاب بعد ذلك لرصد رحلة صعود العديد من السيدات اللاتي اقترن اسمهن بسوزان ثابت خاصة اللاتي أغدقت عليهن من ثروات البلاد بعدما أدرك الجميع أن مفاتيح الثروة والسلطة تتركز في يدها حيث كان معروفاً احتفاظها لنفسها على مدار سنوات طوال بنسبة محددة في

المناصب الوزارية والقيادية في مصر. ويدخل الكتاب مع حريم الهانم في مجموعة من القصص الشيقة عن السيدة التي ضمنت سوزان ثابت في أقساط (ثلاثة) في بداية حياتها فردت لها الجميل بأن أهدتها جانباً من دخل بتروول مصر وأخرى انحنت على يدها لتقبلها فأبقتها على كرسي الوزارة وثالثة رافقتها كمرشدة سياحية في رحلاتها لبيروت فكان الثمن إهداء زوجها كرسي الوزارة رغم تقارير أمنية حذرت منه.

كما يحكي الكتاب عن سيدة أخرى كانت أستاذتها في الجامعة الأمريكية وساعدتها في إعداد أبحاثها فكافأته بمقعد رئاسة المجلس القومي للمرأة. وتمت تبرئة سوزان ثابت من قضايا كثيرة أقيمت ضدها وخرجت من السجن بعد قليل من الثورة المصرية التي أطاحت بحكم زوجها بعدما دفعت 24 مليون جنيه لخزينة الدولة قالت إنها كل ما تملك بينما يرى كثيرون أن الأموال التي حصلت عليها بدون وجه حق تقدر بمئات الملايين ويطالبون بمحاسبتها على فساد مالي وسياسي.

(ناس من دبلن)

جيمس جويس

ترجمة عنايات عبد العزيز

صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلاسل مكتبة الأسرة، المجموعة القصصية (ناس من دبلن) لجيمس جويس (- 1882) (دبلن) ترجمة عنايات عبد العزيز، وتعالج هذه المجموعة حياة الأهالي في دبلن وعاداتهم وتقاليدهم والحالة الروحية في الفترة بين الاحتلال والاستقلال.

وتكشف المجموعة أيضاً، طموح جيل للانتقال إلى مثل أعلى، باحثاً عن الجذور التي تبني عليها حياة جديدة ترتبط بالحياة الحديثة وقيم

التقدم، وكأن الكتابة عن دبلن هي الكتابة عن قلب كل مدن العالم. يذكر أن جيمس جويس ولد في دبلن بأيرلندا في أسرة كاثوليكية، وهو واحد من كتاب الحداثة الكبار في القرن العشرين، وتمتاز أساليبه الأدبية المتناقضة والمتنوعة بخبرة أدبية كلاسيكية غنية ومهارة لغوية مثيرة للجدل، وغامضة في أن واحد، ترجمت له إلى العربية (صورة الفنان كشاب)، و(عوليس)، ومسرحيتي (دستيفن)، و(منفيون).

## الثورة المصرية: الدوافع والاتجاهات والتحديات

مجموعة من المؤلفين



غلاف كتاب الثورة المصرية  
خالد وليد محمود

أصدر (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات) كتاباً جديداً عنوانه (الثورة المصرية: الدوافع والاتجاهات والتحديات) في 608 صفحات من القطع الكبير.

ويعد هذا الكتاب من الأعمال القليلة جداً التي صدرت حتى الآن، وتصدت بالتحليل للثورة المصرية في محاولة لاكتشاف الدوافع الحقيقية لها؛ هذه الثورة التي اعتبرها محمود عبد الفضيل في تقديمه لهذا الكتاب حلقة جديدة من حلقات الثورة الوطنية الديمقراطية منذ ثورة أحمد عرابي في سنة 1882 مروراً بثورة 1919، حتى ثورة 23 يوليو 1952، ووصفها بأنها (عودة الروح) إلى الشعب المصري بعد أربعين عاماً من الموت والركود السياسي. وهذا الكتاب يقدم قراءة تحليلية وتوثيقية متعددة الأبعاد لهذه

الثورة، ويضع بين أيدي القراء ورجال التاريخ والإعلام شبه يوميات لهذه الحركة، الأمر الذي يتيح لنا اكتشاف قوّة الشعارات التي رفعتها، ولا سيّما شعار (الحرية والعدالة والكرامة)، وكذلك الزخم الكبير للقدرة الشعبوية الذي ربما يجد تفسيره في حجم الغضب الذي كان كامناً في صدور الناس الذين طالما شعروا بإهانة كراماتهم، وتجسد في ميدان التحرير الذي بات فضاءً جديداً للحرية تمكن من فتح فجوة في الجدار السياسي نحو التغيير الديمقراطي.

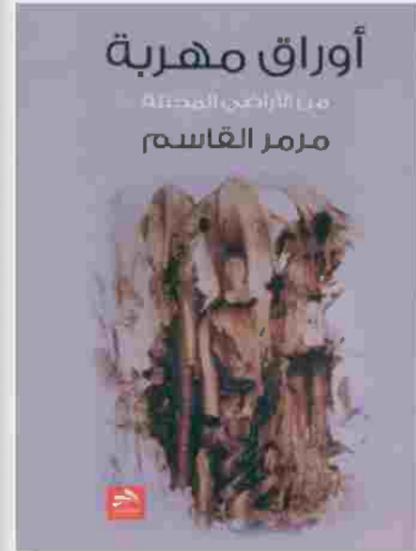
وشارك في تأليف هذا الكتاب نخبة من الباحثين الذين توزعت دراساتهم على الجوانب المتعددة للثورة المصرية، وجاءت على النحو التالي: لماذا قامت الثورة؟ (علي ليلة): محاولة لفهم الثورة المصرية (علي الرجال): القائد والفاعل والنظام (أمل حمادة): رمزية ميدان التحرير (آية نصار): الاتجاهات المانطقية وعلاقتها بالمركز (جمال زهران): توثيق الثورة وعلاقتها بالمركز (محمد صابر عرب): التعددية الحزبية والثورة (أحمد عبد ربه): الإسلاميون والثورة (أميمة عبد اللطيف): الإعلام الجديد وفرص التحول الديمقراطي (نرمين سيد): المعارضة الالكترونية وعلاقتها بالتحول الديمقراطي (علاء الشامي): الإعلام المصري والثورة (محمد شومان): الثورة المضادة (رابحة سيف علام): اقتصاد ما بعد الثورة (غادة موسى): محددات مسار التحول في مصر (شيماء حطب): المجلس الأعلى للقوات المسلحة حاكماً سياسياً (باكينام الشراقوي): مستقبل العلاقات المصرية - الإسرائيلية (عبد العليم محمد): فاعلية الإرادة وإدارة الفاعلية (عبد الرحمن حسام).

## أوراق مهربة من الأراضي المحتلة

مرمر القاسم

صدر حديثاً عن دار فضاءات كتاب (أوراق مهربة من الأراضي المحتلة) للكاتبة الفلسطينية ممر القاسم، (أوراق مهربة من الأراضي المحتلة) تمرّد فتاة على ازدواجية الواقع، الذي أصبح بفعل الاحتلال عاملها كله، الذي لا يمكنها الفرار منه. ومن هنا يكسب أهمية إضافية إذ يصف دواخل نساء كثيرات ورجال كثر داخل الخط الأخضر.. حيث تكتب القاسم:

لا احد يختار مصيره في مثل هذا الظلام وصمته الرهيب  
في وقتي العزلاء بين السيف والدمر  
وفي زمن الذل والهوان  
نخر العهز رداء الكرامة ..



غلاف كتاب أوراق مهربة

## طموح لم يتحملة بشر

د. رشا الجندي

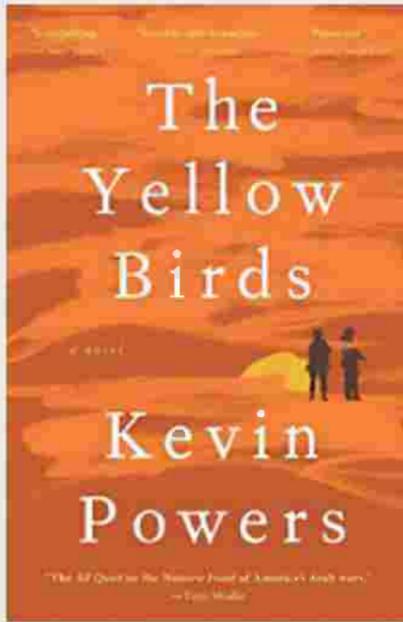


أصدرت مكتبة الأنجلو المصرية، مؤخراً، كتاباً للدكتورة رشا الجندي بعنوان (طموح لم يتحملة بشر) ويجمع الكتاب بين سيكولوجية (العلم، النفس، السياسة، الاقتصاد، الدين، المتعة) في أن واحد.

كما أوضحت الكاتبة أن الكتاب هو نتاج لعشر أعوام من البحث المتواصل، أجرت خلالها لقاءات مع تسعين عالماً بأنحاء العالم بمجالات (علم النفس - السياسة - الاقتصاد - القانون - الدين - التربية - التنمية البشرية - المناهج - الإعلام).

## رواية الطيور الصفراء

كيفن باورز



غلاف رواية الطيور الصفراء

صدرت رواية (الطيور الصفراء) شهادة في قالب قصة عن الغزو الأمريكي للعراق، كتبها جندي أمريكي قضى عامين ما بين الموصل وتلعفر، وهي المدة ذاتها التي يقضيها بطل قصته في خضم الحرب على هذا البلد العربي. القصة كتبها كيفن باورز، لتكون باكورة أعماله في عالم القصة وإطلالته الأولى على هذا العالم الإبداعي.

وتتحدث عن جندي شاب في قوات الغزو الأمريكي للعراق كتب عليه أن يشهد أهوال الحرب وأن يتورط في جرائمها باسم الواجب، وبين مشيئة المقادير والحرب التي تأخذ كل ما يمكنها أن تأخذه وتدهام الجندي الشاب جون بارتل في أحلامه تمضي القصة بإيقاع مثير يحمل في كلماته المشحونة محنة فقد شاب فيها براءة الروح، فضلا عن الدمار الأخلاقي والنفسي. ويرتبط بطل القصة بصداقة مع جاويش في جماعته يدعى (ستيرلينج) يعتنق فلسفة عدمية ويتفوق في قتل العراقيين، ورغم كراهية الجندي الشاب جون بارتل لجرائم الرقيب ستيرلينج، فإنه عاجز عن الخلاص من صداقته فهو يشكل له «ضرورة» بالمعنى النفسي العميق.

ومع أنها القصة الأولى لكيفن ومع التسليم بضرورة عدم التعجل في إطلاق أحكام قاطعة من قبيل القول بمولد قاص موهوب، فقد نوه

نقاد بأن المؤلف الشاب نجح في التعبير بحساسية عالية عن رجال في حرب ربما مع أنفسهم قبل الآخرين. إنها قصة تستدعي سؤالاً كبيراً ومركباً: «ما الذي حدث بالضبط؟ وماذا عن التكاليف الإنسانية وخراطم الروح حتى بالنسبة للقتلة لا الضحايا؟ وهل تكفى مياه دجلة والفرات لتطهير أيادي مقترعي كل هذه الجرائم في حق العراقيين والإنسانية كلها؟».

## أبي لا يجيد حراسة القصور

زياد محافظة



غلاف المجموعة القصصية

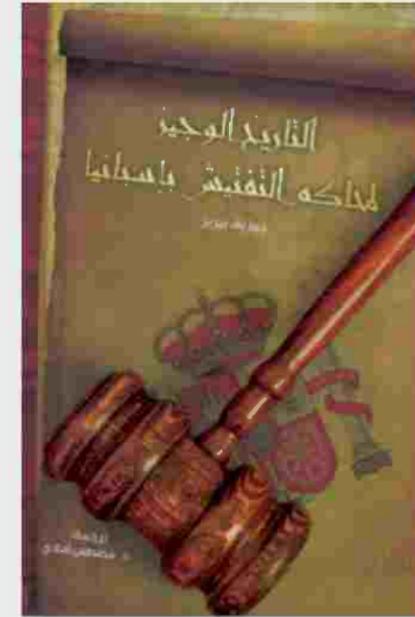
صدرت عن دار فضاءات للنشر في عمّان، مجموعة قصصية للروائي الأردني زياد أحمد محافظة، بعنوان: (أبي لا يجيد حراسة القصور).

زياد محافظة القاص والروائي الأردني، يمر بلغته الشفيفة كنصل الماء، يسكنك لتظن تشعر بخفة عاشق مر وما تركك إلا وأقام، ترتشف نصحك لكنك تحس بعطش كلما قابلت الارتواء، قاص يؤثث لمشهد قصصي متميز، فهو يحضر اسمه حفر الواثق من بنائه السردي ومفردته المتعددة الدلالة وكأن نصح في قمة سرديته المحكمة قصيدة شعر تتقصد تكثيف المعنى.

وتشكل المجموعة القصصية، انعطافاً نحو عالم داخلي، فهي تؤشر

## التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا

جوزيف بيريز  
ترجمة: د. مصطفى أمادي



غلاف التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا

أصدر مشروع (كلمة) للترجمة في هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة كتاباً جديداً بعنوان: (التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا) للمؤلف جوزيف بيريز، ونقله إلى العربية د. مصطفى أمادي.

يتحدث الكتاب عن محاكم التفتيش الإسبانية التي عاقبت المهترقين والآلاف من الضحايا الأبرياء، من أجل مساعدة الكنيسة على التحكم في الشأن السياسي والعالم.

ويأخذ المؤلف بعين الاعتبار في هذا الكتاب التاريخي، مجموعة من المساهمات التي كتبت حول محاكم التفتيش، حيث يحلل بنظرة تاريخية عميقة وإن كانت موجزة، عن علاقة الفكر بالسياسة، وي طرح كذلك، مجموعة من التساؤلات ذات الصلة بنظام ومحاكم التفتيش وتمويلها، كما يوضح الأهداف من إنشاء هذه المحاكم والعواقب المترتبة عنها، وإصدار فهارس بأسماء الكتب المحظورة، بالرغم من أهميتها وقيمتها المعرفية.

ومحافظة كاتب وروائي أردني مقيم في أبو ظبي، يحمل عضوية رابطة الكتاب الأردنيين، وعضوية منتسبة لاتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ورابطة أبوظبي الدولية للتصوير الفوتوغرافي، صدرت له في بيروت رواية: (بالأمس كنت هناك)، ورواية (يوم خذلتني الفراشات) التي ترشحت للقائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد للكتاب 2012.

كما يعالج الكتاب الصورة التي كانت عليها محاكم التفتيش بإسبانيا، في المناطق التي كانت تحت سلطة الملكين فرديناند وإيزابيلا، ثم تحت

حكم آل هابسبورغ، وأخيراً، تحت حكم أوائل البوربونيين. ويتعرض إلى مواضيع من مثل: المسلمين، العرب، اللوثرية والإيراسموسية، التحولات الصوفية، الإيمان والأخلاق، الجهاز الإداري والمالي لمحاكم التفتيش، المحاكمات والسلطات التنفيذية والسياسية لمحاكم التفتيش، إلخ...

والمؤلف جوزيف بيريز من مواليد سنة 1931 بفرنسا، أستاذ متخصص في التاريخ والحضارة الإسبانية بجامعة بوردو، ورئيس الجامعة نفسها من سنة 1978 إلى 1983.

تقلد عدة مناصب مثل: مدير مؤسسة دار بيلاسكيت بإسبانيا وعضو مراسل لمجموعة من الأكاديميات الدولية. ألف ما يزيد على أربعين كتاباً، ترجمت إلى العديد من اللغات كالإسبانية والإيطالية والألمانية والإنجليزية واليابانية.

نقل الكتاب إلى العربية الدكتور مصطفى أمادي أستاذ بجامعة الحسن الثاني في الدار البيضاء، منسق وحدة البحث في المخطوط الأندلسي ورئيس مركز الدراسات الإيبيرية والإيبيري أمريكية، من بين مؤلفاته: مسار المخطوط الأندلسي 2008، والمخطوط الصوفي الأندلسي 2010، وتاريخ تطور المصطلحات من أصل عربي في القواميس الإسبانية 2010، ترجم العديد من المؤلفات، وهو عضو في العديد من المجالات والدوريات الثقافية وأستاذ محاضر بمجموعة من الجامعات الدولية كالبرازيل وشيلي، وإسبانيا وفرنسا والكويت.

## في خيمة القذافي

غسان شربل

في كتابه الصادر مؤخراً عن دار (رياض الرئيس للكتب والنشر) في بيروت، والذي حمل عنوان (في خيمة القذافي)، يتناول الكاتب والصحافي اللبناني غسان شربل شخصية الرئيس الليبي الراحل العقيد معمر القذافي وتاريخه وسيرته، عبر أحاديث مع مجموعة من عارفه الذين عبر أحاديث مع مجموعة من عارفه الذين «يكشفون خفايا عهده»، كما ورد على الغلاف، وهم: عبد السلام جلود الذي كان لفترة طويلة الشخص الثاني في حكم ليبيا، عبد المنعم الهوني، عبد الرحمن شلقم، علي عبد السلام التريكي ونوري المسماري.

ورغم أن الكتاب يجمع بين الصحافة والتاريخ، ويكشف عن شغف مؤلفه بالسياسة والأمن، فإنه ليس مجموعة حوارات صحافية فحسب، ولا هو



غلاف كتاب في خيمة القذافي

كتاب توثيق لأربعة عقود من تاريخ ليبيا تحت حكم القذافي، بل شهادات ووقائع يرويها خمسة من قادة الثورة التي أطاحت النظام الملكي الليبي عام 1969 بزعامة معمر القذافي، والذي تحول في سنوات إلى الحاكم الأوحده حتى مقتله عام 2011.. وفي المحصلة، تعدد قراءة هذا الكتاب. فمن شاء أن يقرأه سياسياً، فهو يجد فيه ضالته. ومن شاء أن يقرأه تاريخياً وتوثيقياً، فهو يكتشف فيه مادة مهمة، لا سيما في ما يرتبط بثورة الفاتح من سبتمبر وتفاصيلها العسكرية وكذلك الحقبة التي أحكم المستبد قبضته فيها. ومن أراد البحث عن مواصفات القذافي بصفته (ديكتاتوراً) نموذجياً، متفرداً بملامحه وعاداته و (خصاله) غير الحميدة، فهو يواجه حكايات ووقائع غريبة تفوق التصور.

وفي حواراته مع الرجال الخمسة، اعتمد شربل أسلوب (الدرشة)، كما يقول، مستلقاً ومستدرجاً إياهم. وكي تكتمل الصورة أمام القارئ، كرر بعض الأسئلة على محاوريه، فأجمعوا كلهم على بعض الأمور، وأخفى بعضهم أشياء وصرح بأمور أخرى، وتكتم بعضهم، فإذا بالحوارات مجتمعة تكشف ما خبأه البعض، وإذا بالكتاب يبدو أشبه بمسرحية يتناوب على الكلام فيها خمسة أشخاص، يكشفون سمات خفية وغير خفية في شخصية الرجل وفي حياته، بما يتيح للقارئ أن يستخلص صورة مركبة عن رجل، لم يكن طاغية فحسب، بل كان شخصية استعراضية معقدة.. أما الكاتب، فيقارب الأحداث من دون

## حاكمة قرطاج.. الاستيلاء على تونس

نيكولاو وكاترين غراسياني

ترجمه عمر بن ضو وكمال البجاوي وإبراهيم بن صالح



غلاف كتاب حاكمة قرطاج

(حاكمة قرطاج.. الاستيلاء على تونس) كتاب جديد أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهو من إعداد نيكولاو وكاترين غراسياني، وترجمه للعربية عمر بن ضو وكمال البجاوي وإبراهيم بن صالح وآخرون.

والكتاب يعد واحداً من أهم الكتب التي صدرت في الفترة الأخيرة، فقد كان الحصول عليه أمر بالغ الصعوبة، فهو يفصل القول ويرصد سيرة حياة ليلي الطرابلسي زوجة زين العابدين بن علي الرئيس التونسي الهارب بدءاً من أسرتها المتواضعة ودراساتها في معهد الحلاقة ثم حياتها القلقة وحتى أصبحت صاحبة السيادة في تونس.

والكتاب يتناول أنوان الفساد السياسي والمالي داخل البلاد التونسية، كما يرصد للفن والدسائس داخل قصر قرطاج وكيف كانت تتحرك الأمور وتدار الدولة، ويتكون من مقدمة وتسعة فصول إضافة للخاتمة وصدر في نحو مائتي صفحة .

(تابوات) مسبقة ومن دون هواجس مقلقة، إذ يسأل ويحرر ويدون ويسجل ويناقش ويحلل ويقارن المعلومة، ويتجاوز كل ذلك إلى الفضاء الأوسع، وإلى ما يجمع بين (الطغاة) في المنطقة، ويحاول أن يخرق بحذر شديد الثوابت الثقافية والأيدولوجية والسياسية القائمة.

من شخصية إلى أخرى، ومن حوار إلى آخر، يبدو الكتاب أشبه بالاعترافات السياسية القائمة عن أنظمة حكمت باسم (أيدولوجيات) ظلت قائمة، إذ ترسخت في اعترافات الخمسة مفاهيم القمع على الصعد كافة.. وبأسلوبه الأدبي الوصفي، يقول شربل في مقدمة الكتاب، والتي رسم فيها صورة نموذجية للقذافي كما استخلصها بوقائعها وتفصيلها: لا يلتفت المستبد إلى ساعته. شمس له تغرب. أوفده التاريخ في مهمة مفتوحة. كلفه اختراع بلاده. إخراجها من ركابها.

من خوفها المزمّن وانتظارها الطويل. كلفه وأطلق يده. تقويضه من رحم الأمة، لا يحتاج إلى استجداء الشرعية من (العملاء) و(العبيد) و(الجرذان) و(الكلاب الضالة). ويضيف: «كان يستعذب اللعب بالمصائر. يخترع أشخاصاً ويخترع لهم أدواراً. يدفعهم إلى أعلى ثم يخفضهم. يدخلهم السجن ويعيدهم إلى مكاتبهم.

ينظم أعمارهم على عقارب مزاجه المتقلب. سيئار من فقر طفولته ومن استضعاف الآخرين لعائلته المباشرة.

سيحترق الجميع، وفي ساعة الغضب سيقول للناس: من أنتم؟»

يصف شربل القذافي بـ(النكبة التاريخية)، مستعيراً بعض ما قيل عن (القائد التاريخي)، فإن الغلاف الأخير للكتاب يلخص حكم الرجل بكل الخيوط في يد رجل واحد. والرجل مريض. يهرب إلى الصحراء مع خيمته. لا يحب توقيع الأوراق. الأوامر شفوية، سواء كانت لإنفاق الملايين أو للقتل. احتقاره لشعبه لا ينفصل عن احتقاره لكل القواعد الدولية والأعراف. يرسل المتفجرات في كل اتجاه. وستفجر عبواته جواً وبحراً وبراً. وفي بلدان قريبة وبعيدة. كان يبتهج بإضرام النار في الرداء الأميركي. ويكره السوفييت ويشترى منهم الترسانات.



## هؤلاء غيروا حياة البشرية تاريخ البريد الإلكتروني

ناصر الزمل

كاتب وماحب موسوعة  
أحداث القرن العشرين



كان واتسون يستمع إلى أول مكالمات هاتفية في التاريخ.

واليوم، لا يكاد يوجد من لا يعرف من هو الكسندر جراهام بل؟ فحتى تلاميذ المدارس الصغار يعرفون أنه مخترع الهاتف.

وفي العام 1895 أرسل الايطالي جوليلمو ماركوني، صوته عبر الهواء مدشناً أحد أعظم مخترعات عصرنا، وأعني به الاتصال اللاسلكي، وعلى الرغم من أنه حرم من تسجيل كلماته الأولى عبر اختراعه، فإن ماركوني نال ما لم ينله سابقه، جراهام بل ومورس من شهرة وتقدير، فقد كرم ماركوني بحصوله على جائزة نوبل للفيزياء عام 1909.

لقد غيرت وسائل الاتصال هذه وجه العالم وحضرت أسماء مخترعيها عميقاً في سجل التاريخ، فمن يمكنه تصور الحياة الحديثة من دون وسائل الاتصال التي قدمها هؤلاء الثلاثة للبشرية؟

لكن الاختراعات في مجال الاتصالات لم تتوقف عند هؤلاء المخترعين الثلاثة، فقد جاء اختراع رابع ليمثل ذروة الاتصالات بين بني البشر في عالم اليوم، وأعني بذلك البريد الإلكتروني الذي دخل حيز الوجود في سبعينيات القرن الماضي، والذي أصبح الاتصال عبره عنوان الحداثة في عالمنا المعاصر.

لقد كان كل من هذه الاختراعات ثورة في عالم الاتصال، وصنع كل منها لمخترعه مجداً يستحقه وخلده في كتب التاريخ، إلا رابع هؤلاء المخترعين الذي جده اختراعه وتوق عليه شهرة، واضعاً

إياه في الظل، ففي حين حاز المخترعون الثلاثة الأوائل شهرة مدوية وكتبت أسماؤهم في سجل الخلود، ما زال مخترع البريد الإلكتروني وواضع أسسه مجهولاً يقبع في الظل. كما بقيت مجهولة للأكثرية من مستخدمي الانترنت، الطريقة التي اخترع بها وسيلته الاتصالية الحديثة. فمن سمع عن براي توميلنسون؟ إنه مخترع البريد الإلكتروني الذي يعيش حياة عادية موظفاً في شركة أمريكية منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً. دون أدنى محاولة لتعريف العالم بأنه أحد رجال التاريخ، فتوميلنسون فخور بما اخترعه، وهذا يكفي.

يُعد البريد الإلكتروني أكثر الطرق حتى الآن لنقل البيانات، وملفات النصوص والصور الرقمية، وملفات الصوت والفيديو من جهاز كمبيوتر إلى آخر عبر شبكة الانترنت، ولم تصيح هذه الظاهرة الشعبية حتى عام 1990، والآن هي الأعمال التجارية الرئيسية، والاتصالات الشخصية، وكان له تأثير رائع على كمية المعلومات التي يتم إرسالها في جميع أنحاء العالم. وفي بداياته كان التراسل بالبريد يتوجب ولوج كلاً من الراسل و المرسل إليه إلى الشبكة في الوقت ذاته لتنتقل الرسالة بينهما أنيا كما هو الحال في محادثات التراسل اللحظي المعروفة اليوم، إلا أن البريد الإلكتروني لاحقاً أصبح مبنياً على مبدأ التخزين والتمرير، حيث تحفظ الرسائل الواردة في صناديق بريد المستخدمين ليطلعوا عليها في الوقت الذي يشاؤون.

كانت وزارة الدفاع الأمريكية قد اختارت شركة ( بي بي ان ) التي يعمل فيها المهندس راى توميلنسون لكي تقوم ببناء ARBANET أربانت، وهي أحرف ترمز إلى الشبكة التي تربط المعاهد العلمية والجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية بعضها ببعض، وتجعلها على اتصال فيما بينها، وتعتبر أربانت هي الركنة الرئيسية

التي انطلقت منها شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) حالياً.

كان راى توميلنسون قد شارك في تصميم تلك الشبكة ببرنامج لكتابة الرسائل الإلكترونية يسمى

SNDMSG وذلك لكي يتمكن العاملون عبر شركة أربانت من الاتصال فيما بينهم عن طريق الرسائل التي ترسل لبعضهم البعض، وهذا البرنامج لا يرقى لمستوى البريد الإلكتروني الحالي، ولكنه كان النواة التي بدأ منها ( توميلنسون ) للوصول للبريد الحالي . وأهمية هذا البرنامج أنه يصنع ملفاً توضع فيه الرسالة، وهو ما يعني أنه لا يستعمل إلا بين شخصين أو أكثر يشتركون في جهاز كمبيوتر واحد. من تلك الأجهزة التي كانت متوافرة في المعاهد والجامعات المشتركة بشبكة أربانت، فالكمبيوترات الشخصية لم تكن قد ظهرت بعد. حيث كان عليه أن ينتظر حتى عام 1981 لتظهر محدثة التحول الأكبر في عالم التكنولوجيا الحديثة التي تسيطر على عالمنا اليوم.

وكان البريد الإلكتروني في وقت مبكر من القرن العشرين ليس كما ما نعرفه في هذه الأيام بل هو بمثابة ملف دليل توضع الرسالة بداخل الدليل لمستخدم آخر في مكان حيث يمكن أن يرى ذلك. تماماً مثل تترك مذكرة على مكتب شخص ما. وكان نظام البريد الإلكتروني الأول من هذا نوع

أستخدم في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا عام 1965. ووضع برنامج آخر SNDMSG لإرسال الرسائل على الكمبيوتر .

يقول توميلنسون «لم يكن صندوق البريد إلا ملفاً يكتب فيه المستخدم رسالته، ولا يمكن للقارئ إعادة الكتابة عليه أو تحريره، يمكنه قراءته فقط»، وكما ذكرنا، فقد كان الهدف ترك الرسائل من الشخص الذي انتهى عمله على الجهاز للشخص الذي سيتولى أمره من بعده، من دون الحاجة للقاء.

في عام 1981 حدث التحول الكبير في عالم الاتصالات الذي سيطر على العالم اليوم ، فقد صمم توميلنسون برنامجاً آخر يسمى ( سيبنت ) CYPNET يسمح بنقل الملفات من جهاز كمبيوتر إلى آخر بشرط أن يكون الجهازين مرتبطين بشبكة ( أربانت ) .

وهنا فكر توميلنسون ملياً في برنامج يسمح له بالربط بين البرنامجين الذي سبق وصمهما وهم SNDMSG والذي يسمح بإرسال الرسائل والثاني CYPNET والذي يسمح بنقل الملفات من جهاز إلى آخر وهنا ربطهما ببرنامج واحد وهنا ولد البريد الإلكتروني.

أتاح هذا الابتكار الفرصة للجميع لاستخدام البريد الإلكتروني، ولكن المشكلة أن الرسالة كانت حتى ذلك الوقت لا تحمل أي دليل على مكان مرسلها. وكانت هذه المشكلة هي التي أقرت

توميلنسون، فشبكة ( أربانت ) موزعة على 15 جهازاً في أماكن متفرقة من الولايات المتحدة، منها ما هو موجود في ماساتشوستس، حيث مقر شركة ( بي بي ان ) التي يعمل فيها توميلنسون، هذا التشتت هو الذي جعل توميلنسون يفكر في ابتكار رمز يوضع بين اسم المرسل والموقع الذي يفترض أن ترسل منه الرسالة.

يقول توميلنسون: «تأملت لوحة المفاتيح. حاولت العثور على رمز لا يستعمله الأشخاص عادة ضمن أسمائهم، لم أرد أن يكون هذا الرمز رقماً. فكان الرمز @ هو ما اخترته من الرموز الموجودة على لوحة المفاتيح. إنه حرف الجر الوحيد الموجود على اللوحة». وبالطبع فإن هذا الرمز الذي وقع اختيار توميلنسون عليه يقرأ على أنه حرف الجر (at) باللغة الإنجليزية والذي يشير إلى المكان الذي تنطلق منه الرسالة، وكان ذلك الرمز غير متداول آنذاك بصفة رسمية سوى في تزيين الصفحات.

في عام 1971 أرسل راى توميلنسون أول رسالة تحمل @ للفصل بين اسم المستخدم وعنوان الحاسوب كما استقر عليه الوضع اليوم وذلك عبر شبكة أربانت.

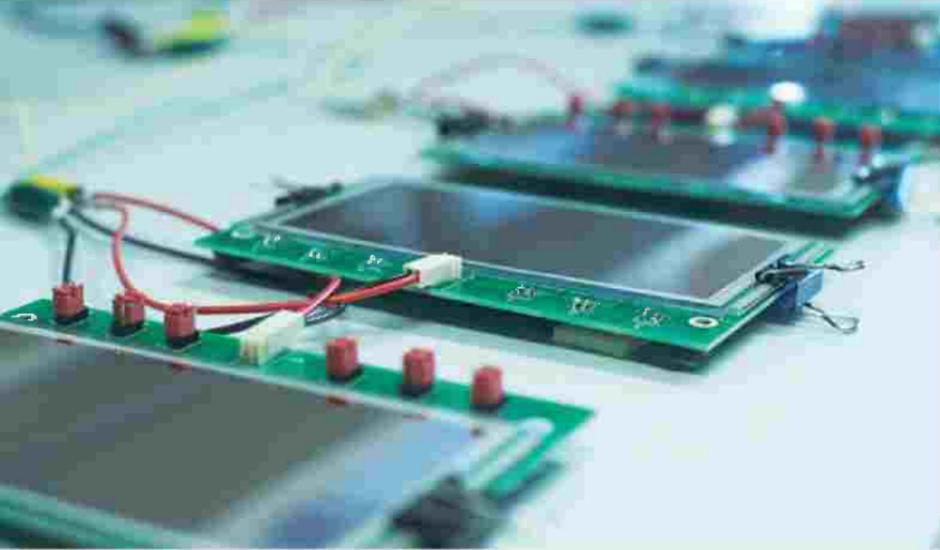
وقد تمكن في ذلك العام 1971 من إرسال ملفات عبر شبكة محلية بدائية إلى جهاز آخر قام المهندس بعد ذلك بتطوير برنامج آخر يتيح إرسال الرسائل إلى أشخاص آخرين عبر

ثلاث من وسائل الاتصال غيرت أساليب التخاطب والاتصال بين بني البشر في أرجاء المعمورة كافة، وصارت تواريخ ابتكارها نقاطاً مضيئة في تاريخ البشرية الحديث، وبات مخترعوها من المشاهير الذين لولاهم، لما بدت الدنيا كما هي اليوم.

في الرابع والعشرين من أيار/مايو 1844 أرسل صامويل ب. مورس، مخترع التلغراف، برقية كتب فيها: «ماذا خلق الله». لم يكن مورس يعلم أنه بإرساله تلك البرقية إنما كان يصنع التاريخ، ولكنه كان كذلك في واقع الأمر، فقد كانت تلك أول برقية ترسل في التاريخ، ومنذ ذلك اليوم ومورس واحد من عظماء العالم في مجال الاختراعات العلمية.

وفي العاشر من آذار/مارس 1876، اتصل الكسندر جراهام بل، مخترع الهاتف، بأحد مساعديه قائلاً: «سيد واتسون . . . تعال، أريدك هنا». وذعر واتسون الذي كان يستمع إلى صوت يفترض في حسابات المنطق والمعروف آنذاك أنه أت من مكان بعيد لا يمكن للصوت أن يصل خلاله إلا بمعجزة وكانت تلك معجزة حقاً. فقد

## الثنائيات العضوية - مصدر جديد للضوء



ورق الجدران المتوهج وشاشات العرض القابلة للطي والنوافذ الزجاجية القادرة على إنتاج التيار الكهربائي.. كل هذا سيكون في متناول اليد، بفضل صمامات الضوء الثنائية العضوية (OLED).

2000 كانت بداية العمل فعلياً في دريسدن في مجال أبحاث صمامات الضوء الثنائية العضوية OLED. أما القاعة الرئيسية في للمعهد فتبلغ مساحتها 900 متر مربع، وقد أنشئت لتكون بمثابة محطة إنتاج تجريبية.

### مسحوق يتحول إلى ضوء

في عملية معقدة يتم طلاء الطبقات العضوية الباعثة للضوء بشكل تدريجي على المعادن أو الزجاج أو الرقائق. وفي البداية يتكون ما يشبه المسحوق، مكون من جزيئات الكربون التي تتكسد بدورها على شكل طبقات منفصلة في شكل يمكن

مقارنته بشطائر الخبز (أو الساندويتش). وتنتقل الإلكترونات عبر أشباه الموصلات وتتحول طاقة من الإلكترونات إلى ضوء. ولحماية هذا الضوء من الماء والهواء والغبار، يتم إغلاق كل شيء بغطاء، وهذا ما يسمى بعملية التغليف. وبالرغم من كل الانجازات والنجاحات إلا أن الطريق لا يزال طويلاً أمام الباحثين في دريسدن، إذ إن إضاءة منطقة واسعة تكلف الكثير من المال. لذلك يشجع كارل ليو العالمين معه في المقام الأول على تحسين عمليات التصنيع، وكما يقول كارل ليو: «نسعى على المدى الطويل إلى تخفيض السعر من 100 يورو للمتر المربع الواحد، إلى النصف أي إلى 50 يورو. ولتحقيق هذا الهدف، يجب أن تتحول مراكز الإنتاج التجريبي إلى مرافق للإنتاج التجاري بكميات كبيرة.

إن الأفكار التي كانت تعتبر حتى الآن ضرباً من الخيال، أصبحت ممكنة التحقيق بفضل OLED التي يكف الباحثون في دريسدن على تطويرها. ويمكن مستقبلاً أن يأتي الضوء في غرفة المعيشة من ورق الجدران المضيء، أو من زجاج النوافذ المزودة بصمامات الضوء الثنائية العضوية. كما من الممكن أن تصبح شاشة الكمبيوتر مرنة بحيث يمكن طيها، وكذلك من الممكن أن تحل الأوراق الإلكترونية في المستقبل مكان الورق العادي كما هو مستخدم اليوم.

### نوافذ تضيء وتنتج الكهرباء

وقد ركز فريق عمل على عكس المبدأ الذي تعمل عليه صمامات الضوء الثنائية العضوية OLED، أي توليد الكهرباء بواسطة الخلية الشمسية المصنوعة من مواد عضوية مضيئة. ولهذا الغرض يتم استبدال طبقة OLED المشعة بطبقة قادرة على امتصاص الضوء. وعبر هذه التقنية، ستكون النوافذ في المستقبل قادرة على إنتاج الكهرباء.

ومنذ عام 2008 دخلت الأبحاث التي يجريها العلماء في دريسدن، مرحلة تبلور الأفكار في شكل خطوات عملية، حيث تم تأسيس المركز الأكثر تطوراً في أوروبا لأبحاث أشباه الموصلات العضوية، وذلك تحت مظلة COMEDD "Center for Organic Materials and Electronic Devices Dresden". وفي عام

مدينة دريسدن الألمانية تحتضن الباحثين الذين يقفون وراء هذه الثورة. ضوء المستقبل يتوهج بالفعل في مختبر البروفيسور كارل ليو في دريسدن وهو عبارة عن لوح مسطح مربع الأضلاع. وعلى طاولة المكتب الخاصة برئيس معهد فراونهوفر للأنظمة الضوئية الدقيقة (IPMS)، يوجد صمام الضوء الثنائي العضوي (OLED). وهو مكون من طبقات رقيقة من أشباه الموصلات العضوية التي يتم طلاؤها على الزجاج ورقائق المعدن أو البلاستيك لينبعث منها الضوء، وهي قادرة على إضاءة مساحات واسعة.

وهكذا تمثل مصابيح OLED ثورة في عالم الضوء، إذ إن الأجيال التي سبقتها ابتداءً من المصباح الكهربائي العادي ومروراً بتلك الموفرة للطاقة وانتهاءً بالصمام الضوئي LED، قادرة فقط على إضاءة مساحة محدودة، أو تشويها بعض السليبيات مثل إهدار قدر كبير من الطاقة، عبر تحويلها إلى حرارة لا يتم الاستفادة منها. وعلى العكس من ذلك فإن الإضاءة بواسطة صمامات الضوء الثنائية العضوية OLED، تتميز بفعالية كبيرة. وهي تتفوق بذلك حتى على الأنابيب المضيئة التي تتمتع حالياً بالريادة في السوق. كما أنها تتمتع أيضاً بمرونة كبيرة، إذ يمكن استخدامها على أسطح مرنة وقابلة للطي، مما يجعلها تكتسب جاذبية خاصة بالنسبة للمصممين والمهندسين المعماريين.

كأسرع وأسهل وسيلة للتواصل عبر شبكة من الكمبيوترات الموزعة حول العالم. ويرجع السبب في ضياع حق راى توملينسون بالشهرة على الأقل في اختراعه للبريد الإلكتروني إلى الفرق بين الإنترنت العالمية (و أربانت الشبكة المحلية لذلك لم ينتشر ابتكار توملينسون إلا بين فئة ضيقة بين مستخدمي أربانت وانتهت تلك المرحلة وابتدأت مرحلة جديدة باختراع الإنترنت، ولأن توملينسون لم يقم بتسجيل البريد الإلكتروني كبراءة اختراع باسمه.. أصبح البريد الإلكتروني بدون مالك وانتشر بين كل مستخدمي الإنترنت وكما ساعدت الإنترنت على انتشار البريد الإلكتروني بين الناس فإنها ساعدت أيضاً على ضياع اسم راى توملينسون وأصبح البريد الإلكتروني اختراعاً دون مخترع حتى وقتنا هذا. لم ينشر توملينسون اختراعه على الملأ فوراً، وطلب من مساعده بريثفيل ألا يخبر أحداً عن الموضوع، فلم يطلب منه أحد مثلاً هذا الاختراع. لكن قلق توملينسون سرعان ما زال عندما أخبره زميل ثالث يدعى لاري روبرتس أنه سيستخدم اختراعه. وخلال فترة وجيزة بات اختراع توملينسون وسيلة اتصاله المثلث بالزملاء الآخرين واتصالهم ببعض البعض الآخر، ولم يمض الكثير من الوقت حتى اكتسح اختراع توملينسون الجديد مستخدمي أربانت، وظهرت الدراسات التي أجريت في تلك الفترة أن 75 في المائة من الاتصالات في شركة أربانت كانت تتم باستخدام البريد الإلكتروني الجديد. الذي يرى توملينسون أن أهم ما فيه هو أن استخدامه لا يشترط وجود أي من مرسل الرسالة أو مستقبلها، كما هو الحال في اختراع الهاتف مثلاً.

إلى العنوان الذي أرسلت إليه في نفس اللحظة، وقد كان ( راى ) أرسلها لنفسه، ولا يذكر توملينسون ما كانت تحتويه الرسالة بالضببط، كل ما يذكرها أنها كانت تجميعاً لعدد من الأحرف التي كتبت في صورة عشوائية مكونة كلمة (QWERTYIOP)، أو شيء من هذا القبيل. وتم في هذا العام 1982 من استخدام الاسم email. عندما ظهرت الشبكة العالمية للمعلومات ( الإنترنت) أدى ذلك لاختفاء شبكة أربانت للأبد وأصبح مئات الملايين يستخدمون الإيميل والبريد الإلكتروني في العالم ولم يبق من البريد الإلكتروني الذي اخترعه توملينسون إلا المبادئ الأساسية. ولكن مع بداية تطور البريد الإلكتروني وقد أخذ بعض الميزات الأنيقة جداً، وكان نظام يودورا واحداً من الأنظمة التجارية الأولى الجيدة، والتي وضعها ستيف دورنر في عام 1988. ويعد عام 1989 عاماً حاسماً في تاريخ نشر خدمة البريد الإلكتروني بشكل تجاري منظم للمشاركين، وكانت شركتا COMPUSERVE وMCI هي أولى الشركات المقدمة للخدمة. في عام 1993 قامت شركة أمريكا أون لاين AMERICA ON LINE وشركة ديفلي DELPHI بربط خدماتها البريدية عبر الإنترنت لتحول هذه الشبكة البريدية إلى وسيلة اليوم، يستخدم ملايين الأشخاص حول العالم البريد الإلكتروني، وقلة منهم فقط تذكر مخترعه راى توملينسون الذي توصل إلى اختراعه مصادفة، تماماً مثل عشرات الاختراعات التي غيرت وجه التاريخ، وهو ما يتضح من خلال هذا الاستخدام الواسع له. ولا شك في أن ذلك يؤكد أن هذا الابتكار كان حتمياً، وأنه لو لم يوجد، لكان من الضروري إيجادها. وأن كان كل اختراع على هذه الدرجة من الأهمية يذكر ويذكر معه صاحبه فإن البريد الإلكتروني يذكر وكأن وجوده من طبيعة الأمور، أما صاحبه فلا أحد يكتث له أو به حتى لو كان على درجة من العبقرية مثل راى توملينسون الذي لم يستغرق منه ابتكار وسيلة الاتصال هذه التي غيرت وجه التاريخ سوى 30 ثانية. ويكمل البريد الإلكتروني هذه السنة 41 عاماً من عمره، مرّ خلالها بمراحل تطور كبيرة حتى وصل إلى الشكل الذي نعرفه حالياً،

صناديق بريدية إلكترونية ليقوم بعدها بتحقيق انجازها الفعلي عندما وضع علامة @ لتخصيص اسم المرسل أو المستخدم المراد إرسال الرسائل الإلكترونية إليه. لم يتوقع توملينسون أبداً أن يكون لهذا الرمز الذي اختاره الأثر الذي يبدو عليه الآن، حيث بات حرفاً قائماً بذاته، يستخدم ضمن أسماء الشركات وعلى اللوحات الإعلانية، مثل أي حرف آخر. ويقول: «لقد استغرق الأمر ما بين 20 و 40 ثانية للتفكير» ما كان يقصده توملينسون هو أن يوضح المرسل هو أن يوضح المرسل مكان وجوده عند إرسال الرسالة، وليس أكثر. أي أنه يضع الرمز بين اسمه ومكان وجوده، فيتضمن العنوان اسم المرسل ومكان وجوده. ظهرت المراسلات عبر أجهزة الحاسب في عام 1971 بفضل جهود توملينسون، ومنذ ذلك اليوم أصبحت هذه العلامة هي الرمز الرسمي والمسجل دولياً للبريد الإلكتروني الذي كان بدوره نقلة جديدة لحقبة زمنية قادمة تعتمد عليه ممهدة بذلك التحضير لاندثار البريد التقليدي. بحلول عام 1974 كان هناك مئات من مستخدمي البريد الإلكتروني على شبكة أربانت التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية مما تسبب في حدوث تحول جذري في أهداف أربانت. وسارت الأمور بسرعة؛ حيث اخترع لاري روبرتس بعض مجلدات البريد الإلكتروني لرئيسه في العمل حتى يتمكن من فرز بريده، وحدث هذا تقدماً كبيراً. وفي عام 1975 وضع جون فيتال بعض البرامج لتنظيم البريد الإلكتروني. وفي عام 1976 انطلق البريد الإلكتروني بحزم تجارية. كان واحداً من التطورات الجديدة أولاً عند ظهور أجهزة الكمبيوتر الشخصية على الساحة. تم وضع SMTP أول معيار للبريد الإلكتروني، أو البروتوكول البسيط لنقل الرسالة، وكان بروتوكول نقل البريد الإلكتروني بسيطة جداً والتي لا تزال مستخدمة - ومع ذلك وكان هذا البروتوكول ساذجاً إلى حد ما، حيث كان من السهل جداً التزوير (ولا يزال) في عناوين البريد الإلكتروني. وكانت هذه العيوب الأساسية في بروتوكول تم استغلاله من قبل الفيروسات والديدان، وعمليات الاحتيال وتزوير الهويات. ولا تزال بعض هذه المشاكل تعالج حتى عام 2004. في عام 1982 أرسل راى توملينسون أول رسالة إلكترونية في التاريخ وقد وصلت الرسالة

## الحصاد الثقافي في 2012

8 كانون الثاني/يناير الصحفي المغربي قاسم جادين 73 عاماً.

17 كانون الثاني/يناير الكاتب المصري أحمد حميدة 63 عاماً.

1 شباط/فبراير الشاعرة البولندية فيسوافا شيمبورسكا 88 حاصلة على جائزة نوبل في الأدب عام 1966.

27 شباط/فبراير الكاتب المصري ثروت عكاشة 91 عاماً.

25 آذار/مارس الكاتب الإيطالي أنطونيو تابوكي 68 عاماً.

5 حزيران/يونيو الكاتب الأمريكي راي برادبري 91 عاماً.

8 حزيران/يونيو الصحفي والسياسي والدبلوماسي اللبناني غسان تويني عن عمر 86 عاماً.

13 حزيران/يونيو الكاتب والفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي 98 عاماً.

وفي 11 تموز/يوليو الصحفي المصري سلامة أحمد سلامة 80 عاماً.

وفي 14 تموز/يوليو الأديب المصري محمد البساطي عن عمر 75 عاماً.

وفي 14 تموز/يوليو الشاعر المصري حلمي سالم 56 عاماً.

وفي 13 آب/أغسطس الكاتبة الأمريكية هيلين براون 90 عاماً.

وفي 25 آب/أغسطس نيل أرمسترونغ أول رائد فضاء أمريكي يمشي على سطح القمر عن عمر 82 عاماً.

وفي 9 تشرين الثاني/نوفمبر الشاعر والأديب المصري د. جابر قميحة 78 عاماً.

3 كانون الأول/ديسمبر الشاعر الليبي رجب الماجري 82 عاماً.

### 2012 في العلوم والتكنولوجيا:

أبرز ما ترسخ في 2012 هو انتشار الحواسيب اللوحية، حتى بات من المؤكد أنها ستحل محل الحواسيب المحمولة، خاصة مع إطلاق الحواسيب الهجينة التي تجمع بين اللوحي والمحمول وازداد انتشارها بفضل نظام ويندوز 8 الجديد، وساهم بانتشار الحواسيب اللوحية جهازا آيباد وآيباد ميني من أبل، وحاسوب سيرفس من مايكروسوفت، كما لا ننسى شركة أمازون التي فتحت الطريق واسعاً أمام الحواسيب اللوحية المصغرة بإنتاجها سلسلة حواسيب كيندل فاير رخيصة الثمن.

سقوط روما)، التي يحاول فيها تفسير كيفية نشوء العوالم المثالية وازدهارها ثم سقوطها، كما جاء في حيثيات منح الجائزة.

### 2012 في الثقافة السورية:

في سوريا تعرض العديد من الكتاب للاغتيال والتصفية، وفي سنة 2012 توفي الكاتب محمد نمر المدني تحت التعذيب في مدينة دير الزور، واغتالت الكاتب إبراهيم الخريط قوات النظام أو مليشياته.

وكان من أهم نتائج الثورة السورية خروج العديد من المثقفين من عباءة المؤسسات الثقافية التي تحتكرها الدولة خاصة (اتحاد الكتاب العرب)، حيث أسست رابطة الكتاب السوريين وأسندت رئاستها إلى المفكر صادق جلال العظم بعد مؤتمر بالقاهرة. كما تأسس (تجمع التشكيليين السوريين المستقلين) و(تجمع فناني ومبدعي سوريا الأحرار) وغيرها من المنظمات المستقلة عن الهيئات الرسمية.

وبينما تتواصل عمليات الاعتقال والتنكيل والقتل الذي تعرض له المثقفون، ودفعت أغلبهم إلى مغادرة سوريا أو التواري، تتعرض أيضاً معالم تاريخية هامة تعد من أقدم المعالم الأثرية في العالم لبطش أشد من خلال عمليات التدمير جراء العمليات القتالية التي تستخدم فيها أسلحة ثقيلة أو النهب وتهديب قطع أثرية خارج البلاد.

وأثناء المعارك تعرض السوق الأثري في مدينة حلب وقلعتها الشهيرة والجامع الأموي بالمدينة لدمار كبير وكذلك قلعة حماة وأثار مدينة معرة النعمان ومتحفها التي تزرخ بالمواقع الأثرية.

ومع احتدام المعارك وانتشارها يطول التهديد كل الإرث التاريخي من متاحف وقلاع ومساجد وأسواق ومدن مفرقة في القدم، بدءاً من قلعة قصر الحير الغربي في البادية السورية، التي تعود إلى العصر الإسلامي المبكر، إلى مدينة أوغاريت (موطن أول أبجدية في التاريخ) وتدمر ومعلولا، والحفريات في (تل حلف) قرب تركيا، وانتهاء بالمعالم الأثرية من أواخر العصر الروماني وباديات العصر الإسلامي في منطقة حوران على الحدود الأردنية.

### وفيات 2012:

7 كانون الثاني/يناير الروائي المصري إبراهيم أصلان 76 عاماً.

### 2012 في الجوائز العالمية:

على مستوى الجوائز الأدبية العالمية والعربية منحت الأكاديمية السويدية الروائي الصيني مو يان جائزة نوبل للأدب لعام 2012، وجاء في حيثيات منح الجائزة أن الكاتب الصيني «استخدم مزيجاً من الخيال والواقعية والجوانب التاريخية والاجتماعية، ليخلق عالماً يذكر القارئ بكتابات وليام فوكنر وغابرييل غارسيا ماركيز». وتوج الروائي اللبناني ربيع جابر بجائزة البوكر العالمية للرواية العربية للعام 2012 التي تمنحها جائزة البوكر البريطانية وتدعمها هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة بالإمارات عن روايته (دروز بلغراد.. حكاية حنا يعقوب).

وتنافست ست روايات على الجائزة، هي (العاقل) للمصري ناصر عراق و(عناق عند جسر بروكلين) للمصري عز الدين شكري فشير و(شريد المنازل) للبناني جبور الدويهي و(دمية النار) للجزائري بشير مفتي و«نساء البساتين» للتونسي الحبيب السالمي، إضافة إلى الرواية الفائزة.

وفي هولندا حاز الكاتب السوري المعارض ياسين الحاج صالح على جائزة الأمير كلاوس الهولندية إلى جانب مفكرين وكتاب ومخرجين حول العالم، وذلك لإسهاماتهم في مجالات الثقافة والتنمية في بلادهم.

كما تسلم الكاتب المصري علاء الأسواني جائزة (تيزيانو تيرزاني) الإيطالية للأدب للعام 2012 عن كتابه (هل أخطأت الثورة المصرية) الذي أطلقه في العام 2011 وترجم للإيطالية تحت عنوان (الثورة المصرية) وقامت بنشره دار (فيلترينيلي).

وفي إنجلترا فازت الكاتبة الإنجليزية (هيلاري مانتل) بجائزة مان بوكر للرواية عن روايتها (Bring Up the Bodies) أو (أخرجوا الجثث)، لتكون أول امرأة، وأول بريطانية تفوز بالجائزة مرتين، و(أخرجوا الجثث) هي الجزء الثاني من روايتها التاريخية التي تتناول حياة السياسي الإنجليزي توماس كرومويل، وسبق لمانتل الفوز بالجائزة نفسها عام 2009 عن جزئها الأول (قاعة الذئب).

ومنحت جائزة الفونكور - التي تعد أرفع الجوائز الأدبية الفرنسية- للروائي الفرنسي الشاب جيروم فيراري عن روايته (القسم حول



ولد العالم الفيزيائي كارل ليو في 10 تموز/يوليو 1960، وتخصص في مجال الإلكترونيات الضوئية، وهو مجال يجمع بين تخصصي البصريات والالكترونيات أشباه الموصلات، مما يتيح تحويل البيانات والطاقة المولدة إلكترونياً إلى ضوء ونقلها عبر هذا الطريق.



ولد هارالد هاس في 15 مارس/ آذار 1965. بعد فترة تأهيل مهني في مجال التقنيات الإلكترونية في مجال الإعلامي، تابع دراسته الجامعية حيث نال درجة الدكتوراه في مجال الاتصالات الكهربائية وتقنيات الاتصالات والهاتف المحمول. وهو يعمل حالياً كأستاذ متقن في أدنبره، وكأستاذ فخري في جامعة بريمن.

وقريباً جداً قد تتبادل السيارات التحذيرات بشأن الاختناقات المرورية أو الحوادث، أو قد تتمكن من الدخول إلى شبكة الإنترنت بسهولة وبدون مشاكل، أثناء تحليقنا بالطائرات أو خلال السفر بالقطارات السريعة. إن الأبحاث الجارية في الوقت الراهن في جامعتي أدنبره وبريمن ستغير حياتنا بشكل جذري. وكما يقول هارالد هاس «الاتصالات عبر الضوء المرئي Visible-Light-Kommunikation ستؤدي إلى ارتباط أوثق بين البشر والآلات».

يمكنكم مشاهدة التقرير من خلال الرابط:

<http://www.youtube.com/watch?v=DNHYhQspins>

تعمل شركة نوفالد Novaled، على تزويد الشركات العاملة في قطاع صناعة الإضاءة في جميع أنحاء العالم، بالدراسة الفنية والتكنولوجيا اللازمة لإنتاج الضوء بواسطة صمامات الضوء الثنائية العضوية OLED.

أما الفرع الآخر للشركة Heliatek والذي تأسس في عام 2006، فقد بدأ في بناء منشأة خاصة لإنتاج الخلايا الشمسية العضوية. ويعتبر مدير المعهد البروفيسور كارل ليو العقل المدبر الذي وقف وراء تأسيس الشركتين، وهو لا يطمح إلى أن يجني في نهاية مشواره العلمي النجاح التقني لصمامات الضوء الثنائية العضوية فحسب، وإنما النجاح الاقتصادي كذلك.

يمكنكم مشاهدة التقرير من خلال الرابط:

<http://www.youtube.com/watch?v=xsPCIMq3HGg>

## الاتصال عبر الضوء - أسلوب مبتكر في عالم الاتصالات

يقوم هارالد هاس بإجراء الأبحاث في موقعين مختلفين، فهو يعمل كأستاذ في معهد الاتصالات الرقمية في جامعة أدنبره في اسكتلنده، وفي نفس الوقت يشغل منصب أستاذ فخري في جامعة بريمن. وهناك فواسم مشتركة بين الجامعتين، وهي اعتماد اللغة الإنكليزية حصراً كلفة للتخاطب، ووجود جنسيات من بلاد العالم المختلفة. وهذا ينطبق على الطلاب الذين يشرف عليهم هارالد هاس، والذين يبلغ عددهم حوالي عشرة، فهم ينحدرون من بلدان عديدة، منها الهند والصين ورومانيا ومصر وبلغاريا وألمانيا.

في بريمن، يتم التركيز على الأشعة تحت الحمراء كوسيلة اتصالات ونقل البيانات، وذلك على عكس أدنبره حيث يتركز الاهتمام على الضوء الأبيض. ويُعتبر هاس من أبرز الباحثين في هذا المجال، ويقود أيضاً بنفسه الجهود الرامية لتسويق تقنيته المبتكرة. إن الشركة التي أسسها لهذا الهدف ستتولى مهمة بيع جهاز الإرسال والاستقبال المزدوج Transceiver، الذي لا يزيد حجمه عن رأس الدبوس. وعبر هذا الجهاز سيتسنى نقل البيانات بواسطة الضوء.

وقد حاول هاس إقناع الشركات الكبيرة بدمج جهاز الإرسال والاستقبال الجديد في الطائرات والهواتف الذكية أو مصابيح (LED) المصابيح الثنائية الباعثة للضوء)، أو أجهزة التصوير بالرنين المغناطيسي. وقد لقي استجابة بالفعل من بعض تلك الشركات.

عندما يقوم عدد كبير من الناس بإجراء مكالمات هاتفية في نفس الوقت أو بالدخول إلى شبكة الانترنت، فإن الضغط يصبح كبيراً الأمر الذي يؤدي إلى إبطاء الاتصال بالشبكة. وهذا أمر يحدث بشكل يومي مع مستخدمي أجهزة I-Phone و I-Pad.

إن الضغط يصبح كبيراً بشكل خاص في فترة ما بعد الظهر، لدرجة ينقطع معها الاتصال بشبكة الانترنت. قام هارالد هاس بتطوير شكل جديد من أشكال نقل البيانات لاسلكياً، وهو يطلق عليه تقنية الضوء القادر على التحدث. ويمكن لتقنية الاتصال البصري اللاسلكي هذه أن تفتح الباب على مصراعيه لتطور جديد.

المبدأ الذي تقوم عليه هذه التقنية بسيط: إذ تعمل مصابيح LED الحديثة على إظهار أشعة ضوئية يتعذر رؤيتها بالعين المجردة، وتلك الأشعة قادرة على نقل المعلومات التي يمكن استقبالها بواسطة محطة إرسال واستقبال مركبة.

ويمكن لهارالد هاس إثبات أن الضوء قادر على التحدث، الأمر الذي يمكن أن يمثل ثورة في عالم نقل البيانات، وبالتالي ستوفر طرق الاتصال اللاسلكي في كل مكان وبسرعة أكبر من تلك التي تعودنا عليها أثناء وجدنا في المنزل أو المكتب.

يتزايد باستمرار عدد الناس الذين يرغبون في الدخول إلى شبكة الانترنت دون الارتباط بمكان محدد. وهذا هو بالتحديد هدف المعهد الذي يديره هارالد هاس. لكن كيف يمكن نقل كم هائل من البيانات لاسلكياً عبر الضوء وبسرعة عالية؟

غلاف العدد الأول من مجلة العربي عام 1958. كانت الفتاة من الكويت تدعى عواطف العيسى القناعي. فيما كانت الخلفية لتمور العراق



## اعتذار

ميسون أبو بكر



أديبة وشاعرة ومذيعة في القناة الثقافية السعودية

بعد كل عام وأنتم بخير قرائي الكرام وتمنياتني بعام جديد أفضل من سابقه الذي ندعو ألا يعيد الله مثله على أمتنا العربية، أود أن أقدم اعتذاري بل اعتذاراتي ما استطعت في هذه الفسحة المتاحة لي هنا.

أعتذر من الفرحة التي وقفت على أبوابنا المغلقة طويلاً دون أن تجد لها منفذاً إلينا، أعتذر من الطفولة التي سفكت دون رحمة على الأراضي الممتدة من غزة إلى سوريا ثم باقي وطننا العربي.. أعتذر أمام الدمى التي لطحها دم الأطفال الذين صرخوا دون جدوى. أود أن أقدم اعتذاراً للفضاءات التي اختنقت بزئيق ضيوف الفنون التي كانت تغطي الحدث، كم يا ترى من عبارات الاعتذار تكفي لنقدم للتاريخ.. للماضي الذي داسته الدبابات بأنياب عجالاتها الفولاذية وحرائق النيران التي اشتعلت وما انطفأ رمادها، للمأذن والشوارع والحارات الحبلى بذاكرة اختنقت بدمار يتربص بالماضي.

أعتذر لأطفالنا الذين هم على قيد الحياة وشهدوا ما شهدوه من قتل وموت حول الواقع لفيلم رعب حقيقي، وأشفق على مستقبلهم الذي سيستقبل أطفالاً بأمراض نفسية أصابهم بها ما شهدوه بطفولتهم دون أن يتلقوا تفسيراً من آبائهم.

أعتذر من المدارس التي أقفرت، والجامعات التي تعطلت وتخرّج أبناءها مع وقف التنفيذ.

أقدم اعتذاري للقيم التي انتهكت، وعقول شبابنا التي غزتها تقنية فتكت بها، أقدم اعتذاري سيدي القارئ لكل من لم ألبى دعوته للتواصل معه عبر الواتس أب (الاختراع الذي حوله استخدام بعضنا الغير بريء له لشبح).

أقدم اعتذاري للحبر الذي كثيراً ما فر من بين أناملي فلم أستطع البوح بما يجيش داخلي.

وأعتذر منك قارئتي الكريم أن استقبلت العام الجديد بهذا الكم من الحزن.

من آخر البحر

تعالني نللم أشواقنا

وكل الذي كان ما بيننا

نلم ضفائرها الذكريات

ونسرح منها تلالاً تعانق ليل عمان

ومن شرفة الغيم حيث التقينا

اطل عليك

تمد المسافات دربي إليك

وصمت يهدد عشقي ببوح

## أدب الربيع العربي في ظل الثورات العربية

### السفر عبر الزمن بين الخرافة والخيال العلمي

كوكوشكا .. نقطة التقاء مدارس فنية عديدة



### مراجعات كتب



الصالونات الثقافية هل هي ضرورة أم ترف ؟  
أضواء على الصالونات الثقافية  
أمير تاج السر يكتب  
عن الكتابة والاغتراب

لقراءة مجلة فكر العدد الأول من خلال الرابط:

[http://issuu.com/fikrmagazine/docs/1\\_-\\_\\_\\_\\_\\_?mode=window&viewMode=singlePage](http://issuu.com/fikrmagazine/docs/1_-_____?mode=window&viewMode=singlePage)

ولتحميل مجلة فكر العدد الأول من خلال الرابط:

<http://download.saqafa.com/bwNzWT>